

مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ وَتَحْقِيقُ طَرِيقِ السَّعَادَةِ

تأليف

أبو العباس بن العريف

481 هـ - 536 هـ (1088 م - 1141 م)

جمعه

أبو بكر عتيق بن مؤمن

496 هـ - 548 هـ (1102 م - 1153 م)

دراسة وتحقيق

دكتورة عصمت عبد اللطيف دندش

أستاذة التاريخ والحضارة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

« الأنعام : 88 »

مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ
وَتَحْقِيقُ طَرِيقِ السَّعَادَةِ

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ
الطَبْعَةُ الْأُولَى

1993

دار الفَرْبِ الْإِسْلَامِيّ

ص.ب: 5787/113

بَیروت - لَبْنَان

إهداء

إليك راحل يوم عرفات 1410

عاطف أخي الحنون

خطفتك يد المنون

لاحقاً بأخيـنا عاصم الحبيب

راحل أضحى 1406

فلي الصبر، ولكمـا الخلود

هُمُ الْمَصَابِيحُ وَالْخُصُونُ
وَالْخَفْضُ وَالْأَمْنُ وَالسَّكُونُ
حَتَّى تَوَفَّتْهُمُ الْمَنُونُ
وَكُلَّ مَاءٍ لَنَا عُيُونُ

فَيَا حَسْرَتِي مِنْ فِرَاقِ قَوْمِ
وَالْمَزْنُ وَالْمُدُنُ وَالرَّوَاسِي
لَمْ تَتَغَيَّرْ لَنَا اللَّيَالِي
فَكُلُّ جَمْرٍ لَنَا قُلُوبُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
لَمْ يَجْعَلْ لِلْخَلْقِ سَبِيلًا إِلَى مَعْرِفَتِهِ
إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجع علاقتي بابن العريف إلى سنة 1980 عندما كنت أحضر رسالة الدكتوراه في موضوع «الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين»، عند بحث ثورة المرينيين وما صاحبها من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية. وكان الموضوع جديداً وصعباً لعدم وجود مصادر ترشد لتقييم هذه الأحداث، ولكن بتوفيق من الله سبحانه وتعالى استطعت أن أتوصل إلى معلومات قيمة وجديدة. وكان من ضمن المصادر التي اعتمدت عليها مخطوط مفتاح السعادة لابن العريف، وكان الأب بولس نويّا أول من أشار إلى هذا الكتاب، واستغل منه بعض الرسائل في بحث قدمه لمجلة الأبحاث التي تصدرها الجامعة الأميركية ببيروت سنة 1978 - 1979 واستنتج منها أفكاراً جديدة.

كان لا بد لي من دراسة هذا المخطوط دراسة متأنية لأنه في صميم بحثي، وبالفعل استطعت بعون الله أن أضيف الجديد. وبعد حصولي على الدكتوراه وجدت لزماً علي أن يخرج هذا المخطوط إلى النور خصوصاً أن عوامل الزمن أثرت في صفحاته، فعكفت على قراءته مرات عديدة، ولكن وجدت أنه من الضروري خوض بعض من تجربة المتصوفة، حتى أستطيع أن أفهم هذا السلوك، وأحس ببعض المعاناة، فكنت آخذ نفسي من وقت إلى آخر ببعض ما قرأت في كتب التصوف، ثم أتوقف حتى يتسنى لي استجماع نفسي واستعادة توازني، ولملّة شتائي، لذلك آخذ مني هذا المخطوط وقتاً طويلاً، وسنوات عدة لأنه صحح بعض الأفكار التي استنتجها سابقاً.

وجاءت مشكلة نسخ المخطوط، إذ أشار الأب بولس نويّا إلى أنه وجد ثلاث رسائل من ابن العريف موجهة إلى ابن برجان وبعضاً من كلام ابن العريف لم يذكر عدد صفحاته ضمن مجموع الرسائل الصغرى لابن عباد الرندي في النسخة التي كانت في حوزة السيد عبد السلام بن سودة، وهذه النسخة لم استطع الحصول عليها للأسف

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي
خلقنا من طين
وخلقنا من طين
والله اعلم
بما كنا
والله اعلم
بما كنا

الحمد لله الذي
خلقنا من طين
والله اعلم
بما كنا

الحمد لله الذي
خلقنا من طين
والله اعلم
بما كنا

والله هو الذي اعادكم بكل نفعه علموا ان دهركم في نفعه علموا
العلم بما كان وما يكون وما لم يكن الا في علمه تعالى يقول
هذه آياته حتى يفرحوا بربهم الذي هداهم لهذا الذي كانوا
لا يحصونه قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليه ان قد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معه الكتاب
والفكر والهدى فان لم تنشكروا فاعلموا ان الله قد
يعلم ما كنتم تعملون قال تعالى يا ايها الذين آمنوا
اذكروا نعم الله عليكم انكم كنتم كفرا فابعدناكم
عن ذلك فجاءكم رسولنا فكنتم من المسلمين فغضب
الله عليكم لانه اخرجكم من دياركم وكنتم كفرا منه
فابعدناكم عن دياركم وعن اهلها فابعدناكم عن
كل ديار ومن دياركم فابعدناكم عن كل ديار فاعلموا
ان الله قد يعذب الكافرين قال تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعم الله عليكم انكم كنتم اعداء
فجعلناكم اهل بيوت آمنين فاعلموا ان الله قد
يعلم ما كنتم تعملون قال تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعم الله عليكم انكم كنتم اعداء
فجعلناكم اهل بيوت آمنين فاعلموا ان الله قد
يعلم ما كنتم تعملون قال تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعم الله عليكم انكم كنتم اعداء
فجعلناكم اهل بيوت آمنين فاعلموا ان الله قد
يعلم ما كنتم تعملون

[illegible]

حتى أتتحقق من عدد القطع المنسوبة لابن العريف . ولكن على ما يبدو من كلام الأب بولس عددها قليل جداً .

ثم وجدت في دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمجروت الصادر سنة 1985 عن وزارة الأوقاف من إعداد الأستاذ محمد المنوني ، أنه توجد نسختان لمفتاح السعادة ضمن مجموعين ، لذلك اضطررت إلى تأجيل طبع نسخة الخزانة الحسنية (الملكية) حتى أقابلها بنسخ تمجروت ، وقد سافر الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة مشكوراً إلى تمجروت وزودني بصورة للنسختين .

لكن بعد أن تفحصت النسختين وجدت أن لا علاقة بينهما وبين نسخة الخزانة الحسنية . فالمخطوط الأول تحت رقم 1620 بعنوان «مفتاح الشهادة لأهل الإرادة في الطهور والكسوة للحضرة الرفيعة» وهو من تأليف أبو الحسين علي صالح . وهو ضمن مجموع يشمل :

1- شرح العقيدة السنوسية الصغرى - لمحمد بن محمد بن إبراهيم الملاي التلمساني .

2- أرجوزة في التوقيت - مجهول .

3- سراج الإسلام - لسليمان بن خلف الباجي .

4- الخواص القرآنية - مجهول .

5- مفتاح السعادة - مكتوب خطأ من تأليف ابن العريف .

6- شرح حزب البحر للشاذلي - لأحمد بن محمد بن عيسى البرنسي عرف بزروق .

والمخطوط الثاني تحت رقم 1687 مجموع يشتمل على :

1- تصفية القلوب في الوصول إلى حضرة علام الغيوب - لأبي القاسم محمد بن أحمد ابن أحمد بن جزي .

2- بداية الهداية - لأبي حامد الغزالي .

3- مفتاح السعادة لأهل الإرادة - لأبي العباس بن العريف .

4 - ترتيب التصوف التساعي - لعلي بن يوسف القرشي .

وبعد قراءة سريعة للمخطوطتين وجدت أنَّهما نسخة واحدة لمؤلف واحد لا تختلف إحداها عن الأخرى إلا أن إحداهما كتب فيها أنها من تأليف ابن العريف والأخرى من تأليف أبو الحسين علي صالح ، وهذا يستدعي تحقيقاً وقراءة متأنية لمعرفة المؤلف الحقيقي (*) .

لهذا كان اعتمادي على النسخة الوحيدة بالخزانة الحسنية لإخراج هذا المؤلف لابن العريف .

عصمت عبد اللطيف دندش

الرباط أغسطس 1992

(*) ذكر ابن عباد الرندي في تفسيره للحكم العطائية مؤلفاً لابن العريف بعنوان مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الإرادة .

دراسة التصوف في الغرب الإسلامي يكتنفها كثير من الصعوبات خصوصاً التعامل مع كتب التصوف، وتبرز هذه المشكلة في أن معظم كتب التصوف قد فقدت، كما أنها كانت قليلة التداول، وذلك لموقف فقهاء المالكية من التصوف عموماً، مما جعل تداول هذه الكتب محددًا ومقتصرًا في الغالب على فئة المتصوفة الذين كانوا يعتبرونها من خصوصياتهم لا يجوز الكشف عنها للآخرين .

ودراسة رسائل ابن العريف مفيدة لكل من يريد أن يتعلم ويقف مباشرة على ما كان يدور بين هؤلاء المتصوفة من أسئلة، ويتبين الطريقة التي يحاولون الوصول بها إلى طريق الإرادة، والتقرب إلى المولى عز وجل، وما هي الصعوبات التي يلاقونها، والأزمات والصراعات النفسية التي يمرون بها قبل الوصول إلى بغيتهم والظفر بالمشاهدات الوجدانية .

كما تظهر أهمية رسائل ابن العريف وكلامه في معرفة آداب الشيخ مع مريديه، وكيفية تعامله معهم، وطريقة إرشادهم للطريق، والموضوعات التي كانت محل بحث ومثار مناقشة وحوار بين المريدين بعضهم بعضاً، وبينهم وبين شيخهم، أو العكس كما تبين علاقة هؤلاء المتصوفة بأقرانهم .

فيا أيها القارئ العزيز،

لا بد وأنت واجد بعض الهنات والعثرات، فأستميحك عذراً فالكمال لله وحده، إذ أن دراسة التصوف أو الغوص في معرفته من الأمور الصعبة، خصوصاً في عصرنا. ومن الذي يقدر منا على سلوك مسلكهم؟ أو الانتظام في طريقهم بعد أن حجبنا الشهوات واسترقنا العادات؛ ووقفنا مع الرسوم والطلول، ومنعنا عن الوصول، واغتالنا الأعداء والأهواء بفنون التزيين والإغواء، فعميت البصائر، وأظلمت السرائر، فلم يبق

لنا في هذه المسألة نصيب إلا التسليم لأهله، واستعمال حسن الظن في محله، والتماس
الفتح من الفتح العليم، والهداية إلى صراطهم المستقيم مع اعتقاد التنزيه ونفي
التشبيه، وهو طريق مخصوص بالسلامة من الآفات، مخلص لأمثالنا من ارتكاب
الجهالات، متضمن حسن الأدب مع الأولياء الصالحين.

يقول أبو المعالي الجويني :

من اطمأن إلى موجود، انتهى فكره، فهو مشبه،

ومن سكن إلى النفي المحض فهو معطل،

ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد.

عصر ابن العريف (*)

شهد عصر المرابطين تطورات حضارية في شتى مجالات الحياة، كما يعتبر مرحلة انتقال متميزة بين عصرين، عصر ملوك الطوائف، وعصر الموحدين، إذ جمع بين متناقضات عصر الطوائف وما حدث من تطور في عهد المرابطين. وكانت الفترة التي عاشتها دولة المرابطين قصيرة، قضت معظمها في الجهاد، إما في المغرب جنوب الصحراء في بلاد السودان، وإما في داخل المغرب أو في الأندلس.

والجيل الأول من المرابطين كان حديث عهد بحركة الزهد والتقشف التي عاشوها في رباط ابن ياسين، فلما دخلوا الأندلس لم يتأثروا كثيراً بها، «فكانوا رجالاً لا عهد لهم بالدعة، ولا علم عندهم برخاء العيش، إنما هم أحدهم فرس يروضه ويستفره، أو سلاح يستجيده، أو صريخ يلبي دعوته»⁽¹⁾.

لكن هذه الحياة البسيطة لم تستمر طويلاً خصوصاً بعد وفاة الأمير يوسف بن تاشفين، فقد أثرت الحياة الأندلسية المترفة على الجيل الثاني، الذي لم يكن من الممكن أن تستمر مقاومته لحياة الأندلس وحضارتها المتقدمة، وخصوصاً بعد تدفق الغنائم وتكدس الأموال، فاختلط هذا الجيل بأهل الأندلس، واتخذ معظمهم زوجات أو محظيات منه، فنشأ جيل أشبه بجيل جديد من المولدين، تلقى تربيته وتعليمه على أيدي أندلسية، بعيداً عن بساطة الصحراء وشظفها.

ظهر التحول واضحاً في عهد الأمير علي بن يوسف في كل مظاهر الحياة، وبرغم ما

(*) لم أتعرض هنا بالتفصيل للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ سبق أن قمت بدراسة موسعة في كتاب «الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين» صدر عن دار الغرب الإسلامي 1988.

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 163.

عرف عنه من تقشف وميل إلى الزهد⁽²⁾، إلا أن الكثير من الأمراء والقواد والولاة انغمسوا في الحياة المترفة، واتخذوا مجالس الشعراء والمغنين والندماء، كما تأنقوا في المأكّل والملبس⁽³⁾، وهذه سنة الحياة في كل العصور.

لم يقتصر الأمر على المرابطين، فقد ظهرت العديد من الأسر الغنية التي ملكت الأموال الكثيرة والتي استثمرتها في الصناعة، والتجارة والزراعة، وساعدتها ثروتها على هيمنتها وبسط نفوذها في شتى المجالات السياسية والإدارية والاقتصادية، بل والدينية أيضاً. ولم يتوقف تأثيرها على هذه المجالات فقد احتلت مركز الصدارة في ميادين الثقافة والفكر، سواء في الفكر السياسي أو التشريع، وليس معنى ذلك أن هذه الطبقة كانت تصدر الأوامر مباشرة إلى العلماء والشعراء والفنانين وغيرهم ليعالجوا موضوعاً ما بطريقة معينة، ولكن احتلالها مركز الصدارة والقيادة في المجتمع أتاح لها المجال لتحقيق توجيهاتها ومقاصدها سواء التوجيه مباشراً أو غير مباشر.

وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك تيارات فكرية وثقافية تولدت بعيداً عن هذه الطبقة، فقد تولدت تيارات كانت تسير ضد مصالحها أيضاً، ولكن المجال لم يكن متاحاً لتطور مثل هذه التيارات، نظراً لعدم دعمها من قبل النظامين الاقتصادي والسياسي القائمين، علاوة على تجاهل أو إهمال المؤرخين لها، لأنها تتعارض مع ميول الطبقة الحاكمة وطبقة الخاصة (الأرستقراطية - الغنية) على الخصوص، ولأن هذه الطبقة قاومت هذه التيارات بشدة وعنف لأنها تهدد مصالحها.

كانت طبقة الخاصة لاهية عما يحيط بالبلاد من أخطار، غير مبالية إلا بمصالحها، متباعدة عن مسرح الأحداث الكبرى التي انفرد بتدبيرها المرابطون من جهة والقشتاليون من جهة أخرى، وتدهورت الأحوال الاقتصادية والسياسية بعد نجاح فتنة المهدي بن تومرت وانشغال المرابطين بها في المغرب عن جهة الأندلس، مما أتاح الفرصة للقشتاليين لزيادة ضرباتهم الموجهة للأندلس، ونجاحهم في الاستيلاء على كثير من المدن والحصون.

(2) ن. م. ص 171.

(3) انظر كتابنا السابق.

في هذه الظروف المتناقضة ، وكرد فعل لما يسود المجتمع من انحلال وتفسخ وعدم مبالاة ، لجأ البعض إلى العزلة والانزواء ، واتخذ من التصوف ملاذاً وملجأً لما يراه في هذا المجتمع ولا يملك تغييره ، لعله يجد في كثرة العبادة والاستغراق فيها ، والبعد عن الناس ، مخرجاً لما يعانیه ، فانتشرت الزوايا والربط في المغرب والأندلس التي لزمها العباد والمتصوفة .

قوبل هذا الموقف السلبي من هذه الجماعة (المتصوفة) بموقف سلبي من الدولة في بداية الأمر ، واختلفت آراء ومواقف الفقهاء تجاههم ، وفقهاء المالكية لهم رأيهم المعارض للتصوف ، خاصة التصوف الذي ظهر في الغرب الإسلامي والذي تأثر بآراء المتكلمين والفلاسفة والشيعة ، وانتشرت كتب الغزالي وإخوان الصفاء بين هؤلاء المتصوفة ، وكان لفقهاء الأندلس ، خاصة فقهاء قرطبة ، موقفهم المعادي لكتب الغزالي وعلى الأخص كتابه الإحياء الذي وجدوا فيه خطراً على أفكار الناس بعد أن تداولته الأيدي من خاصة وعامة ، مما جعلهم يقررون مجافاته لظاهر الشريعة ، وساذج العقيدة ، لما يحويه من أحاديث ضعيفة ، وآراء كلامية بعيدة عن أذهان العامة ، فحذروا الناس من مطالعته والنظر فيه ، وحرصوا السلطة الحاكمة على متابعة المنع ، غير أن هذا المنع أتى بنتيجة عكسية فكل ممنوع مرغوب ، إذ زاد إقبال الناس على قراءة هذه الكتب ، وحفظها ، واتخذ المتصوفة من الغزالي وكتبه نموذجاً يقتدون به في حياتهم الصوفية .

وبرز في الغرب الإسلامي في فترة حكم المرابطين عدد كبير من شيوخ التصوف ومريديهم ، الذين انتشروا في جهات عديدة من الأندلس⁽⁴⁾ ، وكانت ألمرية وقرطبة وإشبيلية من أهم مدن الأندلس التي لمع بها عدد كبير من شيوخ التصوف كابن العريف ، وابن غالب وابن برجان وغيرهم⁽⁵⁾ .

وللمرية وضعيتها المتميزة بين مدن الأندلس ، فهي أشهر موانيه التي تعج بالمسافرين من طلبة العلم والتجار والحجاج والوافدين إليها من جهات عديدة من العالم الإسلامي وغير الإسلامي ، حاملين معهم الأفكار والتيارات الثقافية التي تروج في

(4) د. عصمت دندش : أضواء جديدة على المرابطين - دار الغرب الإسلامي 1990 بيروت .

(5) ن. م .

هذا العالم، كما أنها كانت مدينة صناعية هامة يسكنها آلاف العمال والصناع من كل فن، وكانت ملتقى الفارين من هجوم النصارى خصوصاً بعد سقوط سرقسطة وغيرها من مدن الثغر الأعلى، فهاجر إليها عدد كبير من علمائها ومفكرها، كل هذه العوامل جعلت منها مدينة متميزة لها خصوصيتها عن بقية مدن الأندلس من الناحية الفكرية والمزاج العام الذي يسودها⁽⁶⁾. فكان لعلمائها موقفهم الخاص⁽⁷⁾ تجاه الأمر بإتلاف كتب الغزالي ومنع قراءتها والذي أفتى بها فقهاء قرطبة⁽⁸⁾، كذلك كان للتيار الصوفي بالمرية خصوصيته والذي تَزَعَّمه أبو العباس بن العريف.

وأبو العباس بن العريف هو أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، وسمي بابن العريف لأن والده كان يعمل عريفاً بحرس الليل بمدينة طنجة، والعريف هو القائم بأمر الجماعة. رحل والده من بلده الأصلي طنجة إلى ألمرية والتحق بخدمة ابن صمادح حيث عمل بمعسكر قصبة ألمرية التي كانت تحت حكم أسرة معن بن صمادح أحد ملوك الطوائف، والتي حكمت من 433 هـ إلى 484 هـ (1041: 1091م)⁽⁹⁾.

ولد أبو العباس أحمد بن العريف بمدينة ألمرية يوم الأحد بعد طلوع الفجر ثاني جمادى الأولى سنة 481 هـ / 1088م، ونشأ في بيئة متواضعة أقرب إلى الفاقة والعوز، مما دفع والده إلى إرساله لحائك كي يتعلم مهنة الخياطة، غير أن الصبي الصغير كان ينفر من هذه الحرفة، ويميل إلى طلب العلم، فكان يهرب إلى مجالس العلم المنتشرة بالمرية يستمع إلى القرآن وعلوم الحديث واللغة ويبحث عن الكتب يقرؤها، فكان والده ينهائه ويخوفه ويشتد عليه حتى كاد يقضي عليه، فلما لم يجد معه فائدة من ثنيه عن طريق العلم تركه لشأنه⁽¹⁰⁾.

اجتهد ابن العريف في طلب العلم وتردد على شيوخ المرية، ومرسية، وقرطبة ينهل

(6) د. عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين الباب الخاص بثورة المرينيين.

(7) تزعم حركة المعارضة أبو الحسن البرجي، وأبو بكر عمر بن الفصيح، وأبو القاسم بن ورد.

انظر ابن عبد الملك، الذيل والتكملة سفر 5 قسم 1، رقم 604 ص 308.

(8) ابن القطان: نظم الجمان ص 14، 15.

(9) ابن الأبار: المعجم رقم 14 ص 18، التادلي: التشوف رقم 18 ص 118.

(10) ن. م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 1، رقم 68، ص 168.

من علمهم، فكان من شيوخه أبو الحسن البرجي⁽¹¹⁾، وأبو محمد عبد القادر القروي المعروف بابن الحناط⁽¹²⁾، وأبو بكر عمر بن رزق المشهور بابن الفصيح⁽¹³⁾، وأبو جعفر الخزرجي⁽¹⁴⁾، وأبو علي الصدفي⁽¹⁵⁾، وأبو القاسم بن النحاس⁽¹⁶⁾، وأبو خالد يزيد مولى المعتصم⁽¹⁷⁾، وأبو القاسم خلف بن محمد بن العربي⁽¹⁸⁾، فأخذ عن هؤلاء القرآن الكريم، وتعلم القراءات، وسامع الحديث وجمع الروايات واللغة، وروى كتاب الفصوص لصاعد⁽¹⁹⁾، فصار «عنده مشاركة في أشياء من العلوم، وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام لطرقها وعللها وحملتها»⁽²⁰⁾، وبرع في إجادة الخط فكان يكتب سبعة خطوط لا يشبه بعضها بعضاً⁽²¹⁾. وقد استجاز من أبي القاسم بن بشكوال قال: «وقد استجاز من تألفي هذا وكتبه عني، وكتبت إليه بإجازته مع سائر ما عندي، واستجزته أنا أيضاً فيما عنده، فكتب لي بخطه ولم ألقه، وخاطبني مرات»⁽²²⁾. وللأسف لم يذكر لنا ابن بشكوال شيئاً عن الكتب التي استجازها من ابن العريف برغم ما عرف عنه من دقة، «كما كانت بينه وبين القاضي عياض مكاتبات حسنة»⁽²³⁾ ولم يذكر ابن خلكان نوعية هذه المكاتبات، والمرجح أنها تتعلق بالتصوف، وقال ابن خير الفاسي الإشبيلي صاحب الفهرسة الشهيرة «أخذت عنه [أي ابن العريف] واستفدت منه مواعظ ووصايا، وذاكرته في أشياء من طريق الصوفية وأفادني»⁽²⁴⁾.

(11) ترجمته في ابن عبد الملك: م. س. سفر 5، قسم 1، رقم 604، ص 308.

ابن الأبار، م. س.، رقم 253، ص 271 : 273.

(12) ترجمته في ابن بشكوال: الصلة رقم 839 ص 371، ابن الأبار، م. س.، رقم 85 ص 98.

(13) ابن بشكوال: م. س. رقم 868، ص 383.

(14) ابن فرحون: الديباج ص 50.

(15) ابن بشكوال: م. س. رقم 330، ص 143.

(16) الضبي: بغية الملتبس، رقم 718، ص 274.

(17) ابن الأبار: التكملة، ج 2، رقم 2106، ص 742، ط. مجريط 1887.

(18) ابن بشكوال: م. س. رقم 398، ص 172.

(19) ابن الأبار: م. س. رقم 14، ص 18.

(20) ابن خلكان: م. س. ابن بشكوال: م. س. رقم 176، ص 83.

(21) ابن الأبار: م. س.، الضبي، م. س.، رقم 360، ص 154.

(22) ابن بشكوال: م. س.، رقم 176، ص 83.

(23) ابن خلكان: م. س.

(24) ابن خير: الفهرسة ص 460، التادلي: م. س. ص 118.

لمع اسم ابن العريف وجلس للإقراء بالمرية، وغدا عالماً كبيراً «فجاء نسيج وحده»⁽²⁵⁾. واعترف والده بخطئه وقلة إدراكه فكان يقول عند زيارة أصحاب ابنه «رأي ابني كان أرشد من رأيي»⁽²⁶⁾.

لم يقتصر نشاط ابن العريف العلمي ببلده المرية، فقد أقرأ بسرقسطة وبلنسية⁽²⁷⁾، فكان فقيهاً وراويّاً مجرحاً ومجوداً بارعاً⁽²⁸⁾، كما كان له منشور ومنظوم رقيق⁽²⁹⁾، ولفت أنظار معاصريه بخطه المتنوع البديع، وعهد إليه بتولي الحسبة بمدينة بلنسية بجانب جلوسه للإقراء بمسجدها⁽³⁰⁾.

ويذكر ابن العريف سبب توليه للحسبة من خلال ذكره حكاية نسبها لأحد أصحابه في الرسالة التي أرسلها إلى صديقه الصوفي الكبير أبي الحسن بن غالب في قرطبة، ويحدد الأسباب في أربعة بقوله:

«لأخط من نفسي فإني كنت عند الناس فوقها، والثاني لأجرب نفسي عند الأمر والنهي والجاه والمال، والثالث لينكشف لي ما عليه الحكام من إظهار الحق وإبطاله، والرابع لأقدم ذلك فيما عسى أن أمتحن به من أمر ولاية فأكون على بصيرة من الإقدام والإحجام»⁽³¹⁾.

(25) ابن الأبار: م. س. رقم 14، ص 18.

(26) ن. م.

(27) ن. م.

(28) ابن بشكوال، م. س. رقم 176، ص 83، ابن خلكان م. س.

(29) التادلي. م. س. وكتاب ابن العريف محاسن المجالس به كثير من شعره، كما سوف أورد في أشعاره فيما بعد.

(30) ابن الأبار: م. س.

وترجمة ابن العريف من المصادر الآتية: ابن الأبار: المعجم رقم 14 ص 18، الضبي: بغية الملمس رقم 360 ص 154.

ابن بشكوال: الصلة ج 1 رقم 176 ص 83، التادلي: التشوف رقم 18 ص 119.

ابن خلكان: وفيات الأعيان ج 1 رقم 68 ص 168، الذهبي: سير النبلاء ج 20، رقم 68، ص 113.

ابن فرحون: الديباج ص 58.

(31) من رسالة ابن العريف إلى ابن غالب رقم 5.

ولا نعرف تاريخ توليه هذه المناصب، ولكنها بما لا شك فيه أنها كانت قبل استقراره في ألمرية والمرجح أنها قبل عام 520هـ، إذ بعدها أوقف نفسه على تعليم الصبيان في مسجدها نظير أجر زهيد يسد به حاجته وحاجة أسرته، ولا تسعفنا المصادر بمعرفة أسرته وأولاده، فوالده لا نعرف تاريخ وفاته، ويبدو أنه توفي بعد استقرار ابنه في ألمرية وشهرته بين أقرانه، فقد كان يفتخر به عندما يلتقي بأصحاب ابنه، ويبيدي لهم ندمه على قسوته عليه عندما كان صغيراً ليجبره على تعلم حرفة الحياكة وترك العلم، والاحتمال كبير في أن والدي ابن العريف كانا يعيشان معه، وكان شديد العطف على أمه متعلقاً مشفقاً على ضعفها حتى أنها كانت من الأسباب القوية التي تمنعه من السفر إلى قرطبة للقاء أصحابه إشفافاً عليها من جزع فراقه⁽³²⁾.

وكان ابن العريف يعول أخته الأرملة زوجة أبي جعفر⁽³³⁾ أحد أصدقائه والمقربين إليه الذي توفي تاركاً طفلاً صغيراً اسمه عبد الرحيم فأشفق عليه ابن العريف وضمه إلى حضناته⁽³⁴⁾، فقد كان متأثراً وحزيناً لفقد صديقه أبي جعفر. ونعرف أن له أخاً اسمه إسماعيل ويكنى أبا الوليد كان يحضر مجالسه ويميل إلى طريقتة في التصوف، وكتب عنه كثيراً من شعره، سافر إلى المغرب⁽³⁵⁾، كما نفهم من رسائله أن له قريباً يسمى أحمد كتب عدة كراريس في فنون العلم منها بعض كلام لأحمد بن قسي⁽³⁶⁾. ولم نستدل على أولاد لابن العريف، وإن ظهر من خلال الرسائل أن بعضهم كان صغير السن متعلقاً به⁽³⁷⁾.

كان ابن العريف مثلاً طيباً لرب الأسرة والزوج الشفوق والأب الحنون والابن البار، وكان ينصح أصحابه بحسن معاملة الزوجة وتعليمها الصلاة والقرآن الكريم⁽³⁸⁾، كما

(32) رسالة ابن العريف إلى أبي خالد يزيد [و 88].

(33) أبو جعفر ابن عم يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي الذي ذكره الضبي في بغية الملتبس في ترجمة رقم 360.

(34) رسالة إلى ابن غالب رقم 18 [و 52].

(35) ابن الأبار: التكملة ج 1 رقم 492، التادلي: م. س. رقم 18 ص 120، مفتاح السعادة [ط 57].

(36) رسالة إلى ابن قسي رقم 2 [و 97].

(37) ابن العريف: ن. م. [ط 27].

(38) ن. م. رسالة إلى أبي بكر عياش [و 89]، ورسالة إلى ابن غالب [ط 31].

كان مرتبطاً بأسرته يخشى فراقهم أو الابتعاد عنهم خصوصاً صغارهم . يقول في إحدى رسائله معتذراً عن السفر « إن ورائي من العيال من لا وجه لفراقه لما عندي من الشفقة عليهم ، وعندهم من العجز عن الصبر »⁽³⁹⁾.

وابن العريف هو العائل الوحيد لأسرته ، ويعتمد دخله على الأجر البسيط الذي يتقاضاه من تعليم الصبيان ، والذي لا يكاد يكفي حد الكفاف وهذا أحد الأسباب التي منعت من السفر إلى قرطبة أو أشيلية لرؤية رفاقه ، فلم يكن في وسعه تأمين معاشهم خلال فترة غيابه فيقول في إحدى رسائله « لو فتح الله لمن ورائي في شيء من حطام الدنيا حتى يستغنوا به عني ، فإنهم ذكروا من الدنيا مقداراً ما ، وزعموا أنهم لو وجدوه لم يبالوا فقدي مدة ما تتعدى كالشهرين والثلاثة ، فلو اتفق لهم ذلك لكنت أهون على نفسي من السفر في أيام الربيع ونحوها من السنة ما أمكنني ، وكنت أبحث على إخواني أذاكرهم شيئاً من العلم في المواضع التي كنت أتوجه إليها ، ثم انصرف إلى أهلي ووطني فأقضي من حقهم ما يلزمي »⁽⁴⁰⁾.

(39) ن.م. ط 27 .

(40) ابن العريف م. ن. [ط 28] .

رزق ابن العريف من القبول عند الناس ما لم يرزق غيره من شيوخ المتصوفة في عصره، فأقبل عليه الطلبة والمريدون يتأدبون بأدبه، ويأخذون عنه علوم القوم، كما كان العباد وأهل الزهد في الدنيا يقصدونه ويألفونه، فيحمدون صحبته لخفاوته بهم والشوق إليهم، وانتظار زيارتهم والقلق لغيابهم، وكان يستفسر عنهم وعن أحوالهم، ويسأل عن عائلاتهم وأبنائهم، داعياً لهم بالهداية والخير⁽⁴¹⁾.

وإذا كان هناك من المتصوفة من يشعر بلذة في تعذيب النفس كالحلاج، أو من يتلذذ بجنونه كالشبلي عندما يدعي الجنون بشكل لم يكن غريباً على أذكى المسلمين، أو من يتلذذ بهذيانه كالبسطامي، نجد ابن العريف يتلذذ بشقاء غريب، وشعور دائم بالوحدة، وعجز يفقده القدرة على الحركة أو السفر بسبب المرض، وحنين إلى السفر للقاء الأصدقاء، وقلقه الدائم عليهم وهذا ما يظهر من رسائله إليهم.

واتصف ابن العريف بروح خفيفة مرحة، وتبسط مع جلسائه، مما جعل بعض الناس يعيرون عليه ذلك، فلما بلغه هذا الكلام رد بقوله:

يَا مَنْ رَأَى ضَحِكِي عَيْباً وَمَنْقَصَةً	اللَّهُ أَعْلَمُ مَا أَبْدَى وَمَا سَتَرَ
الْمُجْنُ أَوَّلُهَا وَضَفِي وَآخِرُهَا	ظَنِّي بِرَبِّي إِذَا مَا غَائِبِي حَضَرَ
وَأَنْتَ وَجْهُكَ يَتَلَوُّ لِلْوَرَى عِبْساً	فَاخْذَرْ أَوْاخِرَهَا لَا تَتْرِكِ الْحَذَرَ ⁽⁴²⁾

ولابن العريف أسلوب رشيق، وشعر رقيق يدل على حساسيته المرفهة، وموهبته

(41) ابن بشكوال، م. س. وانظر إلى رسائله إلى أبي محمد عبد الغفور [و 85]، ورسائل إلى أبي بكر عياش [و 89]: ورسائله إلى ابن غالب ط 32، و 43، ط 44، و، ط 45، [ط 46].

(42) التادلي: م. س. رقم 18 ص 120.

العفوية، وشعوره الصادق، فكان يرفق رسائله ببعض من أشعاره إلى أصدقائه ومريديه، فمن شعره إلى صديقه أبي محمد عبد الله بن محمد بن الخلف الصدي المعروف بابن علقمة⁽⁴³⁾ من أهل بلنسية:

من عَجَب الدَّهْرِ وَأَيَاتِهِ سُكْرَةً تَغْزَى إِلَى عُلْقَمَةَ
خِيفَ عَلَيْهَا الْعَيْنُ مِنْ طَبِيعِهَا فَهِيَ بِأَضْدَادِ الْكُنَى مَعْلَمَةَ
بَيِّنَةُ الْمَعْنَى لِدِي فِطْنَةِ لَأَنهَا فِي اللَّفْطِ «عَلَقُ» وَ «مَ»⁽⁴⁴⁾

وذكر له ابن الأبار بعض الأبيات الشعرية الرقيقة في كتابه تحفة القنادم والذي انتقى فيه بعض أشعار أهل الأندلس:

قِفَا وَقْفَةً بَيْنَ الْمُحْصَبِ وَالْحِمَى نَصَافِحَ بِأَجْفَانِ الْعَيُونِ الْمَغَانِيَا
وَلَا تَنْسِيَا أَنْ تَسْأَلَا سَمُرَ⁽⁴⁵⁾ اللَّوَى مَتَى بَاتَ مِنْ سُمْرِ الْأَسِنَّةِ عَارِيَا
فَعَهْدِي بِهِ وَالْمَاءُ يَنْسَابُ فَوْقَهُ سَمَاءَ وَمَاءَ الْوَرْدِ يَنْسَابُ وَادِيَا
كَأَنَّ فُؤَادِي فِي قَمِ اللَّيْلِ كُلِّهَا رَأَيْتَ سَنَابِقَ الْوَرْدِ الْوَرْدِ الْوَرْدِ
أَقَاعَ عَلَى أَطْلَالِهِمْ ضَوْءَ بَارِقِ مِنَ الْحَسَنِ لَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ بَالِيَا
سَلَامٌ عَلَى الْأَحْبَابِ تَحْدُوهُ لَوْعَةٌ مِنَ الشَّوْقِ لَمْ يَفْقِدْ مِنَ الْبَيْنِ حَادِيَا⁽⁴⁶⁾

ومن ملبح نظمه

تَمَشَّى وَالْعَيُونُ لَهُ سَوَامِ وَفِي كُلِّ النَّفُوسِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ
وَقَدْ مَلِئْتُ غِلَاظَهُ شِعَاعًا كَمَا مَلِئْتُ مِنَ الْخَمْرِ الزَّجَاجَةَ⁽⁴⁷⁾

ومن شعره⁽⁴⁸⁾ الذي يستجلي به الخطيب إليهم ويستجفي له رطب النسيم:

(43) ابن الأبار: التكملة ج 2، رقم 1354 طبعة مجريط 1887.

(44) البلفيقي: المقتضب ص 20.

أوردت هنا أشعاراً لابن العريف غير موجودة في محاسن المجالس أو في طريق السعادة.

(45) نوع من الشجر صغير الورق قصير الشوك وخشبه يعد أجود الأخشاب.

(46) البلفيقي: م. س. ص 17.

(47) ن. م.

(48) هذه الأبيات من معجم ابن الأبار ص 21.

سَلُّوا عَنِ الشَّوْقِ مَنْ أَهْوَى فَإِنَّهُمْ
مَا زِلْتُ مُذْ قَلْبِي أَصُونٌ لَهُمْ
فَمَنْ رَسُولِي إِلَى قَلْبِي فَيَسْأَلُهُمْ
حَلُّوا الْفَوَادَ فَمَا يَنْدَى وَلَوْ وَطَّوْا
وَفِي الْحِشَانِ نَزَلُوا وَالْوَهْمَ يَخْرِجُهُمْ
لَأَهْضَمْنَ إِلَى حَشْرِي بِحُبِّهِمْ

أَدْنَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ نَفْسٍ (49)
لَحْظِي وَسَمْعِي وَنُطْقِي إِذْ هُمْ أَنَسَ
عَنْ مُشْكَلٍ مِنْ سَوَالِ الصَّعْبِ مَلْتَبَسٍ
صَخْرًا لِحَادِ بَيَاءٍ مِنْهُ مَنبَجَسٍ
فَكَيْفَ قَرُّوا عَلَى أَذْكَى مِنَ الْقَبَسِ
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيمَنْ خَانَهُمْ فَنَسَ (50)

ومن نظمه الحسن مخاطباً بعض إخوانه :

بِنَفْسِي إِذَا نَفْسِي أَنْابَتْ وَأَصْلَحَتْ
إِذَا ذَكَرَ الْمَوْلَى تَنَسَّمَ قَلْبُهُ
أَنْتَ أَخَ بَعْلَيْنِ رَائِدُ سِرِّهِ
أَبَى اللَّهُ أَنْ تَدْرِي ذَخَائِرُهُ الَّتِي
هِيَ حَسَنَاتُ الدَّهْرِ عِنْدَ كَمَالِهِ
مَحَبَّتُهُمْ فَارْضُ وَرُؤْيَتُهُمْ هُدًى

غَرِيبٌ جَرَتْ مِنْ مَقْلَتَيْهِ غُرُوبُ
وَإِنْ غَلَبَتْهُ النَّفْسُ كَادَ يَذُوبُ
إِلَى حَيْثُ لَا تَمْضِي الْعُقُولُ يَجُوبُ
إِلَى شِعْبِهِمْ مِنَ السَّمَاءِ تَصُوبُ
وَلَكِنْهُمْ عِنْدَ الْأَنَامِ ذُنُوبُ
وَلِلَّذِينَ مِنْهُمْ أَلْسُنٌ وَقُلُوبُ (51)

ومن شعره الذي عارض به أبياتاً لإسحق الموصلي (52) :

تُعَايِنِي فِي الْجُودِ وَالْجُودُ شَيْمَتِي
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْجُودِ، أَمَا حَدِيثُهُ

وَمَالِي يَتَبَدَّلُ الطَّبَاعَ زَعِيمُ
فَحَلُّوْا، وَأَمَا حُبُّهُ فَقَدِيمُ

(49) هذا البيت ناقص في التشوف .

(50) الأبيات مذكورة في التشوف ص 119 ، والمغرب ج 2 ص 211 ، والمعجم ص 21 ، ونفع الطيب ج 3 ص 229 ولكن باختلافات بسيطة في بعض الكلمات .

(51) التادلي : م . س . ص 118 ، 119 .

(52) وأمرة بالبخل قلت لها أقصري
أرى الناس خِلَانِ الجواد ولا أرى
أمن خير حالات الفتى لو علمته
فَذَلِكَ شَيْءٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
بَخِيلًا لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ
إِذَا نَالَ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ يَسِيلُ

وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعِيشُ بِعَيْشِهِ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ عَارٌ بِأَهْلِهِ
أَرَى كُلَّ طَلْقٍ كُلَّ خَلْقٍ حَمِيمِهِ
وَكَيْفَ يَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ يَحْرِمُ الْغَنَى

وَلَوْ أَنَّكَ فَزَوْقَ السَّمَاءِ مُقِيمٌ
وَمَا ضَرُّ مِثْلِي أَنْ يُقَالَ عَدِيمٌ
وَلَيْسَ لِمَقْبُوضِي الْيَدَيْنِ حَمِيمٌ
كَرِيمٌ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ كَرِيمٌ

فَعَالِي فِعَالِ الْمَكْثَرِينَ تَجْمُلًا
وَمَالِي كَمَا تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَدْعُ الْغَنَى
وَرَأَيْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ

انظر العباس بن إبراهيم : الأعلام ، ج 2 ص 12 .

ومن مدائحه النبوية في كتابه «مطالع الأنوار ومنايع الأسرار»⁽⁵³⁾

وَحَقِّكَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ قَلْبِي	يَجْبُكَ قَرْبَةً نَحْوَ الْإِلَهِ
جَرَتْ أَمْوَاهُ جَبْكَ فِي فِؤَادِي	فَهَامَ الْقَلْبُ فِي طَيْبِ الْمِيَاهِ
فَصُرْتُ أَرَى الْأُمُورَ بَعِينَ حَقٍّ	وَكُنْتُ أَرَى الْأُمُورَ بَعِينَ سَاهِي
إِذَا شَغَفَ الْفِؤَادُ بِهِ وَدَاداً	فَهَلْ يَنْهَاهُ عَنْ ذِكْرِهِ نَاهِي
يَهِيْمُ بِذِكْرِهِ وَيَحْنُ شَوْقاً	حَنِينَ الْمُسْتَهْـمِ إِلَى الْمَلَاهِي
يَخَامِرُهُ ارْتِيَا حَ مِنْهُ حَتَّى	يَقُولُ أَوْلَوِ الْجَهَالَةَ: ذَاكَ لَاهِي
وَمَا هُوَ حَقٌّ فَضَّلَ قَدْ رَأَاهُ	فَصَّارَ يَجِدُ فِي طَلْبِ الْمَلَاهِي
فَسَوْفَ يَنْبَالُ فِي الدُّنْيَا سُرُوراً	وَفِي الدَّارِ الْآخِرَةِ كُلِّ جَاهٍ
وَيُعْطَى مَا تَمْنَى مِنْ أَمَانٍ	كَمَا قَدْ حَبَّ مَحْبُوبَ الْإِلَهِ

وقال أيضاً رحمه الله :

يَا عَاذِلِي فِي طَلَابِي	دَعْنِي مِنَ الْعَزْلِ دَعْنِي
سَأَعْمِلُ الْعَيْسَ شَوْقاً	بِالْعَزْمِ دُونَ التَّأْنِي
إِلَى ضَرْيَحِ رَسْمٍ	مَصْدُقِ حَسَنِ ظَنِّي
أَشْهَدُ عَلَى كُلِّ فَجٍّ	حِينَ الْحَمَامِ يَغْنَمُ يَـ
يَا أَطْهَرَ الْخَلْقِ إِنِّي	بِذِلَّتِي عَبْدٌ قَنٌّ
فَبَاعْتُكَ الْيَوْمَ رَقِيٍّ	وَانْظُرْ بِعُطْفِكَ مِنِّي
فَأَنْتَ أَنْتَ مَوْلَاذِي	إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَعْنِي
إِنْ غَبْتَ عَنْ عَيْنِ جَسْمِي	مَا غَبْتَ عَنْ عَيْنِ ذَهْنِي
لَوْلَاكَ كُنَّا أَنْسَاءً	أَشْرَّ مَنْ كُلِّ جَنٍّ
فَإِذْ بَعَثْتَ رَسْمَ لَوْلَا	فَخَيْرَ فَضْلٍ وَمَنْ
فِي أَنْفِي عَبْدٌ سَمِوٌّ	قَلْبْتُ ظَهْرَ الْمَجْنُونِ

(53) هذه الأبيات من نفخ الطيب، ج 7 ص 497 : 499.

العباس بن إبراهيم، م. س. ص 21 : 23.

وقال أيضاً رحمه الله :

صلى الإله على النبي الهادي
صلى عليه الله ما اسود الدجي
صلى عليه الله ما انبلج السنا
صلى عليه الله ما همع الحيا
صلى عليه الله ما هَفَّتِ الصبا
صلى عليه الله ما أَلَفَ الكرى
صَلَّ على المختار أحمدَ ربُّه
صَلَّ على خير الأنعام محمد
صلى الإله على رسول حاشر
صلى الإله على رسول عاقب
صلى الإله على رسول خاتم
صلى الإله على المقفى ما اقتفى
صَلَّ على ماحي الضلال إلهه
صلى الإله على رسول فاتح
صلى الإله على نبي راحم
صلى الإله على نبي طالع
صلى الإله على نبي طالع
صلى عليه الله فهو نبيه
صلى عليه الله فهو رسوله
صلى عليه الله فهو خليله
صلى عليه الله فهو صفيه
صلى عليه الله فهو وليه
صلى عليه الله فهو المصطفى
صلى عليه الله فهو المجتبى
صلى عليه الله فهو المتقى

ما لاذت الأرواح بالأجساد
فكسا محيا الأفق بُرْدَ جِداد
فابيض وجه الأرض بعد سواد
فسقى البلاد برائح أو غادي
وشدا على فتن الأراكة شادي
جفن فخامره لذيد رقاد
ما استمسكت نارٌ بطي زناد
من خصَّه بالنور والإرشاد
حُشِرَ الأنعام لديه في الميعاد
في الدهر وهو بفضل كالهادي
ختم النبوة بالكتاب الهادي
بشر نبوته بغير عناد
ما غردت طير على الأعواد
فتح الظلام بنوره الوقاد
بالملة الغراء بعد فساد
رحم الإله به من الإبعاد
بملاحم قصمت فؤاد العادي
ناداه بالإرشاد خير مناد
أعطاه راية عَزْمَةٍ كُلَّ سداد
أسدى إليه منه كُلَّ سداد
صَفَّى سريرتَه من الأحقاد
وإلاه في الإصدار والإيراد
من كل حَضَّار العباد وبادي
يجبي إليه الخير دون نَقَاد
نور الزمان وواحد الأحاد

واختاره طوداً من الأطوادِ
وأعادته حياً لغير مَعَادِ
وأنا لله من ذاك كل مرادِ
في ظل عرش ثابت الأوتاد
فتضاعفت كتضاعف الأعداد
واختصه منه بخير أيادٍ⁽⁵⁴⁾

صلى عليه من يراه مطهراً
صلى عليه من يراه بفضلِه
صلى عليه من أراه جلاله
صلى عليه من أحل فؤاده
صلى عليه من غذاه بنعمة
صلى عليه من كساه عوارفاً

وما ينسب إليه أيضاً :

ولاح صباح كنت أنت ظلامه
ولولاك لم يطبع عليه ختامه
على موكب الكشف المصون خيامه
شهى إلينا نثره ونظامه
وزال عن القلب المعنى غرامه⁽⁵⁵⁾

بدالك شر طال عنك اكتامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه
فإن غبت عنه حلّ فيه وأطنبت
وجاء حديث لا يمل سماعه
إذا سمعته النفس طاب نعيمها

وفي هذه الفترة كانت هناك أصوات تنادي بإعفاء الناس من فريضة الحج نظراً للظروف التي كان يجتازها الغرب الإسلامي ، ونظراً للأخطار التي كان يتعرض لها الحجاج في رحلتهم إلى الأراضي المقدسة ، وقد شغل هذا الموضوع أمير المسلمين علي ابن يوسف⁽⁵⁶⁾ والناس ، وتوجهوا بأسئلتهم إلى فقهاء الأندلس ، فأفتى معظمهم بأن الجهاد

(54) المقرئ : ن . م . ج 7 ص 497 : 499 .

(55) العباس بن إبراهيم : م . س ، ص 23 .

(56) وكتب إليه (أي ابن رشد) - رضي الله عنه - أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين - أدام الله أمره وأعلى نصره - يسأله هل الحج أفضل لأهل الأندلس أو الجهاد؟

ونص السؤال : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ، جوابك - رضي الله عنك - فيمن لم يحج من أهل الأندلس في وقتنا هذا هل الحج أفضل أم الجهاد؟ وكيف إذا كان حج حجة الفريضة؟ . راجعنا في ذلك بما تراه موقفاً مأجوراً إن شاء الله .

ثم أرسل الأمير علي بن يوسف وهو بسبته سنة ٥١٥ هـ يسأله عن أهل العدو هل وضعهم مثل أهل الأندلس بالنسبة للحج أم لا؟

فكان جوابه على الرسالتين أن الجهاد أفضل .

انظر نص الأسئلة والإجابة عليها في فتاوى ابن رشد ، مسألة رقم 297 ج 2 ص 1021 ، =

والدفاع عن ثغور المسلمين أفضل من الحج . وأن فريضة الحج غير واجبة على أهل الأندلس والعدوة وكان على رأس هؤلاء قاضي الجماعة أبو الوليد بن رشد، وابن الحاج وابن حمدين وغيرهم .

كان ابن العريف من أنصار هذه الفتوى، بل كان يرى أن القيام ببر الأعيان والأشراف، وخدمة الفقراء، ومساعدة الضعفاء وقضاء حوائجهم من الأمور المفضلة على الحج، فهو يجيب أبا الوليد بن المنذر عندما أبدى رغبته في الحج والسؤال عن السفن التي تبحر من ألمرية إلى الديار المقدسة بقوله: «ولكن بلغني ما أنت عليه في موضعك من بر الأعيان والأشراف وإقامات حاجات الضعاف، وعمل منه واحد أفضل من كثير من الحج والغزو»⁽⁵⁷⁾

فإذا علمنا أن فتوى ابن رشد كانت في أواخر سنة 514هـ وبداية سنة 515هـ، ورسائل ابن العريف في الفترة ما بين سنة 525 - 529هـ أي بعد أن تدهورت الحالة الأمنية وتقطعت السبل بسبب فتنة ابن تومرت والموحدين، علاوة على خطورة الطرق البحرية لتعرض سفن المسلمين لغارات قراصنة النصارى، ولم تكن الطرق البرية بأفضل من البحرية، علاوة على أن الطرق إلى الديار المقدسة بالمشرق كانت غير آمنة للاضطرابات التي كانت تسود المشرق، لأحسنا بالمصاعب والمخاطر التي كان يتعرض لها المسلمون في رحلتهم سواء البحرية أو البرية، ومع ذلك فقد كان بعض الناس يجازف بالرحلة معرضاً نفسه للأخطار طمعاً في أداء هذه الفريضة المقدسة، ورغبة في لقاء العلماء .

ونظم من لم يستطع الحج القصائد في الحنين إلى مكة وزيارة قبر المصطفى عليه أفضل السلام، وكان البعض ينظم القصيدة ويعطيها لمن سنحت له فرصة الزيارة ليضعها عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان حنين ابن العريف إلى قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) جارفاً كلما علم

الونشريسي المعيار ج 1 ص 432 وفيه نفس الأسئلة الموجهة إلى ابن رشد ورأي ابن الحاج، وابن حمدين والطرطوشي والمازري وأبي بكر ابن العربي الذي كان يخالف هؤلاء الرأي في هذه النازلة .
(57) من رسالة لابن العريف إلى ابن المنذر رقم 2 [و 99] .

بـخروج ركب الحجيج وله في ذلك أبيات⁽⁵⁸⁾:

وكلهم باليـم الشوق قد باحـا	شدوا المطي ⁽⁵⁹⁾ وقد نالوا المنى بـمنى
طيـاً بما طاب ذاك الوفد أشباحـا	سارت ⁽⁶⁰⁾ ركائبهم تندى ⁽⁶¹⁾ روائـحها
روح إذا شربوا من ذكره راحـا	نسيم قبر النبي المصطفى لهم
زرتـم جـسوماً وزرنا نحن أرواحـا	يا واصلين إلى المختار من مـضري
ومن أقام على عذر كمن راحـا	إننا أقمنا على عذر وعن قدر

(58) الأبيات من ابن خلكان وفيات الأعيان ج 1 ، رقم 68 ص 168 ، ومن التشوف رقم 18 ص

118 ومن المقرئ نفع الطيب ج 4 ص 331 .

(59) من التشوف : شدوا الركاب ، ومن نفع الطيب : شدوا الرجال .

(60) في نفع الطيب وفي التشوف راحت .

(61) في التشوف تبدى .

بعض تلاميذ ابن العريف

جلس ابن العريف في سرقسطة وبلنسية وألمرية إذ كان فقيهاً ورارية مجرحاً ومجوداً بارعاً، فأخذ عنه الكثير من طلبة العلم، ورَوَّأ عنه واختص البعض منهم بصحبته، ونختار من هؤلاء النفس: ابن الإقليشي⁽⁶²⁾ (ت 550هـ / 1155م) وابن قرقول⁽⁶³⁾ (ت 569هـ / 1172م) وابن المدرة⁽⁶⁴⁾ (ت 530هـ / 1136م)، والأندرشى⁽⁶⁵⁾ (ت 581هـ / 1185م)، وابن ولم⁽⁶⁶⁾ (ت 557هـ / 1161م)، وابن نمارة الحجري⁽⁶⁷⁾ (ت 563هـ / 1167م)، وسعيد بن معاوية بن عبد الجبار

(62) هو أحمد بن محمد بن عيسى (أبو العباس) له رحلة إلى المشرق، توفي بصعيد مصر عند عودته سنة 550 هـ.

ابن الأبار: التكملة ج 1 رقم 167.

(63) هو أبو إسحق إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن باديس الوهراني توفي سنة 569 هـ بفاس.

ابن الأبار: ن. م. رقم 394.

(64) هو أبو عبد الله محمد بن عيسى الكتامي الأديب من ساكني قصر عبد الكريم، توفي في حدود سنة 530 هـ وقد صحب ابن العريف وروى عنه.

ابن عبد الملك: م. س. سفر 8 رقم 103 ص 309، ابن الأبار: م. س. ج 2 رقم 1335.

(65) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري، ويعرف أيضاً بابن اليتيم، وبالبلنسي توفي سنة 581 هـ.

ابن الأبار: ج 1، ن. م. رقم 221.

(66) هو أبو بكر محمد بن أبي بكر بن أبي الخليل التميمي توفي سنة 557 هـ وصحب ابن العريف ومال إلى طريقته.

ابن الأبار: ن. م. ج 2، رقم 1366، ابن عبد الملك: م. س. سفر 6، رقم 348 ص 139.

(67) أبو بكر محمد بن أحمد بن عمران بن عبد الرحمن بن نهاره صحب ابن العريف وامتنح بالسجن سنة 533 هـ، توفي سنة 563 هـ.

ابن الأبار: م. س. ج 2 رقم 1381 ص 501: 502.

الأموي⁽⁶⁸⁾ (ت 520هـ / 1126م)، وأبا الوليد زكريا بن عمر بن عبد الرحمن الأنصاري⁽⁶⁹⁾ (ت 590هـ / 1193م)، وعتيق بن مؤمن⁽⁷⁰⁾ (ت 548هـ / 1153م)، وابن خير الفاسي الإشبيلي وابن بشكوال وغيرهم.

(68) هو أبو عثمان سعيد بن معاوية بن عبد الجبار بن عباس الأموي النحوي، أخذ عن ابن العريف اللغة العربية والأشعار توفي سنة 520 هـ.

ابن بشكوال: م. س، رقم 387 ص 212.

(69) أبو الوليد زكريا بن عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، روى عن ابن العريف وتوفي سنة 590 هـ.

ابن الأبار: م. س. رقم 889.

(70) هو أبو بكر عتيق بن عيسى بن أحمد بن عبد الله بن مؤمن أخذ عن ابن العريف واختص به، وله مصنف جمع فيه كلام شيخه أبي العباس بن العريف نثراً ونظماً (وهو موضوع المخطوط الذي نحققه) وآخر جمع فيه كلام الزاهد أبي عبد الله بن يوسف السبتي بن الأبار ورسائله وحكمه، وله برنامج ضمنه رواياته، ورسالة في الفتن والأشراط توفي سنة 548 هـ.

ابن عبد الملك: م. س، سفر 5 قسم 1، رقم 242 ص 126.

علاقة ابن العريف بالمرابطين

يبدو أن علاقة ابن العريف بأمرء المرابطين كانت طيبة فلم يهاجمهم، وإنما هاجم بعض الفقهاء الذين تكالبوا على الدنيا وجمعوا الثروات، وتركوا مصالح الناس وأهملوها، وكان ينصح المريدين بتحاشي مهاجمة المرابطين أو القدح في دولتهم، وينكر على بعض المريدين الذين سقطوا في شرك مهاجمة الدولة سلوكهم هذا، ويعتبره من المنكر، بل أشد وأدعى إلى الفتنة، ولا يقصر في إبداء كراهته لهذا السلوك، فيقول في إحدى رسائله: «فأما الإنكار في العلانية على الحكام فإنه من فساد سر المنكر وإعلام ركوبه للحرام والكراهية، والمختار عند العلماء باتفاق منهم الإمساك عما في إنكاره إياه منكرًا آخر مساوياً أو أشد» (71).

كان من الممكن الشك في سلوك ابن العريف هذا واعتباره مجرد تقية، يستتر وراءها، ولكن تصرفات ابن العريف ورسائله تنفي مثل هذا الشك، فهو يرسل إلى جماعة من إخوانه المريدين بقرطبة يبين لهم أن أشد أنواع الإنكار، هو الإنكار على السلطان «لأنه حجة الله، ولا ينبغي أن ينكر عليه شيء من قوله أو عمله إلا بشروط منها السر والسر والرفق والعلم الكامل، وارتفاع التهمة البتة، وسلامة النية وأن لا يراد بذلك إلا وجه الله وحده» (72).

فهو يرى أن الشخص الذي اختار طريق الزهد والتصوف، عليه ألا يشتغل بأمور الدنيا، ولا يتطلع إلى أي خطة من خططها مهما صغرت أو كبرت، ويتعد عن ذكر أهلها بخير أو شر، ويشتغل بحاله ونفسه عن سواه، ويترك الإنكار على كافة الخلق

(71) ابن العريف: م.س. ط 90.

(72) ن.م. [و 73].

من الحكام أو غيرهم⁽⁷³⁾. فالشخص الذي يتخذ من الدين ستاراً لأغراضه الدنيوية ويجعل من سيرة الحكام مطية لأغراضه، وهو لا يعلم عن حياتهم الشخصية أو حياتهم العامة أو سلوكهم شيئاً ويروح ويغدو يشيع افتراءاته، لا يصح أن يكون مسلماً حقاً، حتى ولو شهر عنه الولاية «والله لو رأيت ولياً لله يمشي على الماء أو في الهواء، أو يعطي القوة في جميع الأشياء حتى يبلغ ذروة السماء، وفهمت منه أنه يشتغل بذكر خطة من خطط الدنيا أو تتعلق بوهمه أو تتصور في فهمه ما وثقت بشيء من حاله، ولعلمت أن حقه ممزوج بمحاله»⁽⁷⁴⁾.

وعندما اشتدت فتنة المهدي بن تومرت، واشتعلت في أنحاء المغرب، حاول بعض المريدين الانسياق في مثل هذا التيار، لكن ابن العريف كان له موقفه الواضح حيال هذا الدعي الذي اتخذ من الدين قناعاً، ومن الزهد لباساً، يخفي به غرضه الحقيقي، وهو تقويض الدولة، فيرسل ابن العريف إلى صديقه ابن غالب رسالة يقول فيها «إن الله أرحم بالأمّة أن يفتقر سلطانها الطاهر إلى شفقة واحد بعينه ورحمته، حتى لا تصلح إلا به، لا والله بل حق من أدعى أنه زاهد في الدنيا ونصب لذلك نفسه أن يزهد في ذكرها وفي ذكر أمورها كلها، أعلاه وأدناه، وفي أهلها وفي ذكرهم بخير أو شر فيدع الكل لصاحب الكل»⁽⁷⁵⁾.

وإذا كان ابن العريف ومريدوه في شرق الأندلس لم يولوا لحركة المهدي بن تومرت كبير اهتمام، فإنّ المريدين في غرب الأندلس بزعامة ابن قسي كان لهم رأي آخر. فهذا الجناح كان يعتبر من أجنحة المريدين الذي يميل إلى التطرف، نتيجة تأثره بكتب الباطنية وآرائهم، خصوصاً رسائل إخوان الصفاء التي انتشرت فيما بينهم بفضل تشجيع ابن قسي على قراءتها وتطلعه ليكون مهدي الأندلس، فكان يتابع نجاح ابن تومرت في المغرب باهتمام، ومع ذلك فلم يستطع أن يؤثر التأثير الفعال الذي كان لابن تومرت الذي اعتمد على العصبيات القبلية والتنافر القبلي الذي كان موجوداً في المغرب، كما كان مجتمع عدوة المغرب وتكويناته البشرية وتقاليده وثقافته تختلف اختلافاً بيناً عن

(73) ن.م. [و 90].

(74) ن.م. [ط 33].

(75) ن.م.

الأندلس، مما ساعد على نجاح دعوة ابن تومرت الذي استغل جهل الناس، وفراغ الساحة من فقهاء يبينون كذب دعواه، وتجاهل المرابطين لأمره في بداية أمره. كل هذه الأمور لم تكن متوفرة لابن قسي، حتى أصدقائه من المريدين لم يقتنعوا بفكرة المهدوية. فسأل أبو الوليد بن المنذر الشيخ ابن العريف عن المهدي الذي قيل أنه يملأ الدنيا عدلاً فأجابه برسالة طويلة منها «والقدح في الدول وانتظار مهدي يصلح به لا يعتقده حصيف، ولا يظن مثله بمسلم ضعيف، بكى الناس في ملك بني أمية وظهر المهدي فإذا هو ملك بني العباس، وحين ظهر وقع الناس في الندم وبكوا على بني أمية بالدمع والدم، ورأوا في سفك الدماء وانتهاك الحرم خلاف ما ظنوا ولا يقدر قدره إلا الله تعالى، وجنح أهل إفريقية من أمراء بني العباس وتكلموا فيه حتى ذكروا المهدي فإذا هو شيعي رافضي كافر، فألزمهم الله أحكام الكفرة بتعديهم في إنكار جور الجورة»⁽⁷⁶⁾. وينصحه في الأخير بقوله «فكن كما انت في إكرام الكبراء، وإنعاش الفقراء، ولا تبال بمن عاداك ظالماً لك، فإن الله مديك منه وعداً كان مفعولاً»⁽⁷⁷⁾.

ربما كان تعاطف ابن العريف مع أمراء المرابطين يرجع إلى اكتشاف حالهم، عندما مارس عمله كمحتسب وحسين سلوك هؤلاء الأمراء وإحساسه الدائم بخطر القيام على أولي الأمر، واشتعال فتنة تأتي على تضامن المسلمين في مواجهة الأخطار المحدقة بهم، وتحرش التصاري المستمرة وهجومهم على المدن الإسلامية، فوجد أنه الأفضل للمسلمين الدعوة للجهاد وانشغال كل شخص بنفسه.

(76) ن.م. [ط 99].

(77) ن.م. [و 100].

نكبة ابن العريف

أحدثت شهرة ابن العريف وإقبال الناس عليه غيرة بعض فقهاء ألمرية، خصوصاً قاضي قضاة الشرق أبي بكر محمد بن أسود⁽⁷⁸⁾، الذي أثارت آراء ابن العريف في الفقهاء والقضاة الذين انشغلوا عن مصالح المسلمين بكثر الأموال، وسباهم «علماء أهل السوء وكبراء أهل الدنيا المغرورين». وأحس ابن أسود أن ابن العريف يلمزهم بهذه العبارات، وحسد ابن العريف على حب الناس له، وقصدهم إياه لقضاء حوائجهم، وألفتهم واستثناسهم به لطبيعته السمحة المتواضعة، وقد وصفه ابن بشكوال بأنه:

«كان متناهياً في الفضل والدين منقطعاً إلى الخير، وكان العباد وأهل الزهد في الدنيا يقصدونه ويألفونه فيحمدون صحبته». وقال عنه ابن مسدي⁽⁷⁹⁾: «ابن العريف ممن ضرب عليه الكمال رواق التعريف، فأشرقت بأضرابه البلاد وشرقت به جماعة الحساد حتى سَعَوْا به إلى سلطان عصره، وخوفوه عاقبة أمره لاشتغال القلوب عليه، وانضواء الغرباء إليه»⁽⁸⁰⁾.

وهناك حادث ذكر في روض الرياحين (الحكاية التسعون بعد الأربعمائة) يبدو أن

(78) ترجمة القاضي أبو بكر محمد بن أسود في ابن الأبار: المعجم رقم 116، ص 126.

ابن بشكوال: م. س. ج 1 رقم 176، ص 83.

(79) هو الحافظ أبو بكر جمال الدين بن مسدي ويقال أبو المكارم بن أبي احمد يوسف بن موسى بن مسدي الأندلسي شيخ السنة وحامل رايها، له مسند غريب جمع فيه مذاهب العلماء المتقدمين والمتأخرين وكان يكتب بالقلمين المغربي والمشرقي وكلاهما في غاية الجودة ومثل هذا يعد نادراً توفي شهيداً سنة 366 هـ بمكة ومولده سنة 598 هـ.

المقري: نفع الطيب، ج 2 رقم 219 ص 594 وترجمته في شذرات الذهب ج 5 ص 313، تذكرة الحفاظ 1448.

(80) الذهبي: سير النبلاء ج 20 رقم 68.

لابن أسود دوراً فيه ، ويبدو أنه هو الذي أرسل إلى ابن العريف بهذا الرجل ، أو أن السلطة المرابطية تكون دست هذا الشخص للتأكد من نوايا ابن العريف . والقصة تقول : «عن الشيخ أحمد بن العريف - رضي الله تعالى عنه - قال : كنت يوماً قاعداً وإذا برجل غريب قد دخل علي المسجد وقال : يا سيدي أنت أحمد بن العريف ؟ قلت : نعم . قال : رأي راء البارحة رؤيا ، قلت : قل . فقال : كأنه يرى فساطيط صغاراً حول العرش وعليهن فسطاط عظيم قد اكتنف الجميع ، فقال : لمن هذا الفسطاط ؟ فقيل : للفقيه أحمد بن العريف ، فقال : وهذه الصغار ؟ فقيل : لأصحابه . قال ابن العريف - رضي الله تعالى عنه - : فتغيرت عليه وقلت له : ما حملك على إتيانك بمثل هذه الرؤيا لرجل مذهب مثلي ؟ فلما رأى تغيري قال : هون على نفسك أيها الشيخ ، فلعلك قنعت بيسير الرزق من الله تعالى ، ففنع منك بيسير من العمل . قال : ثم التفت إليه فلم أره ، فقلت لأصحابي : هذا أتاكم يعرفكم فقركم» (81).

ربما كان ابن العريف تحت المراقبة من السلطة الحاكمة ، خصوصاً في هذه الفترة التي خضع فيها معظم المتصوفة لعيون الدولة ، بعد أن كثر تخليط البعض منهم خصوصاً جماعة ابن قسي الذي حاول التشبه بمهدي الموحدين بعد نجاح دعوته . يقول ابن الخطيب : «فكثر جمعهم ووقع الحديث بهم ، وحذروا صاحب الدولة» (82) . لذلك كانت الفرصة مواتية للقاضي ابن أسود للتخلص من ابن العريف ، والإيقاع به ، فأعلن إنكار مذهبه مع جماعة من الفقهاء الموالين له ، وسعوا به إلى أمير المسلمين علي بن يوسف وحذروه من جانبه ، ولم يكفه ذلك بل سافر إلى مراكش ونجح في مقابلة أمير المسلمين وأوغر صدره على ابن العريف ، وحرضه على سجنه «وخوفه منه غاية التخويف» (83).

لم يقنع قاضي قضاة الشرق ابن أسود بذهابه إلى مراكش وتخريض الأمير علي بن يوسف ضد ابن العريف ولم ينتظر رده وأوامره في حق ابن العريف ، بل أسرع بمجرد عودته إلى مقابلة أمير ألمرية ونجح في اقناعه بالقبض على ابن العريف وإشخاصه إلى

(81) العباس بن إبراهيم : م . س . ج 2 ص 20 .

(82) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 249 .

(83) ابن الأبار : المعجم ، رقم 14 ، ص 19 .

مراكش مع الذين صدر الأمر بتغريبهم إليها، وهما الشيخ الإمام أبو الحكم بن برجان الذي أزعج من إشبيلية وأبو بكر الميورقي الذي رُحِّل من غرناطة، وزيادة في الحيلة نصح العامل بتقييد ابن العريف وتكيله حتى لا يتمكن من الهرب⁽⁸⁴⁾.

غير أن الأمير علي بن يوسف عندما أخبر بإشخاص ابن العريف مكبلاً مع رفيقيه ابن برجان والميورقي، غضب وأمر بإطلاق سراح ابن العريف وحسن معاملته، فلما وصل ابن العريف إلى سبتة، وافاه رسول أمير المسلمين بالأمان وأمر بحل قيوده وتسريحه وإكرام وفادته واعتذر له عما أصابه، إذ كان الأمير علي بن يوسف يحلُّ ابن العريف ويقدر فضله وصلاحه، وهذا ما جعل ابن العريف يقرر الذهاب إلى مراكش لرؤية الأمير علي بن يوسف الذي أقبل عليه وأحسن استقباله، وأبان حقه وأكرمه وسأله عن حاجاته، ولم يكن لابن العريف من مطالب سوى تركه لشأنه وحرية حركته وتنقله، فأجيب إلى ذلك⁽⁸⁵⁾.

إلا أن القاضي ابن أسود ازداد حقدًا لما ناله ابن العريف من حظوة لدى أمير المسلمين بعدما خاب مسعاه في الإيقاع بهذا الرجل الصالح فقيل أنه تحيل حتى تمكن من وضع السم له في طعام أكله فمات في صفر 536هـ (أكتوبر 1141م) ولم تكن إقامة ابن العريف قد تجاوزت بضعة شهور، وقد احتفل الناس لحضور جنازته ودفن بمراكش وظهرت له كرامات⁽⁸⁶⁾.

لم يسكت الأمير علي بن يوسف عندما علم بوفاة ابن العريف وصار يبحث عن أصل ذلك وسببه، إلى أن أنهى إليه خبر القاضي ابن أسود وما فعله لابن العريف، فأمر بتغريبه إلى السوس مقيداً، وقيل أنه أوعز بقتله بالطريقة التي قتل بها ابن العريف⁽⁸⁷⁾.

وقبر ابن العريف يُزار، وقد أشار المقري⁽⁸⁸⁾ إلى أنه زار قبره في سنة 1010هـ، وذكر

(84) انظر عن ذلك بالتفصيل في كتابنا نهاية المرابطين الباب الخاص بثورة المرينيين.

(85) ن.م. والمصادر التي اعتمدت عليها.

(86) التادلي: م.س.

(87) ن.م.

(88) المقري: م.س. ج 4 ص 331.

القاضي العباس بن إبراهيم⁽⁸⁹⁾ أن قبر ابن العريف «يتبرك به في تلك الديار ويستسقى به الغيث». وجدده مقامه القائد عبد الله بن بيه الحيحي سنة 1286 / وصرف على تجديده مالا كثيراً ومات بعد تجديده بعام فدفن خلف مقام ابن العريف، كما دفن بجوار قبر ابن العريف⁽⁹⁰⁾ الصوفي أبو العباس العطار الزاهد المتوفى سنة 1105 هـ⁽⁹¹⁾.

(89) ابن إبراهيم: م. س. ص 13.
(90)، (91) ن. م.

**تصوف ابن العريف
ومنهجه**

تصوف ابن العريف ومنهجه

تتضمن الحياة الروحية في التصوف نوعين من المعرفة، أحدها يتكون من الحقائق العقائدية وقواعد الأخلاق الدينية التي تعلم النفس المعايير التي يجب عليها اعتقاده وعمله لعبادة الله وبلوغ السعادة، والثاني يتكون من مجموع التجارب التي تصل إليها النفس بنور الإيوان تبعاً لمقاماتها في المعرفة وهي بسبيل عبادة الله سبحانه، أي أنه يتألف من الأفكار والعواطف والانفعالات الدينية التي هي في آن واحد علل ومعلولات لفضائل. أما الزهد فهو علم عملي وفن لعبادة الله ومنهج في الحياة وأداة ومرحلة تؤدي إلى التصوف، وأما التصوف فهو معرفة تجريبية وذوق لأحوال المعرفة التي تولدها في النفس المجاهدات الزهدية.

ويكتب ابن العريف خصوصاً للمؤمنين الورعين الذين كرسوا أنفسهم للحياة الروحية، لا لجمهور المؤمنين العاديين، لذلك يفترض مقدماً أن أولئك يعرفون قواعد السلوك والأخلاق التي ذكرها الغزالي في كتاب الإحياء، والمحاسبي، والقشيري في رسالته، وأبو طالب المكي في كتاب قوت القلوب، وعوارف العوارف للسهروردي، وكتاب يمن بن رزق.

كما يهتم بعامة المسلمين سواء المسلم العادي، أو الذي يتولى وظيفة ما، فيبين ما يلزم كل هؤلاء في سلوكياتهم الشخصية والعامة الظاهرة منها والباطنة حتى تستقيم أمور المسلمين.

ولا بد للمتصوفين من قطب يكون المدار عليه في كل مرحلة من سلوك المتصوف في التوكل والمحبة والمعرفة وسائر المقامات والأحوال، «لا بد في كل صنف من أربابها من قطب يدور عليه ذلك المقام»⁽¹⁾.

(1) ابن عربي: الفتوحات المكية ج 4، ص 95.

لا نعرف بالضبط الوقت الذي انخرط فيه ابن العريف في سلك المتصوفة، أو الطريق الذي سلكه، وعلى يد مَنْ مِنَ الشيوخ أخذ عنهم المقامات كما فعل ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية. ويبدو أن ابن العريف عمل على تكوين روحه منذ شبابه المبكر قبل سنة 500هـ/ 1106م، فقد ذكر ابن مسدي أن ابن العريف اختص بصحبة أبي عمر أحمد بن اليمّناش⁽²⁾ (ت 496هـ/ 1102م)، وأبي بكر عبد الباقي بن بريال⁽³⁾ (ت 502هـ/ 1108) آخر أصحاب أبي عمر الطلمنكي⁽⁴⁾ وفاته (ت 429هـ/ 1037م)، كما صحب أبا عبد الله ابن الفراء⁽⁵⁾ (ت 514هـ/ 1120م) وتأثر بأبي علي الصدي⁽⁶⁾ (ت 514هـ/ 1120) في طريقة تدريسه وزهده. معنى ذلك أن ابن العريف انخرط في طريق القوم في سن مبكرة، أي في مرحلة الصبا، وقبل أن يبلغ الخامسة عشر من عمره. ففي هذه المرحلة من حياته لازم عدداً من شيوخ العلم الذين اتصفوا بالزهد وبالمواقف الخاصة مما أثر على تكوينه وسلوكه الخاص وطريقته في التصوف.

اجتهد ابن العريف في هذه السن المبكرة في سلوك طريق القوم، وأتم تكوينه الصوفي تحت إشراف هؤلاء الشيوخ حتى أن ابن بريال ألبسه الخرقة⁽⁷⁾، وألبس ابن

(2) هو أحمد بن مروان بن قيسر الأموي يكنى أبا عمر من أهل ألمرية، فاق في الزهد والورع أهل وقته وكان العمل أملك به وتوفي في صفر 496هـ ومولده 413هـ.

ابن بشكوال: م. س. ج 1، رقم 156، ص 74.

(3) هو عبد الباقي بن محمد بن سعيد بن أصبغ بن بريال الأنصاري من أهل وادي الحجارة، سكن في آخر عمره مدينة ألمرية وتوفي سنة 502هـ.

ابن بشكوال: ن. م. ج 1، رقم 825، ص 366.

(4) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى بن لب بن قرلمان المقرئ الطلمنكي له رحلة إلى المشرق وأخذ عن علماء القيروان ومصر ومكة والمدينة ورجع إلى الأندلس بعلم كثير ولد سنة 340هـ وتوفي 429هـ.

ابن بشكوال: ن. م. ج 1، رقم 92 ص 49.

(5) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا من أهل ألمرية وقاضيتها، وكان رجلاً صالحاً ديناً، وهو الذي أفتى بعدم شرعية ضريبة المعونة للأمير يوسف بن تاشفين التي أفتى بها بعض فقهاء الأندلس، وقد استشهد في غزوة قنطرة في ربيع الأول سنة 514هـ.

(6) سبقت ترجمته.

(7) سبقت ترجمته في شيوخ ابن العريف.

العريف الخرقه لتلميذه أبي العباس الأندرشى أحد مريديه وَمَنَّ أَخَذَ عَنْهُ⁽⁸⁾.

والخرقة كما عرفها الصوفي الكبير ابن عربي أنها في الأندلس كانت تعني الصحبة والأدب والتخلق، ولهذا لا يوجد لباسها متصلاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن يوجد صحبة وأدب، وهو المعبر عنه بلباس التقوى، فجرت عادة أصحاب الأحوال، إذا رأوا واحداً من أصحابهم عنده نقص في أمر ما، وأرادوا أن يكملوا له حاله اتحد به هذا الشيخ فإذا اتحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في ذلك الحال، ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكملة حاله ويضمه، فيسري فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك الأمر، فذلك هو اللباس المعروف في الأندلس «والمثقول عن المحققين من شيوخنا»⁽⁹⁾.

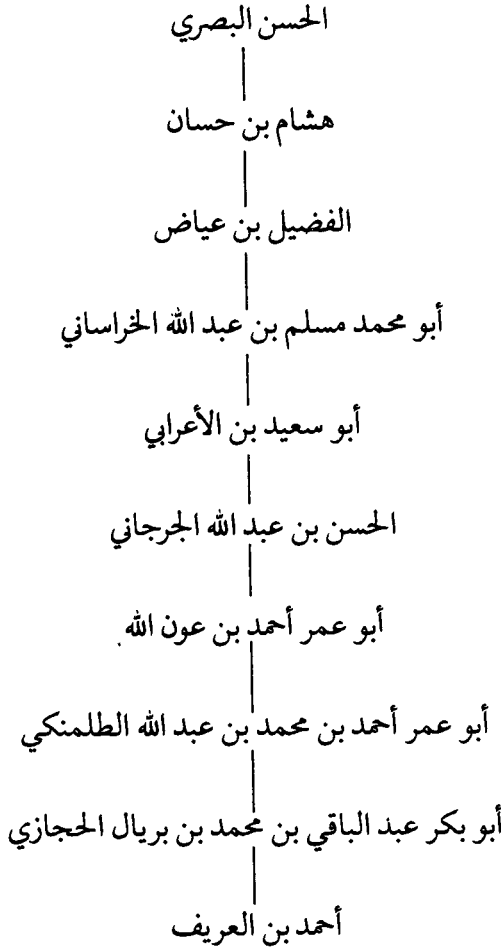
بينما في المشرق تعني ما يلبسه المريد من شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده لأمر منها التزبي بزي المراد، ليلتبس باطنه بصفاته، كما تلبس ظاهره بلباسه، وهو لباس التقوى ظاهراً وباطناً، ومنها وصول بركة الشيخ الذي لبسه من يده المباركة، كما عرفها القاشاني في كتابه إصطلاحات الصوفية⁽¹⁰⁾.

(8) الذهبي : م . س .

(9) ابن عربي : الفتوحات المكية ، ج 1 ، ص 242 .

(10) الذهبي : سير النبلاء ، ج 2 ، ص 113 ، هامش 2 .

سند ابن العريف في التصوف⁽¹¹⁾



لقد كان لابن العريف طريقته المميزة في التصوف، فكان ملتزماً بمذهب أهل السنة والجماعة، ويرجع ذلك إلى تأثره بالشيخوخ الذين أخذ عنهم، فلم ينجح إلى التصوف الإشراقي، وإنما كان معتدلاً في أفكاره، وضمّن ابن العريف في كتابه محاسن المجالس الطريق للساكنين حتى «يُسَهِّلَ على المريد صعوبة الطريق، وتُسَيِّدَ للمراد دعائم صدقه وتحقيقه، وتُحْمَلَ سامعها على ارتكاب الأشد في تحري الأسد⁽¹²⁾»، كما بين

(11) العباس بن إبراهيم: م. س، ج 2، ص 19.

(12) ابن العريف: محاسن المجالس، ص 75 وقد بين منازل الصوفية في عشرة منازل كما ذكرها في مفتاح السعادة وهي لا تختلف كثيراً عما جاء في محاسن المجالس.

منازل الصوفية أو مقاماتهم، وكان متأثراً بنفس المقامات التي ذكرها الغزالي في الإحياء، وبين مفهوم كل منها عند العامة وعند الخواص (أهل الطريق).

تجنب ابن العريف استعمال مصطلح الشوق واعتبره من منازل العوام، «إذ الشوق هو هبوب القلب إلى تمني غائب يحضر، وإعواز الصبر عن فقد، وارتياح السر إلى طلبه، وهو من أضعف منازل القوم. أما الخواص فهو عندهم علة عظيمة، لأن الشوق إنما يكون إلى غائب ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة». ويضيف في مكان آخر «ولم ينطق بالشوق كتاب ولا سنة صحيحة لأن الشوق مخبر عن بعد ومشير إلى غائب، وتطلع إلى مدرك⁽¹³⁾، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾»⁽¹⁴⁾

فابن العريف لم يستعمل اصطلاح الشوق أو العشق الذي كان منتشرًا بين المتصوفة وأنكره الفقهاء واعتبروه لا يليق ولا يجوز استعمال مثل هذه الألفاظ التي تتنافى مع الشريعة، وكان القاضي أبو بكر بن العربي ممن تصدى لهذا، واعتبره قاصمة، ولم يسلم شيخه الغزالي من نقده لاستعماله مثل هذه الألفاظ والأحاديث الضعيفة وبنى العشق على المحبة وملا به كتابه الإحياء، المنتشر بين المتصوفة يحفظونه ويعتبرونه دستوراً لهم، فبين أن هذه الألفاظ لم ترد في الشريعة ولا أساس لها فيها. يقول ابن العربي «وللصوفية في إطلاق العشق على الله تجاوز عظيم واعتداء كبير، ولولا إطلاقه تعالى المحبة ما أطلقناها، فكيف نتعداها إلى سواها من ألفاظ المجان، وليس له أصل في الشريعة»⁽¹⁵⁾.

استعمل ابن العريف اصطلاح المحبة واعتبره أول أودية الفناء في محبة الحق سبحانه، فالمحبة وجود تعظيم في القلب يمنع صاحبه من الانقياد لغير محبوبه، وهي «القيام بين يديه وأنت قاعد، ومفارقة المضجع وأنت راقد، والسكوت وأنت ناطق، ومفارقة المألوف وأنت مستوطن». ومن أوصاف المحبة الستر والإخفاء وعدم بسط اللسان بالعبرة عنها، والكشف عن سرها، فالمحبة الصادقة لا تظهر على الحب بلفظه

(13) ابن العريفن. م، ص 94.

(14) سورة الحديد، آية 4.

(15) ابن العربي: سراج المريدين، ورقة 106.

وإنما تظهر بشئائله ولحظه، ولا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب لموضع امتزاج أسرار القلوب⁽¹⁶⁾.

وابن العريف لا يقول بالحلول والاتحاد، ويعتبر الأحوال والهمم الناتجة عن المريد الذي يعاند عقله غير ذات فائدة، بل يعتبرها ضارة، لأنه عبر هذه الأعمال والأحوال يسعى إلى مقام الفناء في الله الممتنع عبر تجليه وتعاليه عن كل مخلوق، وفوق ذلك فإن الذي يصل إلى مقام الفناء في الله لا إرادة له ولا رجاء ولا شوق للتطلع إلى ما بين يديه⁽¹⁷⁾.

ويرى ابن العريف أن التقوى والعلم يشتركان في كونها عمليين من أعمال القلوب، والتقوى تزيد على العلم بظاهر الأعمال الصادرة عن الجوارح، فالتقوى مأخوذة من الوقاية، ويقضي ذلك أن يتقي الإنسان ربه بقلبه أي معرفته له، كي تظهر أو تصدر أعمال الجوارح التي تقيم الموانع والسدود. فوقاية العلم أو المعرفة سابقة لوقاية العمل، فإذا ما نقص العمل، فما ذاك إلا دليلاً على نقصان العلم وضعف المعرفة. وذكر أن مبدأ الخيرات كلها العلم، والعلم مفتاحه السؤال، ولا يتم السؤال إلا بمعرفة حقائقه والعمل بحسبها، والمقصود عند أهل الحقائق أن لا يتحرك العبد حركة وإن دقت، ولا يدع حركة وإن دقت، إلا بعلم حق، ليكون عمله كله حقاً ظاهراً كان أو باطناً. ولا ينكر على أحد من خلق الله في عمل من أعمال الإسلام أنه فيه على غير استقامة، أو يظن بأحد رياء ما لم يستند على دليل من الأدلة الصحيحة التي يكون العمل بها حقاً وعلماً صحيحاً، «ومن تحقق السؤال وصل إلى العلم، ومن وصل إلى العلم بحقيقة العلم وقع في طريق الإرادة⁽¹⁸⁾»، ولا ينبغي أن يعول من الأمور كلها إلا ما نطق به الكتاب والسنة الماضية، والإجماع المعصوم، والعلم الواضح، والعلماء المقبولون⁽¹⁹⁾.

تتفق آراء ابن العريف هنا في كثير مع آراء ومواقف القاضي أبي بكر بن العربي، الذي كان يرى أن العلم أصل للعمل، والمعرفة أساس بناء السلوك، لأن العمل مرتبط

(16) ابن العريف: محاسن المجالس، ص 90.

(17) ن. م، ص 88، طريق السعادة [و 40].

(18) ابن العريف: طريق السعادة [و 10].

(19) ابن العريف: ن. م [و 35].

بالقصد، والقصد مرتبط بالعلم، والدوام على العمل يرجع إلى دوام العلم. فالعلم والعمل متلازمان، فإذا علم الإنسان ولم يعمل، أوشك علمه على الذهاب والزوال أو الضعف، فالعبد إذا واطب على الطاعة ونبذ المعاصي، لم يكن ذلك باستمرار علمه، واستدامة نيته، فإن العمل بالقصد، والقصد يرتبط بالعلم، فإنها أخوان، فإذا دام العمل الصالح، دل على دوام العلم، وإذا علم ولم يعمل أوشك أن يذهب العلم ويكون نقصان العمل علامة على نقصان العلم أو ذهابه، وأن التقوى والعلم جميعاً من جملة الأعمال وكلاهما من الأعمال القلبية، وتنفرد التقوى بقسم منها، وهو من عمل الجوارح، وهي مأخوذة من الوقاية، وهي الحجاب الموضوع دون المكروه، فإذا اتقيت الله بقلبك أولاً كما يجب، كان ذلك تعليماً منه لك بوضع الحجب التي تقيك عذابه، ووقاية العلم به للعذاب وقاية العمل له للعذاب، فإذا أنقص العمل، كان لنقصان العلم. وضرب ابن العربي مثلاً بقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» أي لا يقدم على الزنا إلا بعد فوات جزء من العلم ونقصه⁽²⁰⁾.

وبين ابن العريف أن العلوم أربعة :

علم في لسان، وعموم الخلق أولى به من خصوصهم .

علم في عقل، وأحوال صاحبه تتشابه .

وعلم في قلب، وخصوص الخلق أولى به من عمومهم .

وعلم في سر، وصاحبه صاحب سر أو بر⁽²¹⁾.

ولا بد لطالب العلم الحقيقي من ثلاثة أشياء : أحدهما : معرفة الإنصاف ولزومه بالأوصاف، والثاني : تمييز وجه السؤال وتجريده من عموم جهات الإشكال، والثالث : تحقيق الفرق بين الخلاف والاختلاف .

وحصر أسباب الخلاف في الشرائع والعلوم في عشرة وهي :

- القياس المعارض للحقائق والأصول .

- الظاهر المناقض للأوصاف المتعارض الأطراف .

(20) ابن العربي : م . س . ص 21 ، 22 .

(21) ابن العريف : م . س ، [و 17] .

- التقليد على حكم العصبية .

- المصلحة الفلسفية التي عمادها ونهايتها السلامة الدنيوية .

- التكلف وهو التصدي للعلم أو العمل قبل تحصيل شروطه وآلاته .

- التأويل الباطني وهو إضافة المعنى إلى ما لا يصبح له حكماً ولا حكمة .

- الاستبداد وهو الاكتفاء بالنفس قبل تحقيق درجة الإمامة في المتوجه إليه من علم وعمل .

- التلاعب وهو التعويل على الرخص والاعتماد على المترخصين من غير عناية بحقائق العلم ولا بحقائق الورع .

- العجلة وهو الاكتفاء بأوائل الأدلة ومبادئها دون غايتها ومناهيها .

- الإبطاء وهو طلب الزيادة على المقدار الواجب في تصحيح كفيات الأعمال وترجيح وجوه أدلة العلوم (22) .

- ويجب أن يتحاشى المذاهب الستة المذمومة التي أنكرها الدين واعتبرها من السموم القاتلة ، ولا بد لطالب العلم من معرفتها والقدرة على تمييزها وهي :

- مذهب التقليد المذموم بالسنة العلماء المشابه للقدوة والاتباع وليس به ، والمقلد هو الذي إذا نزلت به نازلة فزع قصداً وعمداً إلى غير الأشهر والأبين في الدنيا في علم تلك النازلة .

- مذهب القياس المذموم بالسنة الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم ، المشابه لأراء الفقهاء وقياسهم في فقههم وليس به ، وهو تأويل الصورة بالصورة ، والظاهر بالظاهر قصداً وعمداً دون مبالاة أو التفات إلى الحقيقة ، وضرب مثلاً : أن يقول الراكب للماشي سلم علي مبتدئاً لأنني بمنزلة القاعد على مكان عال .

- مذهب التكلف وهو الذي حرمه الله ، وأمر رسوله عليه السلام أن يتبرأ منه ، وهو أن يتصدى العبد إلى ما ليس بأهله من السؤال والجواب ، أو الدليل والاستدلال أو غير ذلك من الأعمال ، ويستغني بنفسه وعقله ورأيه عن الأئمة الذين هم في تلك النازلة أئمة العلم والعمل .

(22) ن . م [و 14] .

- مذهب الفلسفة وهو الذي يشابه مذهب العقلاء بالحقيقة وليس به، وهو العمل بتقديم الأصلح في الدنيا على الأصلح في الدين قصداً وعمداً.

- مذهب الظاهرية يشابه مذهب رواة الحديث والفقهاء وليس به وهو العمل بما سبق من مظاهر الأمر من مسموع آية أو حديث أو مسألة أو غير ذلك، من غير التفات إلى ذلك السابق وتمحيصه بشواهد الأصول لتمييز الرأي الصحيح من غيره، وهو الظاهر غير المشهود له، المصمم عليه والمجهول، ولا قدوة لأهل الظاهر فيه إلا الخوارج في زمن الصحابة، وأهل النفاق في وقت الرسالة، وابن العريف كان يكره المذهب الظاهري ويحمل على داوود بن علي، وابن حزم ومن تبعهم.

- مذهب العبث الذي نبه عليه القرآن الكريم، وهو أن يعمل العامل أو يقول القائل لا عن رأي صحيح وأصل ثابت، وقاعدة من النية والحال الحاضر⁽²³⁾.

ولا يهتم ابن العريف فقط بالسالكين، ولكنه يهتم أيضاً بتكوين المسلم وتربيته، فيؤكد أنه لا بد لكل مسلم من الأخذ بالأصول الستة المجمع عليها، وهي كتاب الله عز وجل وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وما ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما ثبت عن الصالحين من أهل كل وقت، وما ثبت عن أئمة الفقهاء وأهل الاجتهاد والبصائر في الدين، وإجماع المسلمين الثابت كونه إجماعاً، والنظر الصحيح وهو ما كان مستنبطاً من هذه الأمور الستة⁽²⁴⁾.

يوجه ابن العريف عناية كبيرة إلى الإنسان المسلم وسلوكه، لأنه أساس المجتمع، إذا صلح صلح المجتمع، فبين له الفضائل التي ينبغي أن يتحلّى بها، بأن يتطهر من المحظور والمكروه ومن الشبهات، وذلك بتطهير قلبه وسمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وبشرته، ولا يتم ذلك إلا بالإيمان بالله ورسوله عليه السلام، وبكل ما جاء به، وبقیم الصلاة بأعمالها وشروطها، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والتوبة.

أما من أراد أن يسلك طريق القوم فعليه أن يأخذ على نفسه ميثاقاً بأن يقوم بأفضل ما قدر عليه وأشدّه، ويدع كل حق له عند غيره، ويؤدي إلى كل ذي حق حقه من

(23) ن. م [ط 14: ط 16].

(24) ن. م [ط 8].

مسلم أو ذمي ، ويحسن كل عمل يقوم بأدائه ، بالإضافة إلى الأعمال الظاهرة التي يقوم بها من صلاة وصيام وصمت .

- أن يترك الإعجاب بصفات النفس وأعمالها ، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة حقائق التواضع والعمل عليها .

- يحذر الرياء ، ولا يتحقق هذا إلا بمعرفة حقائق الإخلاص والعمل وألا يظن بأحد رياء ولا في عمل من أعمال الإسلام أنه فيه على غير استقامة .

- ترك الحسد ، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة حقائق النعمة والطلب لها ، وحقائق النعمة والفرار منها .

- ألا يقول عن نفسه «أنا من أهل المعاصي والتخليط» دون أن يأتي بالدليل القاطع على نفسه ، وألا يظن أنه تائب دون أن يدلل على ذلك بالعلم .

- ألا يعمل عملاً من بكاء أو قيام من ليل ، أو صيام أو غير ذلك على غير مقصود صحيح وإلا اعتبر مغترّاً⁽²⁵⁾ .

ويلزمه الإخلاص والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فالطريق إلى الجنة شاق ويحتاج إلى كثير من المجاهدة والعبادة ، واحتمال البلاء والصبر «فإن بلياه من عطاياه» والبلاء نوعان : بلاء يحول بين الإنسان وبين الشر ، وبلاء يحول بينه وبين الخير ، وأن يعنى بالخلوة وهي مفارقة الخلق دون إضرار بأحد ، أو إضرار بحق من حقوق الله ، أو حقوق الخلق ، ويلزمه في الخلوة العبادة وقراءة القرآن والتفكير في علم الحقيقة أو النظر في كتاب علم⁽²⁶⁾ .

كما يجب على سالك الطريق أن يوفق بين مشاغله الدنيوية والأخروية ، فلا يعمل إلا بمشاورة مسلم يجد في رأيه بركة ، ويشير عليه بما يحبب إليه إلى أهل السموات والأرض ، ويحقق حاله في محمود الظاهر والباطن ، ويتكل على الله وحده ، ويلتزم حرفة أو عملاً لا يشغله عن عبادة الله ، ولا يعوزه لأحد ، وأن يجانب القرناء برفق ويلتزم بالعمل فيما

(25) ن . م [و، ط 9] .

(26) ن . م [و 12 ، ط 26] .

ينفعه وينفع أهله، مجانبة حريص عليهم في الظاهر، وأن ينتظر الموت مراراً في اليوم والشهر، وألا يفارق صلاة الجماعة إلا أن يحال بينه وبينها، ويصلي صلاة الجمعة خلف كل من قدمه الإمام براً كان أو فاجراً وحسابه على الله⁽²⁷⁾.

والصوم تطيب به القلوب فعليه به، وأن يمسك لسانه ويتعلم الصمت، صمت اللسان الآ عن فرض، وصمت الجوارح إلا عن عمل إجماعاً، وصمت القلوب عما لا يرضي، وأن يسترضي عامة الخلق في عامة أحواله، ويؤدي إلى كل مظلوم حقه باسترضاء كافة الخلق من صالح وطالح ممن غضب عليه يوماً، ولا يسترضي بالقول وحده، ولكن بالقول والعمل والنية الصادقة في كل أعمال البر⁽²⁸⁾.

وتحدث ابن العريف عن الصديق والشروط التي يجب أن تتوفر فيه، وبين أن الصديق هو الذي ينفع ويفيد في كل شيء من دين ودنيا⁽²⁹⁾.

أما من رأى منكراً بيتاً فعلياً بخاصة نفسه، فإن المشغول بعين الفريضة من حال نفسه، وإن كان عالماً أو حاكماً لا يجب عليه ذلك فكيف بمن ليس بعالم ولا حاكم ولا صديق ولا رفيق! فيتعين تغيير المنكر على الحاكم بالشرط، وعلى العلماء بالنصيحة والتبيين، وعلى الأصدقاء بالرفق والنصيحة⁽³⁰⁾.

يجب على المسلم أن يرعى حقوق الحكام ثم حقوق الفقهاء، ثم حقوق المنسولين إلى السر والصيانة، وحذر من الإنكار على السلطان لأنه حجة الله، ولا ينبغي أن ينكر عليه شيء من قوله أو عمله إلا بشروط: منها السر، والرفق، والعلم الكامل، وارتفاع التهمة تماماً، وسلامة النية، وأن لا يراد بذلك إلا وجه الله وحده، يشهد بذلك الأحوال من الناصح والسلطان والوقت، كما لا يجوز إنكار الأدنى على من فوقه في علم أو حال وإن كان ولده أو خادمه⁽³¹⁾.

كان ابن العريف يحذر أصحابه ومريديه من التأويل، فمن تأول شيئاً من الدين

(27) ن.م [و، ط 71].

(28) ن.م [ط 72].

(29) ن.م [ط 18].

(30) ن.م [و 73].

(31) ن.م [و 73].

تأويلاً يؤدي إلى العمل بأدون الوجهين فهو الظاهري ، ومن تأول في شيء من الدين تأويلاً خارجاً عن حكم ذلك الشيء وحكمته والمعروف المشهور من أمره فهو الباطني ، والظاهري والباطني كلاهما تالف .

وحصر الأصول بالنسبة للمريد في أربعة هي :

عيش لمعاملة النفس .

عقل لمعاملة الخلق .

علم لمرافقة القلب .

عبودية لمرافقة الرب⁽³²⁾ .

ويهتم ابن العريف اهتماماً خاصاً بفقهاء ذلك الوقت ، خصوصاً المفتين منهم ، ويبين أنه لا بد للمفتي من الالتزام بالورع وخشية الله ، والمفتي الورع هو الذي يفتي بما يستطيعه المستفتي ، بل حسن للسائل إذا سمع الفتوى بما يشغل خاطره ، عليه أن يعمل بأكثر منها ، حتى تبرء ذمته ويحصل يقينه ، أما إذا كان الأمر خاصاً بالمفتي فعليه أن يأخذ نفسه بالأصعب والأشد ، فيجتنب بذلك الزلل ، ويتيقن براءة ذمته ، وهذا هو الجمع بين الفقه والورع في حق المفتي والمستفتي ، « ولا يحصل اليقين في الدين للعمال في براءة الذمم إلا بجمع الورع والفقه وقد اقتصر أكثر الخلق على الفقه ولا ورع ، فبطل اليقين ، وضعف الدين بذلك » . والورع ملاك الدين الحارس لأهل الإيمان من مقارنة حمى الله وحدوده التي أخبر بها الشرع⁽³³⁾ .

وهاجم ابن العريف العمال والفقهاء الذين يمارسون الفقه بلا ورع ، والذين انشغلوا عن مصالح الناس بكنز الأموال ، وأهملوا أمور العباد ، وتصامعوا عن سماع شكاوى المظلومين وسأهم « علماء أهل السوء وكبراء الدنيا المغرورين »⁽³⁴⁾ .

وكان المريدون يجتمعون في بعض الأيام أو في المناسبات الدينية في حلقات للذكر وقراءة القرآن ، والتذاكر في شؤونهم ، فنصح ابن العريف أن تكون هذه الحلقات جادة

(32) ن . م . [و 27] .

(33) ابن العريف ، م . س . [و ، ط 9] .

(34) ن . م . [ط 21] .

ولا يتخللها أي نوع من الدعابة أو الضحك «فإن الدعابة محرم عليها أن ترد على الأسرار الطاهرة والأسماع الظاهرة» كما يجب عدم الانشغال عن ذكر الله بشيء من مشاغل الدنيا، وأن يتفرغ المريدون لقراءة القرآن وذكر الله والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «فإن أصدق الترتيل في تلاوة الكتاب العزيز أو ما حفظ منه» متحاشين شرود الذهن وانشغال البال عما هم فيه، فحلقة الذكر إنما هي روضة من رياض الجنة، يجب أن تصان فيها الأبصار والاسماع إلا عما هو محمود.

وإذا حدث من البعض دعابة أو ضحك فعلى الجميع أن يتذكروا في الحال الآية الكريمة ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ ويردودها ترديد بكاء وخوف وتضرع إلى الله والاستعانة به، ليظفيء نار الدعابة والضحك في أقرب وقت، «لأن الدعابة في محل الذكر أقبح الأشياء»⁽³⁵⁾.

وذكر ابن العريف أن العبد إذا أطاع الله سبحانه وتعالى ولزم خدمته، وسلك هذا الطريق في المجاهدة والعبادة والعمل عمره، كافأه الله سبحانه بأن منحه أربعين كرامة، عشرين منها في الدنيا ومثلها في الآخرة، فالتى في الدنيا هي:

- أن يذكره الله سبحانه ويثني عليه .
- أن يشكره جل جلاله .
- أن يحبه الله تعالى .
- أن يكون له وكيلاً يدبر أموره .
- أن يكون لرزقه كفيلاً .
- أن يكون له نصيراً يكفيه كل قاصد سوء .
- أن يكون له أنيساً لا يستوحش بحال ولا يخاف التغير والزوال .

(35) ن.م [ط 55].

وانظر عن العادات المتبعة وما يُنشد ويُقرأ في هذه الحلقات كتابنا عن الأندلس في نهاية المرابطين ص 288 : 290. وفي «أضواء جديدة على المرابطين ارتسامات حوّل التصوف في الأندلس».

- غنى النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا وأهلها .
- رفع المهمة فيترفع عن التلطف بقاذورات الدنيا وأهلها ولا يلتفت إلى زخارفها .
- غنى القلب فيكون أغنى من كل غني في الدنيا .
- نور القلب يهتدي بنور قلبه إلى علوم وأسرار وحكم لا يهتدي إلى بعضها غيره .
- شرح الصدر فلا يضيق ذرعاً بشيء من محن الدنيا وظنون الناس ومكائدهم .
- المهابة والموقع في النفوس ، يحترمه الأخيار والأشرار .
- المحبة في قلوب الناس .
- البركة العامة في كل شيء .
- القدرة على المشي على الماء أو قطع وجه الأرض بأقل من ساعة .
- تسخير الحيوان والوحوش له .
- تسخير مفاتيح الأرض .
- القيادة والوجاهة على باب رب العزة .
- إجابة الدعوة ، فلا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه .
- أما كرامات الآخرة فهي :
- أن يهون الله عليه سكرات الموت .
- التثبت على المعرفة والإيمان .
- إرسال روحه بالبشر والأمان ، فلا يخافهما يقدم عليه في العقبى ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا .
- الخلود في الجنان .
- التحيات والبشر من ملائكة السموات لروحه بالإكرام والإنعام ، ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته .
- الأمان من فتنة سؤال القبر وتلقين الصواب فيأمن الهول .

- توسيع القبر وتنويره ، فيكون في روضة من رياض الجنة إلى يوم القيامة .
- إيناس روحه وإكرامها .
- الحشر في عز وكرامة .
- الأمن من الأهوال يوم القيامة .
- إيتاء الكتاب باليمين .
- تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب أصلاً .
- ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للوزن .
- ورود الحوض على النبي (صلى الله عليه وسلم) يشرب شربة لا يظمأ بعدها أبداً .
- جواز الصراط والنجاة من النار .
- الشفاعة في عرصات القيامة نحووا من شفاعة الأنبياء والرسل .
- ملك الأبد في الجنة .
- الرضوان الأكبر .
- لقاء رب العالمين جل جلاله بلا كيف⁽³⁶⁾ .

(36) ابن العريف ، محاسن المجالس ص 99 : 103 .

أهمية الشيخ للمريد

لا بد لسالك هذا الطريق، طريق التصوف، من شيخ أو قدوة، ليدل المريد على الطريق، ورياضة النفس، وحقيقة علوم القوم، واعتماد شيخ أو قدوة كان طريق الأوائل، ويظهر هذا في كتب مصنفهم أمثال الحارث المحاسبي، وأبي طالب المكي وغيرهما، خصوصاً في كتاب أبي طالب «قوت القلوب». وابن العريف كان يؤكد على دور الشيخ في حياة المريد وأهميته في كل منزلة من منازل التصوف، حتى لا يضل المريد ويسلك طريقاً فيه هلاكه، ولا يمكن للمريد أن يصل اعتماداً على نفسه أو على قراءته. يقول ابن العريف «فمن استغنى عن القدوة فتركها فقد العلم ومن فقد العلم، فقد الدلالات، ومن فقد الدلالات تحير فتخلف وسلك بنفسه، ومن سلك بنفسه فكوشف، كوشف بنفسه، ومن كوشف بنفسه عجز عن مشاهدة ربه وخالقه، ولم ير إلا نفسه، ومن لم ير إلا نفسه عظمها، ومن عظم نفسه استحق ما سواها فيكون تلفه، لأنه في ظاهره في أعلى عليين وبحقيقته وهو الكبر على العلماء واستحقار الرفقة والرفقاء في أسفل سافلين» (37).

ويقول ابن العريف في ذلك شعراً (38):

مَنْ لَمْ يَشَافِهِ (39) عَالِماً بِأُصُولِهِ	فَيَقِينُهُ فِي الْمُسْكِلاتِ ظُنُون
مَنْ أَنْكَرَ الْأَشْيَاءَ دُونَ تَيْقُنٍ	وَتَبَيَّنَتْ فَمُعَانِدٌ مَفْتُون
الْكُتُبُ تَذْكِرَةٌ (40) لِمَنْ هُوَ عَالِمٌ	وَصَوَائِبُهَا بِمَحَالِهَا مَعْجُون
وَالْفِكْرُ غَوَاصٌّ عَلَيْهَا مَخْرُجٌ	وَالْحَقُّ فِيهَا لَوْلَوْ مَكْنُون

(37) ابن العريف [و 20، ط 34، و 35، ط 35].

(38) المقرئ: م. س. ج 4، ص 319.

(39) ن. م، من لم يشاور ص 331.

(40) ن. م. تذكّار ص 331.

فإذا ظفر المريد بشيخ من شيوخ الصوفية سالك سبيل السنة عليه أن يفرح ويشكر الله عليه، فكم من شخص لعبت به أيدي الضالين المتدعين فكان هلاكه، فإذا تم له مصادفة هذا الشيخ فعليه أن يحسن الأدب في الانقياد له في أوامره، وترك مخالفته، وأن لا يكتمه شيئاً من أسرارهِ ولا ينتقل عنه إلى غيره، فالشيخ هو الذي يقوم بتصحيح بداية السالكين وتوضيح الأسس التي يقوم عليها الطريق، لأنه كلما كانت البداية أحكم، كانت النهاية أتم، فهو الذي يتولى تهذيب نفس السالك وإعداده لهذا السفر الروحي.

فالشيخ لازم وضروري لكل سالك لهذا الطريق، والشيخ الذي يرجع إليه إما شيخ تعليم وتربية، أو شيخ تعليم فقط، وشيخ التربية ليس بضروري لكل سالك، وإنما يحتاج إليه من فيه «بلادة ذهن، واستعصاء نفس». أما من كان وافر العقل، منقاد النفس، فلا يحتاج إلى شيخ التعليم، فتحصيل العلم يقتضي الصبر على مشقة الدرس والتحصيل، وبذل الجهد في طلب العلم، وتبجيل العلماء، وتصاغر طالب العلم لهم. وعليه تحصيل المعارف الدينية أولاً في الجد في طلبها، فيأخذها من علماء الشرع والفقهاء وأهل الحديث والتفسير فمنهم ينال العبد مصباح شرع ربه، فيستضيء به في عبادته ومعاملته مع الخلق والخالق.

وشيوخ التعليم هو الذي ينصح بقراءة كتب معينة في التصوف لأن الاستفادة منها لا تصح إلا إذا كان صاحبها من أهل العلم والمعرفة، ومن يصح الاقتداء به، وتكون موافقة لظاهر الشرع، وحتى تكون استفادة المريد منها واضحة، وكان ينصح بقراءة كتب أئمة القوم، ككتب المحاسبي والسلمي والقشيري، وكتاب أبي طالب المكي، وكتاب أبي حامد الغزالي الإحياء، وعوارف العوارف للسهروردي، وكذلك ما تفرق من كلام أئمتهم في الكتب والدواوين وشهر نقله بين علماء المسلمين⁽⁴¹⁾.

وكان بعض شيوخ التصوف لا يفضلون إلا كتابي (أبي طالب المكي وأبي حامد الغزالي) «فقد أودعا فيهما من غرائب العلوم وعجائب الفهوم ما تتلج به الصدور،

(41) ابن عباد الرندي: الرسائل الصغرى، الرسالة السادسة، ص 78.

ابن خلدون: شفاء السائل ص 70 : 92، القشيري، الرسالة ص 214، الغزالي: الإحياء ج 3، ص 48، 49 وانظر كتب الشيخ زروق: عدة المريد، النصيحة الكافية.

وتتيسر به الأمور». وعن كتاب الغزالي الذي منعه الفقهاء وحذروا من قراءته، كان المتصوفة يرون فيه غير ذلك، ولكن كان شيوخ المتصوفة برغم مدحهم له ونصحهم بقراءته إلا أنهم كانوا يتحفظون على بعض أجزائه، ويتحاشون الوقوف عندها. فابن عباد الرندي يقول عن الغزالي في الإحياء «إِنَّهُ فَصَّلَ وَبَوَّبَ وَأَوْضَحَ وَقَرَّبَ وَنَقَحَ وَهَذَبَ، وَجَمَعَ فِي أَوْرَاقٍ يَسِيرَةٍ مَا تَفَرَّقَ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ، وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ وَأَزَاحَ الْإِشْكَالَ، وَأَظْهَرَ غَوَامِضَ الْأَسْرَارِ، وَنَبِهَ عَلَى طَرِيقِ الْإِعْتِبَارِ وَالِاسْتَبْصَارِ»، ومع ذلك نجده يتحفظ تجاه هذا الكتاب بقوله (42): «إِلَّا أَنَّ فِيهِ أَشْيَاءَ اعْتَصَمْتُ عَلَى الْأَفْهَامِ، وَخَرَجْتُ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ عِلْمِ الْكَلَامِ. وَأَكْثَرَ ذَلِكَ فِي رُبْعِ الْمَنْجِيَّاتِ كَكِتَابِ التَّوْبَةِ، وَكِتَابِ الشُّكْرِ وَكِتَابِ التَّوْحِيدِ وَكِتَابِ الْمَحَبَّةِ وَقَدْ يَوْجَدُ مِنْهَا شَيْءٌ يَسِيرُ فِي هَذَا الرَّبْعِ. فَيَجِبُ عَلَى النَّازِلِ فِي كِتَابِهِ إِذَا وَقَفَ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ أَنْ يَتَجَاوَزَهَا إِلَى غَيْرِهَا وَأَنْ يَسْلَمَ لَهُ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهَا، وَكَذَلِكَ يَسْلَمُ لَهُ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَنْقَلِبُهَا وَلَا يَرُدُّهَا وَلَا يَقْبِلُهَا، فَبِذَلِكَ يَجْمَعُ بَيْنَ تَحْصِيلِ فَوَائِدِ الْكِتَابِ وَتَحْسِينِ الْأَدَبِ مَعَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَوْلِي الْأَلْبَابِ».

أما كتاب أبي طالب المكي قوت القلوب، فقد بسط فيه علم التصوف وفتح فيه مغلقه الذي أعجز حله، أو معرفة أسرارهِ، كما جمع فيه بين المعاني والألفاظ الحسنة، وذكر فروع علومهم وأصولها ورسم مسائلها وفصولها فكان أشبه «بالمُدونة في علم الفقه مقام غيره ولا يقوم غيره مقامه». وقوت القلوب أيضاً كانت له بعض السليبيات التي حذر منها شيوخ التصوف لأن «فيه بعض علوم غامضة لا تدرك ببضاعة العقول ولا توافق ظاهر العلم المنقول، وأحاديث له فيها مذهب معروف وطريق مألوف، فعلى الناظر في ذلك أن يتصف بما ذكرناه من التسليم، ويعتقد جريانها على المنهج القويم، ويرجو أن يفتحها عليه بالفتاح العليم» (43).

إذاً، لا بد من الشيخ القدوة الذي يبين للسالك الطريق ويعرفه بما يقرأ، وما يجب عليه أن يتحاشاه في القراءة، ولا يكون كحاطب ليل يقرأ كل ما وقع تحت يده، أو يعتمد فقط على الكتب دون الشيخ. فالمكتفي بالكتاب عن الشيخ قبل البحث والجد

(42) ن.م. ص 77، 78.

(43) ن.م.

في طلبه ليس بفقير، ويجب أن يتعلم أن العلم في صدور العلماء يبقى ببقائهم ويفنى بفنائهم، ولأن العالم حي بحياة تسري، وأما الكتاب فناطق بصمته نطقاً لا يسمعه إلا حي، ولا حياة قبل مطالعة الكتب إلا لمن عاش بحياة معلم حق، وثبت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) «ولكن يقبض العلم بقبض العلماء» فدل أن من يأخذ العلم من العلماء لم يأخذه من الصحف⁽⁴⁴⁾.

والشيخ المربي هو الذي يلزم المريدين بتهديب أخلاقهم ورياضة نفوسهم بالدخول في الخلوة وملازمة الذكر الذي يلقنه لهم، والتقليل من الطعام والكلام والنوم، إلى غير ذلك من الأحكام التي يلتزمون بها مع الشيخ المربي، فإذا أتموا هذه المرحلة، انتقلوا إلى أخرى، إلى مرحلة العمل بما تعلمه حتى يرث ما لم يكن يعلمه، أي معرفة الدقائق ومعرفة حقائق النفس ومعرفة دقائق بقية مراحل الطريق، ويكون ذلك بصحبة الشيخ.

ولا ينبغي للمبتدئ في طريق الله أن يطمح في كشف كل الأمور بعلمه، فما لعلمه غاية إلا إقامة العبادة على الوجه الصحيح من الدين، وثمة أمور باطنة وراء ذلك لن تنكشف إلا بعد الوصول إلى قرب الحق. ولا ينبغي أن يتعجل الفتح والتعلق برياضات أهل التمكين وأحوالهم ومعارفهم، فهو لم يتهياً لذلك بعد، وما عليه في حال بدايته إلا حسن الظن بهم، والوقوف معهم عند حد الأدب.

(44) ابن العريف: م. س. [و 48، ط 48].

عن هذا الموضوع الخاص بالسلوك والطريق والعلاقة بين الشيخ والمريد انظر ابن خلدون، شفاء السائل.

ابن الخطيب روضة التعريف بالحب الشريف.

الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف.

القاشاني: اصطلاحات الصوفية.

القشيري: الرسالة.

المحاسبي: الرعاية لحقوق الله.

مؤلفات ابن العريف

لم يذكر الذين ترجموا لابن العريف أساء تآليفه ولكننا استطعنا تجميع بعضها من خلال المصادر وهي :

— كتاب محاسن المجالس ، وقد قام بنشره وتحقيقه المستعرب الأسباني آسين بلاتيوس .

— كتاب مطالع الأنوار ومنابع الأسرار، ذكره المقري في نفح الطيب ويعتبر في حكم المفقود .

— مفتاح السعادة لأهل الإرادة في الطهور والكسوة للحضرة الرفيعة ، ما يزال مخطوطاً ضمن مجموع تحت رقم 1687 بالخزانة الناصرية بتمجروت .

— مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ، وهو الذي بين أيدينا

ومن الممكن أن يكون لابن العريف تآليف أخرى ولكنها فقدت عندما ألقى بكتبه في البحر حين ترحيله إلى المغرب ، فقد ذكر ابن مسدي⁽⁴⁵⁾ «أن ابن العريف عندما احتمل إلى مراكش استوحش فغرق في البحر جميع مؤلفاته فلم يبق منها إلا ما كتب منها عنه» . كما أننا لا نعرف إذا كانت كل تآليفه في التصوف أو أنه ألف في علوم أخرى ، وهذا يجعل الباحث في حيرة أمام شخصية مثل شخصية ابن العريف الذي ذكر ابن بشكوال انه استجازه في مؤلفاته ، ولم يذكر هل هي في التصوف أو غيره .

(45) الذهبي : م . س . ج 20 ، رقم 68 ، ص 113 .

وصف المخطوط

والمخطوط يحمل رقم 1562 بالخزانة الحسينية (الملكية) بالرباط، وحالته لا بأس بها، مكتوب بخط مغربي واضح، يحتمل أن يكون من القرن السادس أو السابع الهجري، متوسط الجودة، خال من الشكل إلا في بعض الكلمات، وميزت العناوين بخط أكبر، وبه بعض كلمات قليلة غير مقروءة، كما تتخلله بعض الفواصل والعلامات أو بعض النقط أو الكلمات باللون الأحمر، والبياض في موضع بعض الكلمات قليل نسبياً، كما توجد بعض العبارات التي سها عنها الكاتب في هوامش بعض الصفحات. يتكون المخطوط من 108 ورقة تشمل 216 صفحة. ويبلغ طول الصفحة 21 سم وعرضها 15 سم ومسطرتها 17 سطراً في الصفحة، والسطر يضم ما بين 9، 10 كلمات.

والمخطوط مبتور في آخره ليست له خاتمة، ولا يُعرف ناسخه.

الصفحة الأولى مكتوب بها «كتاب مفتاح السعادة وتحقيق طريق الإرادة» تأليف الشيخ الفاضل ابن العريف رضي الله عنه.

آمين، آمين يا رب العالمين، يا رب العالمين

وهو ملك بالشراء الصحيح

للفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد

ابن مسعود المتراوي كان الله له ولجميع المسلمين

تمت ذي حجة سنة 02 / مبلغ ثمنه . . .

ملك بالشراء الصحيح من مال عبد المذكور أعلاه عبد الله (بعض كلمات غير

واضحة).

والمخطوط عبارة عن أقوال ورسائل لأبي العباس بن العريف إلى أصحابه من المتصوفة أو رد على رسائل بعضهم . وهذه الأقوال أو الفصول عبارة عن أدعية ومناجاة لله سبحانه يستفيد منها هؤلاء المريدون ، وبعض الفصول خاصة بشرح منازل القوم أو السلوك الذي يجب أن يسلكه المسلم عامة ، والمريد خاصة ، وهو يدرج بعض القصص التي تفيد في الموضوع الذي يتناوله ، كما أنه يخاطب طبقة معينة من المريدين الذين قطعوا مرحلة في التصوف .

يحتوي المخطوط على إحدى وستين رساله وهي كالآتي :

- 20- إلى الحسن بن غالب .
- 4- لأبي الحكم بن برجان .
- 6- لمحمد بن يوسف بن الأبار .
- 4- للجماعة الاخوان بقرطبة .
- 1- لسيد المالقي .
- 3- لمحمد بن الكبش .
- 2- لمحمد بن الحاج .
- 1- لأبي علي منصور المبتلي .
- 1- لأبي خالد يزيد بن عبد الجبار .
- 1- لأبي بكر عياش .
- 1- لأبي محمد عبد الغفور .
- 7- لأبي الحسن عامر بن الحسن .
- 2- لأبي القاسم أحمد بن قسي .
- 3- لأبي الوليد بن المنذر .
- 9- لأبي بكر عتيق بن مؤمن .

وتبدأ الرسائل باليسلمة والصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم والسلام عليه وعلى أزواجه والدعاء لآل البيت والسلف الصالح والمتبعين لهم بإحسان ، ثم يذكر الدعاء للشخص المرسل إليه ولكاتب الرسالة ، وقد يبدأ رسالته بذكر المرسل إليه والدعاء له قبل ذكر البسلة ، وتاريخ هذه الرسائل على ما يبدو فيما بين 525 -

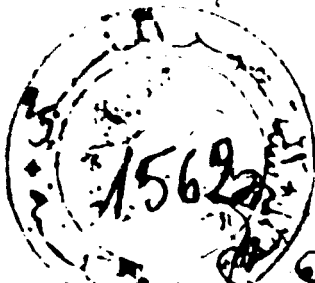
529هـ. وتحتوي نصائح ومواضيع كانت تشغل المتصوفة ، وأسئلة أجابهم عليها الشيخ ابن العريف .

وهذا المجموع من المناجاة والأدعية والأقوال لابن العريف جمعها له أحد مريديه ، وقد رجحت أن يكون الصوفي الكبير «أبو بكر عتيق بن عيسى بن مؤمن»⁽¹⁾، الذي اختص بابن العريف وأخذ عنه ، فقد ذكر ابن عبد الملك في ترجمته أنه جمع كلام شيخه ابن العريف نثراً ونظماً كما جمع أيضاً كلام الزاهد أبي عبد الله بن يوسف ابن الأبار ورسائله وحكمه . وأبو بكر عتيق له برنامج ضمنه رواياته وشيوخه ، وكتب رسالة في الفتن والأشرار ، وكان موسوماً بالفضل متصوفاً منقبضاً كثير الحياء والصمت والمثابرة على وظائف الخير والبر بأصحابه ، مائلاً إلى الصالحين وأهل التصوف يهاديهم ويتحفهم في أماكنهم ، ويحسن نزل من ألم به منهم ، ويسارع إلى قضاء حوائجهم بماله ونفسه .

اختار عتيق بن مؤمن لهذا المجموع عنواناً له هو «مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة» ويبدو أنه كان يعلم بكتاب ابن العريف المعنون بـ «مفتاح السعادة لأهل الإرادة» فاختار له العنوان السابق أي أن العنوان ليس من وضع ابن العريف .

وراعيت في التحقيق أن أصحح بعض الأخطاء الإملائية وهي قليلة وعملت على توثيق الآيات القرآنية الكريمة ، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة وأوردت ترجمات مختصرة معززة بالمصادر للأسماء أو الأماكن الجغرافية التي وردت في المتن ، وذكرت أرقام الصفحات لأصل المخطوط واستعملت رمز [و] لوجه الصفحة ، [ظ] لظهر الصفحة .

(1) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة سفر 5 / قسم 1 ، رقم 242 ص 126 .
وفي صلة الصلة لابن الزبير رقم ٥٥ ، التكملة لابن الأبار رقم 2425 كوديرا .



كتاب مفاتيح الفتوح
وتعريف بحقوق دار الخلافة

تأليف الشيخ الباقى بن القوي
رضي الله عنه
وامير امير قباد العلين باني العلين

ومولانا بالشراف الشيخ

للمنفعة العامة
في مسنده المتأري كان سنة ١٢٠٠ وبيع العلين

متمم سنة ١٢٠٥ في مبلغ ثمنه

ملحوظ بالتميز ان الصلح من مال الخدم الذي كور

~~تمت~~

في

حكمة

[illegible]

[illegible]

وفاقطع وما يلنا إليه فإنا نأخذ به الغيرة ونشعر بالضرورة
 من اتساع الفجوة ويجب أن نتواء المنظر من المسموع
 المنفصل في أنفسنا ومن قبل أو خصوصاً من أحوالنا المسموعة
 لمس ضرورتها وضرورتهم ونفوز فلو أننا قلوبنا وبصائرنا
 أموراً والمورع المسموع فافصله من القوة لئلا يزل
 قبحه إلى التوبة من ما هتأمنه في الوقع القيمة الثبوتية
 علمنا أحقادنا جميعها فقلنا ونكتبها في لساننا ما كنا نعلمه
 ونسما لنأبى التجميل والتوكيد والقول فقلنا إلى آخره
 فغير من أفعالنا وبغير وجهه فتعصبنا من خلقنا إلى خلق
 يزل مع سواك ويمنع زواجر أجزا المسموع الذي فله
 من خلاصة وبود التوبة ما يشهد به قلوبنا وأبصارنا وبإبصارنا
 إلهنا ما من دون ذلك لا يفلح المسموع انزل على من الغيوب
 من كان المسموع عاجلاً من طلائع الحقائق ليطبق المسموع
 ونجعلها في التوبة والطاعة من باب المائدة الدوا والافان
 المسموع المسموع وتخليج له المسموع فيسبغ في
 يشهد في مباحث مغلقة على حرمه لا خلاف في وجهه ولا
 هي حرمه لا خلاف وأبى الفطنة وأبى العلم ولا من مباحثها

من الغزو و في الرحا وله واخوانه من الحرمة ما ليس يدور
وكان من بغض قومه في الذكائب التي وقفتا جميعا
قصورا واوروج منه يابذا وعتل كل البرصيط قيد
سلا واما كذا اخوانا الحسن من ابناءه فعدا لخيريه
ايه كتاب ورا حفته عليه ولا فام بالسنه اذ انه ركبوا
سنه وقيل كل ايه زيد قبرا الحسن لمجد ابيه اجداله
وكان قبرا له وكتابا به يد ويد اربابيه وعلق انه ويد كتاب
الشيعه فوالله فقولوا اجباية لارض ووزنهم القوم وشوق
لحسرين القريض بقرب ايه وقصصه الامم كل حيايه
يوجرت الدوي في قتي وحسبي الله وكفا وايني قنصر
التكوير من قبل ايد خالدا اكرمه الله وتعربني كما هو عليه
فرا يتكسر لائح فلي اله عيني قوسه عجمه خير وخير ان
دكور يعبر حاليه او فويل او حفته كيمبر ايه فلي كمي
فان كان نبي لمثله في الظامرجا و في الحفينة ان شاء الله
طاف و حتى ان اجد انكم الوجبة في ايج تفترو
التردد وكا الطابنة على معارض منافير والحل والافان
ولا على مكتب او كافي بالمال والامال ولا على مقبر

عليه وحسن الله وتوكلت عليه .
 الفتي وبيح لمنه لا يبيح ولا لا يقونه والاعلام العام
 الملك من خاله وخال الاخوان جمع الله فلو لم يكن
 لا تؤخر لحاضنة بك تكبر ولو بكلمة فابره تقضى بها
 . وقت العدا الزاخر وفيه نيرة لك وكما قلت لا
 المصنع والعتاة . وفيه خيرا وانا العلة لا يكون خياع
 الاملا عر وكلامه اختصام من ارجل خياع . وفيه خيرا بين
 . فاصير طلال وطلال عر والاولى بالهول . فكلهم

الحمد لله

ما كان المولى عليه من عزة به واستوحشت كثيرا من وديان
من قرا آيات خزان الحادي في علينا بغير التوسيم إلى المشرف
سأله يشكرنا بطل الله العاجية وكنت في هذا النظام فغير
نفع في كثير من حيلة بامانة من فرد الفهم وفلانة لها
ورحمت الله وتبركاته كتبتهم يوم العكس من سنة
وصل الله على محمد وآله وصحبه وسلم طيبا طويلا "عليكم
السلام في الله تعالى خير من محمد فيهم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أوفىكم بيمينه من عني الله بغيره واه من

وشعرا وطا طار من غير ان يفسر كراية انفسه من اوكلا مشهور
 من كلام الائمة بعض عقائده بالتواجد واليقين فيه شي واضح
 المشاهدة في مدعى لا يشا كما قلناه في كراية موافقة مسلمة
 لستحليله بالبر من طريق الائمة ما يتصل به زيد الجلال في شرح
 عمله في الزلزلة وثابتة في الائمة حقة واعلم ان الطلوع في حق
 الفلوب في الحقيقة بحكمه الحقائق في الائمة من لغوا في خصوص
 اصل الحق اراءه وانفس الى ان رزق الله كيد يحجب الاقويون
 من ان ارا لا في حجب القوي ومن على كل شيء قدور وماله
 من ان ارا لا في حجب من هذا انه في الله شروط لم يزل وصر
 في حجاب كل زوا لا تتحقق شيئا من هذا الا من راض فقلته به
 ولولم تزل لا كنهه فاحدى فقلته وانجنيته من عمل ان اكله
 كذا في حقيقة الله متجليه وقوته وشو به في الاكسب
 ايس فله اوده لا خائنه الرضا اليه في يقيني ما ذكر في قوله
 جلاله وصيته العز والاثنا في الحقيقة في لغوي في انشور به
 كتابه في يد اركم في حكمه ونكر في ايمان انا كسيرة في
 وجرت خليفه في الصبيان والخبر بعقبت القضاء الله وفرا
 وفيه منى الاول ورد كتاب العمل الصالح اي محبة في راسية

وشارة به كل الخير له العشر في النية اذكر النماء طائفا
 سلكهم به كمال فراق لا خذلان فاشي من رجا له
 ابي الحسن انفس في كراية طائفة وما يتركه في
 في قلبه حقا ليس به دفع الله بفضا بعض واعلم
 الملاء عظيم ورحمت الله وسركانه
 سلام على كل من اسلم اليه في حق الله في حق الله
 وكنته ابيه انفسا
 لولم في الحقيقة القوية في انفسه في حق الله في حق الله
 نكره في الله تعالى في حق الله
 نعم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى
 آله وسلم السلام عليكم يا بني ورحمت الله وبركاته
 وكل باطني في كراية كراية في كراية كراية كراية
 وسائر ما في كراية كراية كراية كراية كراية
 جسدنا القوي بعملة الله نورنا سيرنا في كراية كراية
 يتوجه بكل ما في كراية كراية كراية كراية كراية
 الله وبعث به في كراية كراية كراية كراية كراية
 العشر في كراية كراية كراية كراية كراية

[و 1] بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله . الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلوات الله وسلامه على رسول الله محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه ، وعلى الملائكة أجمعين ، وعلى جميع النبيين والمرسلين ، وعلى أولياء الله الصالحين وسلم تسليماً .

هذا كتاب جمعت فيه ما وقع إلي من أدعية الفقيه الفاضل أبا العباس أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المَرِيّ المعروف بابن العريف ، شيخنا - رضى الله عنه - من مناجاته ومن كلامه المنشور والمنظوم ، ورسائله إلى إخوانه نفعهم الله بمحبته ، وسميته بكتاب ﴿ مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ﴾⁽¹⁾ والله المستعان ، وعليه التكلان ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

فمن دعائه رضي الله عنه :

خضعت لله تعالى عبداً محقوراً مقهوراً ، وآمنت بالله غفوراً شكوراً ، ورضيت بالقرآن شفاء من كل داء (. . .)⁽²⁾ وبمحمد صلى الله عليه نبياً فأكمل الرسالة (. . .)⁽³⁾ لا إله إلا الله حقاً على كل العباد في الكتاب مسطوراً ، وسبحان الله تنزيهاً من السوء كل مساء⁽⁴⁾ ورواحاً وبكوراً ، والحمد لله [ط 1] والله تعالى على النعم كلها ، والنعم من الله تعالى كلها شكراً مقبولاً بفضل الله مبروراً ، والله أكبر ، عزاً بالله وإيثاراً لما وجب إظهاره من كلمة الله ، وشرفاً وسعداً موفوراً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله إقراراً بالقدرة معروفاً عند الله إن شاء الله مأثوراً .

(1) في الاصل السعادة ، وفي الورقة الأولى « للإرادة » بخط غير خط النسخة .

(2) كلمة غير مقروءة .

(3) كلمة غير مقروءة .

(4) في الاصل مسا .

اللهم! إنا نحن المتشبهون بحملة كتابك المكنون من أسمائك، وحقائق صفاتك، وبالسر الذي قام به كل شيء في أرضك وسمائك، وبأنك أنت ﴿الله أحد﴾ * الله الصمد⁽¹⁾، لم تلدك الخلق، فلم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد؛ أن تصلي على محمد نبيك الأعظم، ورسولك الأشرف خلقتك زكياً، وبعثته نبياً، وانتخبته من جملة أوليائك وأصفياك، صفياء نبياً، وانتحلته للمقام المحمود، صلاة جبر لا يرتفع، وسرور لا ينقطع، وأوجب لنا برأفتك ورحمتك وبركة هذه الصلاة إرضاء لنبيك، وكمال العمل بإيثارك، وإدراك العمل بكتابك، واسعدنا بمعرفة أوليائك وأنصارك، وبمحبة القائمين من المريدين، برعاية جوارك، واجعلنا اللهم أدلة من أدلتك، وأنواراً من أنوارك، لا نستغني إلا بك، ولا نفتقر إلا إليك، ولا [و2] نعمل إلا لك، وما نتوكل إلا عليك، وأيدنا على إقامة هذا الدين، بالصبر واليقين، وشرح بالقرآن صدورنا وصدور المسلمين أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم! اجعلنا ممن اتبع القرآن حتى وصل به إليك، ووقف الصديق بين يديك، ولم يلتمس به إلا أفضل ما لديك، والتمس طلب الأشياء لك وبك لا تجعلنا ممن اتبعه القرآن حتى قذف به في نارك، وأزعجه من جوارك، وأخرجه من جملة أوليائك وأصفياك وأنصارك. اللهم لا تفعل ذلك بنا ولا بأحد من المسلمين يا أرحم الراحمين.

اللهم! إنا نقسم عليك إقسام إدلال بكرمك واسترسال في نعمك ونحن بيقين أحقر [وأدحر؟]⁽²⁾ من أن نقسم عليك.

اللهم! بجلال جمال كمال وجهك الكريم، وبسناء ضياء نورك العظيم، وبتشقيق تدقيق تحقيق علمك يا عليم: أنزل على قلوبنا من نور الذكر والحكمة ما نجد بالحسن والمشاهدة برده، ثم لا نعصيك أبداً بعده.

اللهم! بحرمة الإسلام، وبشرف الإسلام، وبكرامة الإسلام: حل بيننا وبين أن نوذي أو نغتاب أو نضر أحداً ممن دخل في حرمة الإسلام.

(1) سورة الإخلاص آية 1، 2

﴿قل هو الله أحد﴾ * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾.

(2) كلمة غير مقروءة.

اللهم! إنا نتوسل إليك [ط2] بانقطاع وسائلنا إليك فإنها غاية الفقر ومتهمى
الضرورة، وأنت راحم الفقراء، ومجيب دعوات المضطرين.

اللهم! إنا نسألك في أنفسنا، وفيمن غاب أو حضر من إخواننا.

اللهم! طهر صدورنا وصدورهم ونور قلوبنا وقلوبهم، ويسر أمورنا وأمورهم.

اللهم! إنا نسألك في التوبة لنا ولكل فقير إلى التوبة من ساعتنا هذه إلى يوم
القيامة.

اللهم! علمنا حقائق علمها تعليماً، وحكمنا في أسبابها كلها تحكياً، وتممها لنا
بالتعجيل والبركة والدوام عليها إلى آخر نفس من أنفاسنا، وبعده ومعه تَمْمياً، يا من
خلق الخلق، فلم يزل بهم مولى كريماً، وبهم رؤوفاً رحيماً.

اللهم! أذقنا حلاوة برد التوبة، ما يثبت في قلوبنا، ولا يفنى ولا يبلى أبداً يا من هو
النور الأعلى.

اللهم! أنزل على هذه القلوب من [بركة؟] السماء ما يلازمنا ملازمة الحقائق لبيان
الأسماء، وتجعلها في البركة والطهارة بمنزلة الماء يا ذا الجلال ويا ذا النعماء.

اللهم! وحل ببركة الإسلام بيننا وبين أن يستظن بنا شيء مما دخل في حرمة الإسلام
بأي وجه دخل في حرمة الإسلام، ولا في اليقظة ولا في المنام، ولا في ساعتنا [و3] هذه
إلى يوم السلام.

اللهم! وحل بقوة الإسلام بيننا وبين أن يضرنا شيء من الخلق كائناً من كان.

اللهم! اجعل سلطانك لنا سلطاناً، وفرقانك لنا فرقاناً، وشأنك الذي خصصت
به أوليائك لنا شأناً. يا من خلق الخلق، فلم يزل بهم دياناً رؤوفاً رحماناً.

اللهم! إنا عبيد جفاة، كثيراً نتعدى أقدارنا ونتخطى أطوارنا؛ وأيسر ما في عدلك
وجناتنا أن يكون محل سخطك له في نارك وفرارنا، إلا أن ترحمنا، وإلا أن تغفوا عنا،
فبك اللهم نعوذ منك، وبك نضرع إليك، وإياك نسأل برحمتك. فبك اللهم عرفنا
بالعمل اليقين، وبالعَمَل الصالح المبين، في العبودية ألحق أقدارنا، وحجب اللهم إلينا
خيارنا، وعممنا بالبركات وجميع المسلمين والمسلمات، ورخص أسعارنا، وريح تجارنا،

وأتمن بالإيمان والإسلام أقطارنا، وأنزل على أكمل البركات في أوقاتها أمطارنا، واجعل اللهم أعلى طاعتك لنا شعارنا في كل حال ودثارنا، وقنا اللهم من كل مكروه في الدارين مجيرنا وجارنا. يا عالماً بكل شيء ذنوبنا [ط3] كلها بلا شيء، ولا تسألنا عن شيء، يا من ﴿ليس كمثله شيء﴾⁽¹⁾ وصلّ اللهم وبارك على الحبيب محمد وعلى آله وسلم تسلياً.

ومن دعائه رضي الله عنه :

اللهم ! إنا نسألك الولاية ومراتبها ومناصبها، لا لما فيها من حظوظ أنفسنا، ولكن لما فيها من موافقة حكمك في أمرك ونهيك، فلا تكثر دونها كروبنا، ولا تقطع من دونها محبوبنا [. . .]⁽²⁾ وأنت مطلوبنا يا أرحم الراحمين .

اللهم ! إن لالإدبار عنك بوار، والإقبال عليك بلا طلب ولا أدب إدلال، [. . .]⁽³⁾ والعبد بينهما هالك، إلا من أخذت بيده وعطفت عليه، ووجهت عنايتك بلا سبب إليه، فتعرف إلينا بالإحسان، يا خير المحسنين .

اللهم ! إن التوسل بك إليك حظ من حظوظ الكبار، ولسنا هنالك، والتوسل بمن دونك تزام، وجنایاتنا، جنایاتنا، جنایاتنا في هوة المهالك وهوة المضايق . الحقائق التي لا يكشفها إلا جودك ولا يقوم لها إلا وجودك، فكن عند فقرنا إليك يا رب العالمين .

اللهم ! إنه بما لنا من عظيم الذنب يمنعنا أن نجد وسيلة غير الرب، وما في التوسل بك من الشرف يحول بيننا وبين ذلك المكان الألف [و4] فارحم ضعفنا وفقرنا يا خير الراحمين .

اللهم ! أسلمتني إليك فاقه لم يبق لي معها غيرك .

ومن مناجاته رحمه الله :

إلهي ! وبِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ مَا أَنَا بِسَائِلِكَ دَعْوَتِكَ مَرَاتِبِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْقُرْبِ إِلَيْكَ

(1) سورة الشورى، آية 11 .

(2) كلمة غير واضحة .

(3) كلمة غير واضحة .

بالطاعة لك ، فأكون من المسرفين ، ولا (مراتب)⁽¹⁾ الأنبياء فأكون من المتكلفين ، ولكنني أسألك من مراتب أوليائك ما يعينني على القيام بحقك ، وينهضني إلى الوفاء بعهديك ، قضاية ما ينقضي به عني دينك الواجب علي لك ، وقد فعلت ذلك بكثير من أوليائك وأصفيائك في سبيل البلاء ومضيق الرزايا ، وآخرين أوصلتهم بالعافية إلى رؤية حقائق العافية ، وعرفتهم بالنعمة إليهم مقدار النعمة عندهم وعليهم ، وها أنا بعينك ضعيف مهين ، فاكتبني في أهل العوافي من أوليائك ، واجعلني من مطايا المواهب السمحة في أصفيائك ، وذكرني عند الذكرى ، ويسرنى بجودك وإحسانك لليسرى ، وكن وحدك أمسي كله من الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين ، وخير الغافرين ، وأكرم المحسنين .

ومن مناجاته رضي الله عنه:

إلهي ! إن كان الدعاء إليك والرغبة في [ط4] فضلك مع الإصرار على معاصيك ، والإقامة على مخالفة أمرك ونهيك لوماً وشؤماً ، وخلقاً جافياً مذموماً ، فترك الدعاء والرغبة بعد أمرك بالتضرع عند وقوع اليأس وحضور المrehob ، وبعد نهيك عن اليأس عند مواجهة الخطايا والذنوب أدهى وأمر ، وأوخم عاقبة وأضر .

إلهي ! من جودك إنك جعلت التعرض لجودك فرضاً واجباً (و) (2) منه حراماً مهلكاً ، فلا وجلالك وشرف كمالك ما صيرت يأس العصي لك من درك رحمتك هو أعظم المعاصي ، «حتى وسعت رحمتك كل شيء» (3) ، وصلاح لها كل شيء ، إلا من أعرض وعرف حقيقة ما فيه نجاته فمرض ، وبك نجا من نجا ، وبك هلك من هلك ، لك الحجة البالغة على خلقك ، والحكم العدل في قضائك ، وأنت الواجب شكره وحمده عند النعماء المعروف عدله وحكمته في البلاء . فلا إله إلا أنت إقراراً لك بالحق ، والحمد لله شكراً على ذلك الإقرار ، وبك أعوذ منك علماً يقيناً ، بنفوذ مشيئتكم ، وتمام إرادتك .

إلهي ! إن الذي انطوى صدري عليه ، وانتهى سري إليه ، هو بعينك تراه ، فلا انشده ، وتسمعه فلا أذكره ، فاقض حاجتي ، وتقبل رغباتي ، واجعل في طاعتك أنسي

(1) كلمة غير تامة في الاصل .

(2) غير مقروءة .

(3) الآية ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ سورة الأعراف آية 156 .

وراحتني [و5] وكن عند ظني، يا من لا خير إلا خيره، ولا إله لشيء على الجملة والتفصيل غيره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن مناجاته رحمه الله:

إلهي! وسيدي ومولاي، هذه الصلاة المفروضة التي لا ينظر للعبد في عمل إلا بعدها، وقد قمت بها إليك، ووقفت بها بين يديك بنية لجودك وكرمك، متبرئاً من حولي وقوتي، عالماً علماً يقيناً في الحجة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

إلهي! وسيدي (ومولاي)⁽¹⁾ أنا في ساعتني هذه عالم بأنك تراني، وترى قلبي وتشاهد ما في ظاهري وباطني من حق وباطل، وطاعة ومعصية، عالم بقربك مني، ونظرك إلي، وإطلاعك علي، وإنك حسيب لي، في كل ما ظهر وخفي مني، من دقيقه وجليله. مولاي! فأين هيبتي من سلطان قربك، وحيائي من نظرك، وأين خوفي منك ورجائي؟. وجلالك لو تقطعت أكبادي خوفاً لك، وذاب فؤادي [رهباً منك]⁽²⁾ وتفرقت عظامي قلقاً من الوقوف إليك، والعرض عليك في مثل هذه الساعة لكان سيراً، ولكن (حبك)⁽³⁾ أعظم كثيراً كثيراً.

إلهي! سمعتك تقول ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾⁽⁴⁾ ولم تكن صلاتي كذلك، فجددت عزيمة [ط5] التوبة لك بك، فأنا أشهد الله على نفسي ملائكته، وأهل الشهادة من أهل السموات والأرض، تعييناً للتوبة في لساني وقلبي وبطني، ألا أكل إلا ما هو حلال، بعلم وورع من صلاتي هذه إلى الصلاة الأخرى، ولا أتكلم إلا بكلمة هي حلال، بعلم وورع من صلاتي هذه، إلى الصلاة الأخرى، فإن كان وفاء، فأنت المشكور، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإن غلب العدو، فالصبر محمود، ﴿والعاقبة للمتقين﴾⁽⁵⁾، والله مع المجاهدين في سبيله، و﴿لا يأس من روح الله﴾⁽⁶⁾

(1) حرف الباء غير واضح.

(2) أول الكلمة مطموس.

(3) حرف الكاف غير واضح.

(4) سورة العنكبوت، آية 45.

(5) سورة القصص، آية 83.

(6) سورة يوسف، آية 87.

ومن رحمة الله ، ومن ﴿يتق الله يجعل له مخرجاً﴾⁽¹⁾، وعليّ في ذلك الوقت يجب الندم، وتجديد هذه العزيمة والصبر عليها حتى يفتح الله . هذه نيتي وبالله عوني ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إلهي ! طال ما فتنتني فيما مضى ، بجلالك لا تفتني فيما بقي وارزقني من الاعتراف بذنوبي وعيوبي والمعرفة بها ، ما يعينني على طلب علم توبة كل ذنب ، وعيب ، واجعل لي ذلك الطلب في ورع [وذلل]⁽²⁾ لي ذلك بالعمل وأوصلني بك إليك ، يا من لا يوصل إليه إلا به .

إلهي ! وسيدي ومولاي ! هذا وضوئي وهذا استعدادي [و . . .]⁽³⁾ فأشهدك ، ولا إله إلا أنت وكل من سمعني من أوليائك وسكان أرضك وسمائك أني لا أكل حتى أصلي هذه الصلاة ، إلا حلالاً ولا أتكلم إلا [و6] بحلال ، فإن غلبني عدوي ، فأليك الضراعة في عوني ، وعلي تجديد هذه النية مع الندم . اللهم سلم مني كل شيء ، ولا تلحق ضري بمسلم يشهد أن لا إله إلا أنت ، وإن محمداً عبدك ورسولك يخاصمني بها عندك ، ولا بذمي يخاصمني عندك بالذمة ، ولا بحيوان لا يكون الإضرار به حقاً من حقوقك ، وأجمل بي عندك وأفضله . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إلهي ! وسيدي ومولاي ها أنا بين يديك متوجه بطريق التوبة إليك ، أفضي ما فاتني وما ضيعته وفرطت فيه من هذه الصلاة التي هي عمود الإسلام عندك ، ولا محالة إنك تراني وتشهد سري وإعلاني ، فأين البكاء والقلق بهيبة القرب؟ وأين الحياء والخوف بحضور النعمة؟ حجبتني عنك الذنوب ، وإني حتى الآن منها لا أتوب ، وجلالك لأعرضن على قلبي في مثل هذه الحال ، وهذا الوقت [ما عقت؟]⁽⁴⁾ فإن بلغت مرادي منك ، فأنت المنى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإن حرمت في الدنيا رجوت قيام العذر عندك في الأخرى ، يبذل الكد والاجتهاد ، وأفوض أمري إلى الله ، و﴿الله بصير بالعباد﴾⁽⁵⁾ .

(1) سورة الطلاق ، آية 2 .

(2) يوجد حرف الذال فقط .

(3) بياض .

(4) ناقص حرف العين .

(5) سورة آل عمران ، آية 20 .

اللهم! اضرب قلبي بسياط الخوف بين يديك، حتى يرجع بك إليك، وخلصني بكرمك وجودك من الوقوع [ط6] في كل ما هو عندي خير، وهو عندك شر، ولا تحرمني كمال التوبة وقد بدأتني بها، وأذقتني من لذتها، ما ذاق الرضيع في أول يوم من أيامه من لذة لبنه، فلا هو يشعر فيشكر، وإن منع منه يقلق ولا يصبر. بجلالك عن لي علي ولا تهملني بعد أن عرفتي عنايتك بأوليائك، وحببتهم إلي، وحببتني إليهم، ولا تجعلني ممن يقول ولا يفعل، وقد (كبر ذلك عندك مقتاً)⁽¹⁾، واجعلني من ﴿الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله، فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا﴾⁽²⁾، واجعلني من الذين ﴿إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾⁽³⁾.

إلهي! وسيدي ومولاي لا تحرمني وقد أردتك، ولا تردني وقد قصدتك، إلهي! كيف لا أرجوك لإتمام حال التوبة، وإعانتني على فرضها وقد بدأتني بالإسلام تفضلاً منك وتطوُّلاً، لا بوسيلة سبقت، ولا بحقيقة عمل تحققت، فخلطت في الأحكام تخليطاً محضاً، فلطفت بي، ورأفت بي، وقبحت عندي ذلك التخليط، [وحببت]⁽⁴⁾ إلي مقدار ما أنا فيه من هذه التوبة المخلطة، ولكل بداية نهاية، وأمور الصدق أن يتدرج [منه إليها]⁽⁵⁾ على الرفق، فكيف لا أرجوك لتمام توبتي حديثاً، وهذه عنايتك بي قديماً، بجلالك اضرب قسوة [و7] قلبي بسياط خوفك حتى يرجع بك إليك، ولا تجعلني ممن يقول هذا القول ولا يعمل، ولو ثلاث ساعات من هذا الوقت، لعل الموت أقرب من ذلك الأمد، وقبل تمام الثلاث ساعات وقد عينت لصدق التوبة ضبط البطن، فأنا أشهد الله وملائكته وحمة عرشه، وشهود العدل في سماواته وأرضه، الا أكل من [طعام]⁽⁶⁾ إلى ثلاث ساعات تقديراً إلا حلالاً، وهو ما حصل بعلم [أو حق]⁽⁷⁾ وحصل

(1) اقتباس من الآية ﴿كبر مقتاً عند الله﴾ سورة غافر، آية 35.

(2) سورة آل عمران، آية 135.

(3) سورة الأعراف، آية 201.

(4) من الاصل حببت وحرف الواو مظموس.

(5) بعض حروفها غير واضحة.

(6) كلمة غير واضحة.

(7) حرف الحاء غير واضح.

علمه بورع حق ، فإن وفيت فالله المشكور ، وإن قصرت فالتجديد علي والعون بيد الله ، وفي الصبر على مجاهدة عدو الله خير وبركة ، والرجوع إلى الحق وهو التوبة خير من التماذي على الباطل ، وهو الإصرار ، والرجوع إلى التوبة رحمة من الله ، وروح من الله ، والإصرار باستئصال معاودة التوبة يأس وقنوط ، وهو الهلاك .

اللهم ! علمني الذل بين يديك ، ودلني بالمسكنة والفقر والفاقة إليك ، وافتح لي في البحث عن عيوبي وذنوبي ، ولا تجعلني ممن يقول هذا ولا يفعله ، ولو مرة في يومه هذا ، أو في جمعته هذه ، في مقدار ثلاث ساعات ، أرجو بركتها ، وادخر عند الله ثوابها فإن [ط7] يريد والشر ليس إليك - تباركت وتعاليت .

اللهم ! إياك قصدت ، وإياك أردت ، وعلى بيتك وردت ، فاجعل قرأي عندك التوبة ، والمغفرة والرحمة والرفقة ، وقرى كل من دخل في هذا البيت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، مذ كان وما كان كائناً إلى يوم القيامة ، فإذا توجهت فقل ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾⁽¹⁾ وتنوي الصمت والإخلاص [والإحرام]⁽²⁾ على ما يقتضيه الإسلام . الله أكبر ، ولا بد من التفقه في هذه الكلمات الثلاث إن شاء الله . وتقول في الركوع سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثاً ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بحقيقة جلاله وجماله وكماله ومجده ، وكما ثبت في الكتاب المنزل من عنده ، على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، رسوله وعبد . وعند القيام : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما . وملء ما شئت من شيء ، بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، اللهم ! لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ * وسلام على المرسلين * والحمد لله [و8] رب العالمين ﴿(3)﴾ ، وبين السجدين : اللهم ! اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني .

وعند الخروج إلى الناس : اللهم ! أسبل علي كثيف سترك ، وأدخلني في مكنون

(1) سورة الأنعام ، آية 79 .

(2) آخر الكلمة مبتورة .

(3) سورة الصافات آية 180 ، 181 ، 182 .

غيبك، واكفني شرار خلقك، وحل بيني وبين الرزايا والبلايا، كلها، يا أرحم
الراحمين.

وعند دخول الدار: ﴿ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾⁽¹⁾ ﴿رب أدخلني مدخل صدق
وأخرجني مخرج صدق﴾⁽²⁾ و ﴿أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾⁽³⁾.

وسأله أبو عبد الله محمد بن سفيان⁽⁴⁾ أن يجمع له ألفاظاً يدعو بها في مهمات
أمره، فكتب له هذا الدعاء:

اللهم! إني أسألك بأنك أنت الله في حقائق محض التحصيل، وبأنك أنت الله،
بكل وجه من وجوه الجملة والتفصيل، وبأنك أنت الله على كل حال من أحوال الجد
والتعويل، وبأنك أنت الله المقدس بخصائص الأحدية والصمدية عن الضد والند،
والنقيض والتطير، وبأنك أنت الله المقدس بخصائص الأحدية والصمدية عن الضد
والند والنقيض والنظير، وبأنك أنت الله الذي ﴿ليس كمثله شيء﴾، وهو السميع
البصير⁽⁵⁾ أن تصلي على محمد، وعلى آل محمد، وعلى كل من يحب محمداً، أن تصلي
عليه، وأن تقضي جميع حوائجي كلها قضاء يكون لي فيها [ط8] خير الدنيا موصولاً
بخير الآخرة، محفوظاً بالرعایات، محفوظاً من الآفات، ملحوظاً بخصائص العناية، يا
عواداً بالخيرات، ويا من هو في حقيقة حق الحقيقة، أهل التقوى وأهل الحسنات.

اللهم! إنها مسألة خادماً لعز ربوبيتك بإظهار مسألتك، بأنك علام الغيوب،
ومشاهد حقائق المطالب قبل مباشرتها للقلوب، فتممها بجمال الخاتمة يا خير مطلوب،
وصلى الله على محمد حبيب القلوب.

(1) سورة الكهف، آية 39.

(2) سورة الاسراء، آية 80.

(3) سورة المؤمنون، آية 29.

(4) يبدو أنه أحد المريدين، ولم أجد له ترجمة؟

من المرجح أن يكون والد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سفيان التجيبي من أهل شاطبة
وأهلهم من قونكة.

انظر التكملة ج 2، رقم 2078، ص 864.

(5) سورة الشورى، آية 11.

باب من كلامه رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه :

الأصول ستة : كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما ثبت عن الصالحين من أهل كل وقت ، وما ثبت عن أئمة الفقهاء وأهل الاجتهاد والبصائر في الدين ، وإجماع المسلمين الثابت كونه إجماعاً ، والنظر الصحيح ، وهو ما كان الحكم به مستنبطاً من هذه الأمور الستة .

وقال رضي الله عنه : التطهير الحاصل بالرياضات أصله في كتاب الله عز وجل ، ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾⁽¹⁾ دليله أن قلوب الأولياء مطهرة [و . . .]⁽²⁾ ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾⁽³⁾ قال أبو العالية يعني المتطهرين من الذنوب . وقوله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وثيابك [و9] فطهر﴾⁽⁴⁾ قيل معناه : وقلبك فطهر ، والأعضاء التي يتعلق بها التطهير سبعة وهي : القلب والسمع والبصر واللسان واليد والرجل والبشرة ، وتطهيرها يكون بتنظيفها من المحظور ومن المكروه ومن الشبهات وبالأعمال الثمانية التي هي : الشهادة المشتملة على الإيمان بالله ، وبالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وبكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وصدق به ، وآمن به ، وفي درجها الإيمان بثواب الأعمال وعقابها وبالوعد والوعيد فيها ، والصلاة بأعمالها وشروطها ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، والتوبة والألفة . هذا هو اللازم لكل مسلم في خاصته إطلاقات ثم يخصه من الفروض بحسب ما يخصه من الصنائع والأحوال والأعمال .

والأمور التي عول المعيار عليها في الظاهر ثلاثة : الصلاة والصيام والصمت . وفي الباطن ثلاثة : ترك الإعجاب بصفات النفس وبأعمالها وبأحوالها ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة حقائق التواضع ، والعمل عليها . والثاني : ترك الرياء ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة حقائق الإخلاص ، والعمل عليها . والثالث : ترك الحسد ولا يتحقق ذلك إلا

(1) سورة المائدة ، آية 41 .

(2) بياض كلمة .

(3) سورة البقرة ، آية 222 .

(4) سورة المدثر ، آية 4 .

بمعرفة حقائق النعمة والطلب لها، وحقائق النعمة والفرار عنها، والنفار عن [ط9] التعرض لها.

وكل إنكار قام في نفس العبد لا يستند إلى دليل من الأدلة التي تشتمل عليها الأصول الستة المتقدمة، فهو إنكار باطل. وكل شك في نفس العبد، لا يستند أيضاً إلى ذلك، فهو شك باطل، والاشتغال بذلك الشك أو بذلك الإنكار باطل. وكل من قال عن نفسه أنا من أهل المعاصي والتخليط، ولم يحقق ذلك على نفسه بالدليل القاطع، فهو مغتر. ومن ظن أنه تائب، ولم يحقق ذلك بالعلم والعمل فهو مغتر. ومن عمل عملاً من [بكاء]⁽¹⁾ أو قيام من ليل، أو صيام أو غير ذلك على غير مقصود صحيح، يطالب نفسه كل يوم بحصوله، فهو مغتر، والفتر والملل قريب منه جداً.

العلم: أما فريضة العلم على الإنسان فهو أن يقول به، ويعمله. وأما [فضيل...]⁽²⁾ ومن لم يطلب نفسه بدليل صحيح يدلّه فيما تكلم به من العلم من وقت ذلك بعينه، وأن ذلك فرض عليه، أو فضيلة له، فنطقه بالعلم هو عليه، أكثر مما هو له، يصدق بذلك من جربه. وقال: لا يتم التحقيق في كل شيء إلا بعزيمة صادقة لقوله سبحانه ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾⁽³⁾.

وقال: نقض الميثاق بين [العبد]⁽⁴⁾ وبين باريه بخوف لقوله سبحانه، ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾⁽⁵⁾ ذليلة إلا من [وفى]⁽⁶⁾ بالميثاق فله القرب والرحب [و10] ولين القلب وتلك مجامع الخيرات. وقال: مبدأ الخيرات كلها العلم، والعلم مفتاحه السؤال، ولا يتم السؤال إلا بمعرفة حقائق السؤال، والعمل بحسبها. والمقصود عند أهل الحقائق أن لا يتحرك العبد حركة وإن دقت، ولا يدع حركة وإن دقت إلا بعلم حق، ليكون عمله كله ظاهراً كان أو باطناً، ومن ظن بغيره أنه مرائي أو على غير طريق مستقيم، فقد اجتمعت فيه الرذائل الثلاثة: الإعجاب والحسد والرياء.

(1) في الاصل بكا.

(2) كلمة مطموسة.

(3) سورة طه، آية 115.

(4) كلمة غير واضحة.

(5) سورة المائدة، آية 13.

(6) كلمة غير واضحة.

أما الإعجاب فإنه لا يظن أحد ذلك على أحد إلا وهو يرى نفسه غير مرء . وأما الحسد فإنه حسد أخاه على ما ألبسه الله من النعمة ، فود أن لم يكن ذلك اللباس ، فادعى أنها ليست بنعمة ، وإنما هي نقمة ، استحقاقاً لأخيه أن يكون عنده أهلاً للنعمة . وأما الرياء فإن ذلك ولا بد وإن ظهر عليه ذلك الإنكار ، وذلك عنده قربة ، إذ هو عنده إنكار وأمر باطل ، وذلك الإنكار لا يصح أن يراد الله سبحانه به ، لأنه إنكار لم يستند إلى دليل من الأدلة الصحيحة التي بها يكون العمل حقاً ، وعلماً صحيحاً ، وما حصل قربة ولم يرد الله سبحانه به ، فهو رياء . فينبغي للمريد أن يتقي غاية الإلتقاء أن يظن بأحد من خلق الله رياء [ط10] ولا في عمل من أعمال الإسلام أنه فيه على غير استقامة . فمن تحقق السؤال وصل إلى العلم ، ومن وصل إلى العلم وفقه الله عز وجل وصل إلى العمل ، ومن وصل إلى العمل بحقيقة العلم ، وقع في طريق الإرادة .

طريق التحقيق في الإرادة أن يأخذ المريد نفسه بأفضل ما قدر عليه وأشدّه ، لقوله سبحانه : ﴿يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾⁽¹⁾ ، ويدع كل حق له عند غيره ، لقوله سبحانه ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾⁽²⁾ ، فندب إلى ترك الحقوق للكفار ، فتركها للمسلم أولى . ويؤدي إلى كل ذي حق حقه ، من مسلم أو ذمي ، لقوله سبحانه ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾⁽³⁾ ، ولا يظن بخلق من خلق الله إلا حسناً من التأويل ، لقوله سبحانه ﴿وقولوا للناس حسناً﴾⁽⁴⁾ والقول يشتمل على قول اللسان ، وقول الضمير . وبعض العلماء يقولون في الآية أنها محكمة ، وعلى عمومها ، حتى في اليهود والنصارى لقوله سبحانه للناس - قوله سبحانه ﴿فيتبعون أحسنه﴾⁽⁵⁾ هو الأس الأعظم في طريق الإرادة ، ويصلح عند كل عمل ، فتأمل فيه وعنده ، ولا عون إلا من الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي [و11] العظيم .

(1) سورة الزمر، آية 18 .

(2) سورة الجاثية، آية 14 .

(3) سورة النساء، آية 58 .

(4) سورة البقرة، آية 83 .

(5) سورة الزمر، آية 18 .

اختلاف العلماء في طريق الإرادة رحمة ، فمن الأعمال والرياضات ، ما لا ينتظم إلا بأن يجد المرید فيه خلافاً لبعض العلماء .

فصل

إذا رسخ [الإيمان]⁽¹⁾ بالتكرار والاستقرار ورسوخ العادة صار العدوان والظلم في حق المؤمن كالمحال ، وإليه الإشارة بقول الحق سبحانه في قوله : ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ﴾⁽²⁾ صار قتله له خطأ ، لإبعاده الإيمان الراسخ وما اشتمل عليه من غريزة العدل ، ومنافرة غريزة الظلم والعدوان وإن لم يكن ذلك محالاً في الحقيقة ، واستعمل هذا اللفظ في المحال بالعادة ، كما استعمل في المحال بالحقيقة ، قال الله سبحانه ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾⁽³⁾ أي هو محال في حقه بالحقيقة ، وقوله عز وجل ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾⁽⁴⁾ أي ذلك محال في حقكم .

والإيمان الراسخ هو الإيمان الذي مرت عليه الليالي ، ودرجت وراءه الأيام ، وشجرته تسقى بماء الطاعة ، وتلقح بلباقح الأدب ، وتنظف مسالكه إلى القلب من أضداده وأسبابها ، وهو الإيمان المشار إليه بقوله سبحانه : ﴿ولكن الله حبيب إليكم الإيمان﴾⁽⁵⁾ ، فاجتهد في الرغبة [ط 11] إلى الله سبحانه وبمطاوعة امره ، ونبيه ، كما حد لك في تحصيل إيمان الراسخين ، فإن حصلت في مجاله ، وتحققت برجائه ، فهو الفوز الأعلى ، وإن قطعت بك القواطع ، ونور العزيمة في قلبك ساطع فالمرء مع من أحب ومولى القوم منهم .

-
- (1) في الاصل أيمن .
(2) سورة النساء ، آية 92 .
(3) سورة مريم ، آية 35 .
(4) سورة النمل ، آية 60 .
(5) سورة الحجرات ، آية 7 .

فصل

قال الله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾⁽¹⁾ الآية. فبدأت بالإخلاص لله سبحانه، وثنته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، فحصل القبول، وكمل المأمول. فمریم أشرف نساء العالمين، وعيسى عليه السلام والتسليم [.. . يد]⁽²⁾ النبيين، والآية الباقية في الغابرين، ونظر زكريا عليه السلام إلى مريم فكأنه حركه لزومها المحراب للعبادة وخشيته بطريق غير العادة إلى الدعاء في الذرية الطيبة، فزرقه الله يحى عليه السلام، لم يعمل خطيئة، ولا همَّ بها فكان ذلك من بركات إخلاص امرأة عمران وتعوذها بالله سبحانه. فعليك بالإخلاص والتعوذ بالله إن كنت محباً في أن تحمد عقباك وتنتهي بركتك إلى من [سواك].

فصل

في الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم (حفت الجنة بالمكاره)⁽³⁾، يعني بها المشقات، وأن أهل الجنة وهم المؤمنون لازمهم البلاء [و12] وفاقت عليهم في مبادئهم الأشياء، وليس المحفوف بالمكاره عين الجنة، ولكن استحقاقها بفضل الله ورحمته، فمن أين للوادي الساكن المتنعم بدنيائه، المتألم بما ذكر له من أمر أخراه، أن يظن بنفسه أنه من أهل النجاة والفوز، هيهات ﴿ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾⁽⁴⁾. والفتنة ها هنا المشقة والمكروه لقوله في الآية الأخرى المناسبة لها ﴿وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾⁽⁵⁾، ﴿ولقد فتنا الذين من

(1) سورة آل عمران، آية 35.

(2) كلمة غير مقروءة.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه ج 4، ص 2174 باب الجنة وصفة نعيمها - وصدره (حفت النار بالشهوات) وفي صحيح البخاري ج 11، ص 320 بلفظ (حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره) والرقائق: باب حجبت النار بالشهوات.

(4) سورة العنكبوت، آية 1، 2.

(5) سورة الحج، آية 11.

قبلهم ﴿١﴾ نبه سبحانه أن ذلك سنته في خلقه، وعادة مشيئته في عبادته، وبريته، ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ ﴿٢﴾. نبه على أن المشقة والمكروه هو الذي بين صدق الصادق في الإيمان، وكذب الكاذب. فمن سلم من المشقات والمكاره، بطل دليل صدقه على إيمانه، ولذلك قال عليه السلام في الثابت عنه: أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء، ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ﴿٣﴾، يعني أن حظوظهم في البلاء على وفق حظوظهم في الشرف عند الله سبحانه، فإن بلاءه من عطايه، بل من أشرفها، ثم قال عليه السلام: ثم تبقى حثالة كحثة الشعير [ط 12] لا يبالي الله بهم. وقال نبيه صلى الله عليه وسلم أن صاحب الدنيا إذا كان فيها سليماً من البلاء والرزاء ممن لا يبالي الله بهم. قاله وفي معناه ما روي أن المؤمن ملقى، والكافر موقى، وفي قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره، وأهل الجنة هم المخصوصون بعناية الله سبحانه وفوائد لطفه، وأن البلاء عناية من الله سبحانه بعده، وقال الله سبحانه ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء﴾ ﴿٤﴾ الآية. فنبه أن البأساء والضراء من سنته القديمة، المختصة بصفوته الكريمة، وقوله: ﴿ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ ﴿٥﴾. أي لما يصيبكم مثل ما أصابهم من البأساء والضراء، ظاهر أنه أنكر عليهم ما حسبه وظنوه من السلامة في الدنيا، والنعيم فيها، في حال الإيمان. وقد سلفت سنته سبحانه بأن أهل الإيمان سنتهم البأساء والضراء، والإيمان طريق المؤمن إلى الجنة، وقد أخبرهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنها حفت بالمكاره، وقوله ﴿متى نصر الله﴾ ﴿٦﴾ أي لما انتهى البلاء منتهاه، وبلغ مداه، خافوا أن يفوتهم نصر الله في الحال، فيضعفوا عن حمل أعباء ما كلفوه، وأقرب ما يكون الزلل من العبد في أضيق أحواله [و 13] عليه.

(1) سورة العنكبوت، آية 3.

(2) سورة العنكبوت، آية 3.

(3) أخرجه أحمد في مسنده جـ 1 ص 172، 174، والترمذي في جامعه جـ 3 ص 286 وقال حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وقد ذكره البخاري في صحيحه فقال باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل جـ 1 ص 111 كتاب المرضى.

(4) سورة البقرة، آية 214.

(5) سورة البقرة، آية 214.

(6) سورة البقرة، آية 214.

وقلوب الأصفياء لا تخلو من الخوف ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾⁽¹⁾ فمن تطفه عليهم وتحننه إليهم نفس عليهم شد الخناق، وحل عن أسرارهم عقد النطاق، وناداهم نداء البر والإشفاق ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾⁽²⁾ ولم يقولوا متى نصر الله حتى لم يشاهدوا باليقين ناصراً إلا عند الله سبحانه. فكانت البشرية نصراً لبواطنهم عند مشاهدة الوجدانية بالنصرة، وانفراد الربوبية بالأثرة، فنزلت أجناد السكينة والطمأنينة، وانهمزت أجناد الخوف [والشرك؟]⁽³⁾. ولما لبست القلوب أردية النصر، وخلعت أردية القهر، عزت بعزتها الظواهر، وثبتت بثبوتها، فحينئذ خف البلاء، وانهمز الأعداء، وفي قوله عز وجل يقول الرسول، فبدأ به إشارة إلى قوله أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء، فبدأ بهم، وإنما يطلب النصر من كان في مجاهدة أعدائه. فالآية مشتملة على أنه لا بد لكل مؤمن من جهاد شديد يقال في مثله، متى نصر الله لطول أمد المجاهدة، وامتداد أيام ظهور الأعداء.

فيا طالب حقيقة الإيمان فيما تلقاه من المكاره والشدائد، ومجاهدة الأعداء، وعناية الله بك [ط13] فاثبت ثبات الأقوياء، وسلم تسليم الأولياء ولا تفشل فشل الأندال، فتسقط من عين ذي الجلال، وإن لم تنزل بريئاً من الرزايا، بعيداً عن البلايا، نقي الحال، رضي البال، فانظر لنفسك، فإن أظهر شأنك أنك تظن أنك مؤمن شديد، وأنت شيطان مريد، والبلاء ضربان: بلاء يحول بينك وبين الشر، وبلاء يحول بينك وبين الخير، فأحدهما إنذار عاجل، وعقوبة [تنشد؟]⁽⁴⁾ إلى قيام حجة الحق على الخلق، وهو الذي يحول بينك وبين الخير. والبلاء الآخر هو البلاء المحمود وسببه النية والوجود فلا بد من الهم والغم لكل مؤمن وكافر، ومتق وفاجر، ومطيع وعاص، وقريب وقاص، فإن الدنيا دار أنكاد، ومبينة على صلاح وفساد، فلا تحسب أيضاً كل مكروه دليلاً على الإيمان، ولكن التفت إلى الغاية والطريق، فإنها علامة الخذلان والتوفيق.

(1) سورة الأعراف، آية 99.

(2) سورة البقرة، آية 214.

(3) كلمة غير واضحة.

(4) كلمة غير واضحة.

فصل

لا بد لكل طالب علم حقيقي من ثلاثة أشياء . :

أحدها : معرفة الإنصاف ولزومه الأوصاف .

والثاني : تمييز وجه السؤال ، وتجريده من عموم جهات الإشكال .

والثالث : تحقيق الفرق بين الخلاف والاختلاف .

وقال رضي الله عنه :

الأسباب [و14] التي يكون بها الغلط والمغالطة ، وهو رأس الخلاف المذموم في الشرائع والعلوم وهي عشرة :

أحدها : القياس المعارض للحقائق والأصول .

والثاني : الظاهر المناقض للأوصاف المتعارض الأطراف .

والثالث : التقليد على حكم العصبية .

والرابع : المصلحة الفلسفية التي عمادها ونهايتها السلامة الدنيوية .

والخامس : التأويل الباطني وهو إضافة المعنى إلى ما لا يصلح له حكماً ولا حكمة .

والسادس : التكلف وهو التصدي للعلم أو العمل قبل تحصيل شروطه وآلاته .

والسابع : الاستبداد وهو (الاكتفاء)⁽¹⁾ بالنفس قبل تحقيق درجة الإمامة في المتوجه إليه من علم أو عمل .

والثامن : التلاعب وهو التعويل على الرخص ، والاعتماد على المترخصين من غير عناية بحقائق العلم ، ولا بحقائق الورع .

والتاسع : العجلة وهو الاكتفاء بأوائل الأدلة ومبادئها ، دون غايتها ومناهيها .

والعاشر : الإبطاء وهو طلب الزيادة على المقدار الواجب في تصحيح كفيات الأعمال ، وترجيح وجود أدلة العلوم ، ولهذا الكلام شرح .

(1) كلمة مطموسة .

وقال رحمه الله :

[ط14] المذموم على الحقيقة ما ذمه الله ورسوله ، وأصنافه بلسان الشرع الكفر والأهواء⁽¹⁾ والمعاصي ، وإيثار الدنيا على الآخرة ، وإذا أنعم الله على العبد أن يكون الإيمان شعاره ، والسنة دثاره ، والطاعة داره ، والزهد في الدنيا عن اختيار الآخرة قراره ، فقد أحبه والسلامة من كل ما ذمه الله ورسوله في السلامة من ستة مذاهب أنكرها الدين وذمها ، وهي السموم القاتلة ، ولا بد لمن تعلم العلم من معرفتها وتمييزها .

مذهب التقليد المذموم بالسنة العلماء المشابهة للقدوة والاتباع وليس به .

ومذهب القياس المذموم بالسنة الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم ، المشابهة لأراء الفقهاء وقياسهم وليس به .

ومذهب التكلف وهو الذي حرمه الله وأمر رسوله عليه السلام أن يتبرأ منه في قوله عز وجل ﴿ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾⁽²⁾ .

ومذهب الفلسفة وهو الذي يشابه مذهب العقلاء بالحقيقة وليس به .

ومذهب الظاهرية يشابه مذهب رواية الحديث والفقهاء وليس به .

ومذهب العبث نبه القرآن عليه في قوله عز وجل ﴿وذر الذين [و15] اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا﴾⁽³⁾ الآية .

وهذه الستة مذاهب العبد محمول عليها إلا من عصم الله وأمره بالتوفيق والتسليم للكتاب والسنة والبراءة عن أمر مولاه من نفسه وهواه ، وتكون هذه المذاهب في السؤال والجواب وتسري من العلم إلى العمل ، فالمقلد هو الذي إذا نزلت به نازلة فزع قصداً ، وعمد إلى غير الأشهر بالدين والفضل والرأي السديد في علم تلك النازلة ، وعول فيها على غير الأبين ، وذلك تقليد . فإن فزع إلى الأشهر بالدين والفضل والرأي السديد ، فذلك هو القدوة والاتباع المحمود طبعاً ، المأمور به شرعاً ، فإذا قوي كل واحد من الأمرين صار مذهباً ، فإذا العبد في رأس من رؤوس المذمومات ، معرض للآفات وهو

(1) في الأصل الأهوى .

(2) سورة ص ، آية 86 .

(3) سورة الأنعام ، آية 70 .

التقليد، إن إدركه شؤم هواه وإيشاره لنفسه على مولاه، وإذا هو في رأس من رؤوس البركات، ومبادئ السعادات وهو القدوة، وذلك خصوص من الله سبحانه.

ومذهب القياس المذموم هو تعليل الصورة بالصورة، والظاهر بالظاهر، قصداً عمداً من غير [ط15] التفات إلى الحقيقة، ولا مبالاة بها، ومثاله أن يقول الراكب للماشي سلم علي مبتدئاً، لأنني بمنزلة القاعد على مكان عال. فهذا قياس مذموم، ليس من فقه الفقهاء وقياسهم في شيء، لأنه خالف النبي صلى الله عليه وسلم وأبطل الحقيقة. وذلك أنه مفهوم معلوم أن الراكب إنما أمر بابتداء السلام على الماشي لتظهر (براءته) ⁽¹⁾ بشاهد الإسلام من الكبر والخيلاء المظنون بالراكب. فإذا قال ابدؤني بالسلام وأنا راكب وأنتم مشاة، فقد أظهر الكبر من نفسه ونص عليه وبينه. فالحقيقة في مسألتنا أن لا يبتدأ بالسلام وهو ماش أو جالس، وإن تكلفه هو أن يبتدئ به، حتى تصح توبته، ويثبت تواضعه، ويقاس حينئذ مشيه وجلوسه على ركوبه، وهذا هو قياس الفقهاء ورأيهم، والدين يقبله، والعقل يحتمله، بخلاف القياس الآخر.

ومذهب التكلف هو أن يتصدى العبد إلى ما ليس بأهله من السؤال والجواب، أو الدليل والاستدلال، أو غير ذلك من الأعمال، ويستغني بنفسه وعقله ورأيه عن الأئمة الذين هم في تلك النازلة أئمة العلم والعمل، وهذا بين في العامل بنفسه، والمستدل [و16] بنفسه، ومن التكلف سؤال الرجل في علم أو عمل، على أنه من طلبه ذلك العلم وأهله، وسؤاله سؤال عامي، والعامي يسأل ليعمل فيذكر ما نزل، والمسؤول يحقق ما حصل ويبين بياناً يمنع السائل من أن يتأول، والطالب يسأل ليعلم، فمن حقه أن يسأل عن مسألة بمسألة أخرى.

ومذهب الفلاسفة هو العمل بتقديم الأصلح في الدنيا، على الأصلح في الدين قصداً عمداً، فمن شعر أن المقصود إليه أصلح في الدنيا، ولم يشعر بما وراءه، ظن أن الأمر حق، وقامت بذلك سياسته، واتفق عند كثير من الخلق بذلك الوجه خلاف الحق. ومن شعر بأن ذلك وإن كان أصلح في الدنيا، فخلافه وغيره أصلح في الآخرة، عرف أن ذلك باطل شبه بالحق وموّه.

(1) في الأصل براءته.

ومذهب الظاهر المذموم الذي سقط فيه داود بن علي وأشياعه ، ولا قدوة لهم فيه إلا الخوارج في وقت الصحابة ، وأهل النفاق في وقت الرسالة هو العمل بما سبق في ظاهر الأمر من مسموع آية أو حديث أو مسألة أو غير ذلك ، من غير التفات إلى ذلك السابق ، وتمحيصه بشواهد [ط16] الأصول وتلخيصه ليتميز الرأي في الصحيح من المدخول ، وهو الظاهر غير المشهود له ، المصمم عليه ، المجهول هو المنبئ إليه ، وكما قيل في الظاهرية المذمومة من أخلاق الكلاب ، فإنها إذا رميت بالأحجار أقبلت عليه ، تعضه وتقف عنده في أنه هو الضارب ، والضارب في الحقيقة راميه ، والظاهري يقف عند السابق من المسموع ويصمم عليه ، ويدع ما وراءه من الفقه والعلم .

ومذهب العبث أن يعمل العامل أو يقول القائل لا عن رأي صحيح ، وأصل ثابت ، وقاعدة من النية ، والحال الحاضرة راسخة ، والبين لنفسه لا سؤال فيه ، من حيث هو بين وما ليس ببين بنفسه ، فالمسألة شائكة فيه لأهله ، والخلاف في البين بنفسه مردود ، فإن كان في عين الإيذان كان كفراً ، وإن كان في عين السنة كان بدعة ، فلذلك لا يعذر كافر ولا مبتدع ، لأنهم خالفوا في البين والتكذيب والإنكار في عين الإيذان ، وعين السنة الذي هو في الحقيقة كفر وبدعة ، هو الذي جر إلى تأول المعجزات ودفع الكرامات .

والسنة مذاهب المذكورة لها في الظاهر قاعدتان : العجلة وهي التقدم قبل العلم [و17] والثانية الإدلال وهي التأخر بعد البيان عما يوجبه البيان ، ولها في الباطن قاعدتان : حب الرياسة وحب الراحة . والنفس تنقاد للوهم كما تنقاد الحقيقة للعلم ، والعقل المؤيد بالعلم إذا كان التوفيق ، فإذا كان الخذلان حكم الوهم ، وسلم العقل ، وفات العلم ، وسفلت الحقيقة ، وانتشرت الظلمة بارتفاع نور البيان ، وظهر سلطان نور الهوى والعصمة بيد الله سبحانه .

كل علم وقف عند الحس وجوداً أو تقديراً ، وكان يقيناً زاد في العقل زيادة صورة لا زيادة حقيقة ، والفلسفة الصحيحة سر ذلك ، فأما علم الكتاب والسنة بحكم الغيب وشاهد حقيقة الإيذان ، فليس للحسن فيه نصيب ومزيده حقيقة العقل .

وقال رحمه الله :

العلوم أربعة : علم في لسان وعموم الخلق أولى به من خصوصهم .

وعلم في عقل وأحوال صاحبه تشابه .

وعلم في قلب وخصوص الخلق أولى به من عمومهم .

وعلم في سر وصاحبه صاحب شر أو بر .

ومن كلامه رضي الله عنه :

تحقيق ترك العمل اتكالاً على سابق القدر تعطيل وشقاء ، والعمل على غير إيمان بالقدر إخلال وعناء ، في [ط17] تسويف أسباب التوبة إزدیاد من التضمخ بأنجاس التجربة ، ومثله كمثل إنسان في مرحاض غمرته الأقدار والأوساخ ويشق عليه التخلي والانسلاخ منها ، فإذا دعي إلى أن يخرج مما هو فيه تعلل للإقامة وتشاغل عن الكرامة ، المجنون خير منه حالاً وأرجى مالاً . فليس من تدنس اختياراً كمن تدنس اضطراراً ، لا بد من شقاء أو سعادة إلا بالعمل على اليقين ، ولا عمل على اليقين إلا بعد صحة الخوف من الله سبحانه والرجاء له ، ومن خافه على الحقيقة ، ورجاه على الحقيقة لم يكن إلا بين ثبوت في محل الرضى وهو الطاعة ، أو زوال عن محل الغضب وهو المعصية والثبوت من صفة المخلصين والزوال من صفة التوابين ﴿والله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾⁽¹⁾ وقال التوبة العليا وهي التوبة من كل شيء ، لا يستطيعها إلا الأنبياء والخاصة من الأولياء عليهم السلام بعصمة الله سبحانه لهم .

وأما التوبة من بعض الأشياء رفقاء في رفق ، واستراحاً في صدق فما عجز عنها إلا الضعفاء السخفاء ، وبخذلان الله لهم عجزوا ، ومن توصل بالله سبحانه وصل ، لا بد للإنسان من حركة في صلاح أو فساد ، والحركة واحدة بعينها في الجهتين وإنما صارت الحركة خفيفة [و18] في أحدهما ، ثقيلة في الأخرى بقوة الجر وضعفه ، فمن ضعف جره في جهة ثقلت عليه وصارت بغیضة إليه ، فإن كانت تلك الجهة خيراً ، فالخذلان أقعده وصدده ، وإن كانت شراً فالتوفيق أنهضه وأمده ﴿ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾⁽²⁾ فإن كان لك

(1) سورة البقرة ، آية 222 .

(2) سورة الحجرات ، آية 7 .

إيمان لا يشوبه فسوق ولا كفر ولا عصيان، فأنت بنعمة الله وفضله رشيد حميد وإن خالط إيمانك شيء من ذلك فأنت سفيه ذميم ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾ (1).

من أحب سلوك الطريق وخاف الحيرة تشوف تشوفاً صادقاً للتنبيه، وبكى للدليل في طلب الإرشاد، بكاء الصبي بين يدي أبيه، ومن أراد الوصول وحرم الدخول تعلق بالأسباب وحام أبداً حول الباب وينشد:

مَرَرْتُ عَلَى الدَّيَّارِ دِيَارِ لَيْلٍ أَقْبَلْتُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارِ
وَمَا حُبُّ الدَّيَّارِ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدَّيَّارِ (2)

فصل

كيف يفلح من لا يرى مفلحاً؟ وكيف يراه من لا يعرفه؟ وكيف يعرفه من لو رآه لا ينصفه؟ وكيف [ط18] ينصفه من هو له بأفعاله وأقواله وسائر أحواله مناقض، وفي غير سبيل النجاة التي هي سبيله ناهض.

فصل

الصديق المطلق هو الذي ينفعك بكل ما أمكنك في كل شيء، من دينك ودنياك، ولا يكون ذلك إلا فيمن رسخ عنده الإيمان، ودلته على وجوه المضار والمنافع حقائق العلم، وكانت صداقته لك عنده عملاً لا يتم عنده إلا بغاية الإخلاص لله سبحانه فيه، ومن ترقى إلى هذه الدرجة من الإيمان والعلم والإخلاص فقد حصل في محل الولاية والاختصاص، وحجبه الله سبحانه صيانة لصدقه إلا عن أمثاله من خلقه، فما أبعد

(1) سورة الممتحنة، آية 10.

(2) شعر قيس بن الملوح؟؟

من النجاح ، وأقربه من اليأس من طلب صديقاً مخلصاً بين الناس ، فإن كنت صادق النية في ابتغائه ، فاقبل على الحق بتصحيح البعاد عن الخلق ، فإذا رأوك عرفوك فأنصفوك ، وأما ما دمت بين الأوزار وأربابها متردداً ، تزعم أن قلبك يهواهم ، ويتجافى عمن سواهم ، فلا يصل إليك منهم ما تسوخاه ، فإنه لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه⁽¹⁾.

فصل

المتأدب بأداب الحق سبحانه ، صحبة الوحش أحب إليه من صحبة الإنسان فهو يلزم النفار ، ويسكن القفار ، يكتفي بمن صحبه [و19] في الدين لا تضير وينشد :

عَوَى الذُّبُّ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذُّبِّ إِذْ عَوَى وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرَ

فالصادق الإرادة في طلبهم لا بد له من الخلوة هي بابه ومنها ينتظم ويلتئم أسبابه .

ومن كلامه رضي الله عنه :

فصل

الدين لا يتم إلا بحقيقة اليقين ، فذلك كان حق المفتي أن يفتي بأقل ما يشغل الذمة ، لأنه هو الذي يتعلق به يقينه في اشتغال الذمة . وحق المستفتي ان يأخذ بأكثر ما يقدر عليه من شغل الذمة لأنه هو الذي يحصل به يقينه ، وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ؟ (استفت قلبك ، وإن أفتاك المفتون)⁽²⁾ . يريد أنه لا تبرأ ذمتك إلا

(1) مقتبسة من الآية الكريمة ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ .

سورة النمل ، آية 65 .

(2) أخرجه أحمد في مسنده ج 4 ، ص 227 ، 228 ، والدارمي ج 2 ، ص 161 « البيوع : باب دع ما يريبك إلى ما يريبك وفي مسنده كلام ، لكن له شواهد تقويه .

ببراءة يقين بكل ما أفتاك به المفتون ، فلا ينفعك من الفتاوى إلا ما قارنه اليقين لأنك إذا عملته حصل لك براءة الذمة وذلك لا يعلمه على الحقيقة إلا الله سبحانه ، ومن الخلق إلا المستفتي هو أعلم بحقيقة حاله ، فالفقيه على الحقيقة الذي يسمى عاملاً هو الذي يوافق علمه عمله ، فإذا أفتى غيره أفتى بأقل ما يقدر عليه ، لأنه هو جهة يقينه فيما يشغل ذمة غيره ، وإذا عمل ، عمل بأكثر مما يقدر عليه ، لأنه هو جهة يقينه فيما [ط19] تبرأ به ذمته ، وهذا هو الجمع بين الفقه والورع في حق المفتي ، فأما السائل إذا سمع الفتوى بأقل ما يشغل ذمته فعمل بأكثر ما يشغل ذمته لليقين بالبراءة ، فهو الجمع بين الفقه والورع في حق المستفتي ولا يحصل اليقين في الدين للعمال في براءة الذمم إلا بجمع الورع والفقه وقد اقتصر أكثر الخلق على الفقه ولا ورع ، فبطل اليقين وضعف الدين بذلك .

خاطر يقين غير ذلك اليقين وهو العلم الموروث ، وعلامة الخصوص الأشرف كمال المتواضعين لا يكون إلا في محلين : أحدهما نقصان الفطرة ، والثاني نقصان الرياضة للنفس .

ونقصان الفطرة هو عجزها عن تحصيل الدلالات بمبادئها ونهاياتها ووقوفها قبل الدلالات أو مع بدايات منها بالحيلة والطبع ، وكلما نقص من حقيقة شيء فهو تمامها ، فإنه بداية .

وأما نقصان الرياضة للنفس فقد يراد بها تصريفها فيما تأخذ وفيما تدع ، بقاهر الاهواء دون حاكم العلم والاستبراء .

وكمال الفطرة هو إدراك حقائق الدلالة بالسلوك ، من مبادئها إلى نهاياتها فإن اتصل بها خذلان الله لصاحبها انطفاً⁽¹⁾ نورها [و20] ووقف عند الخسائس انتشارها وظهورها ، وإن اتصل بها من الله سبحانه توفيقه وتأيدته ، كان انتشارها وظهورها في الإيمان وأحواله ومقاماته وآياته .

وكمال رياضة النفس بما تقبل به حقيقة التواضع ، فهو أول منازلها من الاستعداد لقبول محض الحق واحتمال أنوار الصدق ، والتصدي لسلوك سبيل قبول محض التوادة

(1) في الأصل انطفئ .

والرفق ، ويتصل بذلك أنه من فقد حقيقة التواضع استغنى بنفسه عن القدوة فتركها ، ومن ترك القدوة ، فقد العلم ، ومن فقد العلم ، فقد الدلالات ، ومن فقد الدلالات تحير ، فتخلف وسلك بنفسه ، ومن سلك بنفسه فكوشف ، كوشف بنفسه ، ومن كوشف بنفسه ، عَمِيَ عن مشاهدة ربه وخالقه ، ولم يَرِ إلا نفسه ، ومن لم يَرِ إلا نفسه ، عظمها ، ومن عظم نفسه ، استحق ما سواها ، وهذا موضع تلفه ، لأنه في ظاهره في أعلى عليين ، وبحقيقته وهو الكبر على العلماء واستحقار [ط20] الرفقة والرفقاء في أسفل السافلين .

والأدواء الباطنة قل ما وردت عليها العافية ، أو سلك إليها الشفاء أو عرف كيف يداوي أهلها الأطباء ، ولا يمتنع أن يكون من وجود ذلك من القدوة ما لا يهتدي إليه العلماء إلا أن يأذن الله سبحانه لمن يشاء .

خاطر آخر

أول اتصال الأشياء بالعبد : العبد كلام ترسمه القدرة في حقيقة الموجود ، فإن قام لتلك الرسوم ما طاق في جملة العبد ، فهو الهذر وكثرة الكلام ، وهو أول منازل الحمق ومفارقة العقلاء ، وهو في هذا ظهر للشعراء الذين هم في خدمة الشعر ، بتحسين الباطل وترميمه ، وتقبيح شأن الحق وتهجينه ، وفيه ظهر كل علم حقيقته الجدال ، وكان صاحب هذا المقام غير محسوب في أهل الدنيا ، ولا في أهل الدين والآخرة ، وهي البطالة المحضة والتخليط التام .

والمكشوف له من هذه الطبقة يصدق بصدق الموهم ، ويكذب بكذبه ، ومن هذه المشكاة نظر الشياطين إلى الغيب ، ثم حدثوا عنه فأصابوا وأخطأوا ولكنهم أصابوا غير محمودين ولا مأجورين ، واخطأوا مذمومين مهجورين ، فإن لم يكن لتلك الرسوم سلطان في جملة العبد إلا سلطان الأفعال الصادرة عنه ، حتى كان [و21] العمل أحق به من القول ، فهو العقل الذي تنتشي (به)⁽¹⁾ حقيقة الدنيا ، وحقيقة الدين والآخرة ، فإن اتزنت الأفعال بميزان الهوى ، وعنه ظهرت ثم انتظمت ، فهو الوهي والمكر ، وهؤلاء عمار الدنيا المذمومة ، ولهم قامت ، ومعها يكونون ، وبعد الموت حيث كانت ، وهم

(1) زيادة حتى تستقيم الجملة .

المتبعون في كل باطل وضلالة، وهم أرجى من الطبقة الأولى، لأنهم لقبول الحق المحض إذا أقبلوا عليه أخرى.

وإذا اتزنت الأفعال بميزان يقين الصواب في سبيل سلوك الأنفع، ظهر العلم، وانتشر العلماء، وعرفهم من كان في طلبهم صادقاً، فإن أخذت الدلالات التي بها قيام العرف والعادة والوهم الجاري على نظامها، ظهرت الفلسفة والفلاسفة، وانتشر الدين الوهمي الذي يظن به أنه هو الدين الحق، وليس به، ومن ها هنا حسنت آراء كثير من الناس بالفلسفة والفلاسفة.

وإن أخذت الدلالات التي بها قيام حقيقة العلم من الإقرار بالرسول عليهم السلام، والاعتراف بما جاءوا به من العلوم والشرائع، ويظنوه من الأعلام والآيات، وأشاروا إليه.

من المبادئ والغايات ظهر الإيثار والمؤمنون على انتظام [ط21] رفقاتهم، واختلاف طبقاتهم فإن كملت أفعال الإيثار بمكيال الرغبة والرغبة والرقبة وعبد العبد بإيمانه مولاه، كأنه يراه، ظهرت أوائل الإرادة، ثم نشأت عنها إذا صدقت المقامات والأحوال حتى تصير ولاية خاصة ثم معرفة تامة في إقامة أحوال الشريعة على الجوارح بحقيقة النصيحة وغاية الجهد والاستطاعة، جعلنا الله من هؤلاء برحمته وجوده.

ومن كلامه رضي الله عنه :

في قوله سبحانه ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم﴾⁽¹⁾ الآية. هذه من صفة علماء السوء وكبراء أهل الدنيا المغترين بها في جمع الأموال والجاه. فأما قوله سبحانه ﴿إن كثيراً من الأحرار والرهبان﴾⁽²⁾ فتضمن علماء السوء خصوصاً، بدأ بهم تهديداً وترويعاً، لأنه يوم القيامة، يبدأ بهم في دخول النار تشنيعاً وتسميعاً. وأما قوله ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة﴾⁽³⁾ فعام في علماء أهل السوء وكبراء الدنيا المغرورين، لم يتواضعوا بالذهب في الدنيا، ولا خشعت جباههم [ذلاً؟]⁽⁴⁾ بحقائق

(1) سورة التوبة، آية 35.

(2) سورة التوبة، آية 34.

(3) سورة التوبة، آية 34.

(4) كلمة غير واضحة.

الإيمان، ولا تجافت جنوبهم عن المضاجع في طلب [و22] الأمان، ولا نصبت ظهورهم في الركوع والسجود بين يدي الملك المعبود، بل كان الكبر والفخر والسرور بجمع الدنيا في وجوههم بادياً، وناموا [واتكأوا؟] ⁽¹⁾ بجنوبهم على اللين من أنواع الملابس، إيثاراً لراحة النفوس عملاً متبادياً، واعتمدوا بظهورهم على صدور المجالس زهواً على الخواطر المجالس، ظاهراً بادياً.

وأى ظهور لم تثقل بأعباء الدين ولا نشطت للقيام بأمور المساكين، بل خفت واستراحت بطرحها لأنقال الأمانة، وقامت بشرائع أمثالها، أهل العجز والخيانة، تمتلئ بقيامه وبخدمته لصاحب الدنيا، نشاطاً وإيساطاً، خديعة ومكراً، وينظر إلى ولي الله، وإلى أطماره ومهومها، نظراً شزراً، حتى إذا جاءت القيامة باليقين، وانفرد بالملك سلطان الحق المبين، وأديلت الدولة للفقراء والمساكين، ونادى مناد الصدق لا جاه إلا لأهل الدين، هنالك أحمي على تلك الحجار من نار العزيز الجبار، فكويت الجباه، إتياناً فيها لأحكام الكآبة والحزن والذل والعار، لأن المال فائدة جمعه وكثره وإمساكه عن النفقة في سبيل الله التوصل به [ط22] إلى اللذات، واللذة الباطنة إنما مدارها على السرور، وأخص أجزاء الجسد أيضاً بأضداد السرور، وهي الكآبة والحزن وما في معناه، والسرور مقرون به العز والكبر، وآثار السرور أظهر وأخص بالجبهة، وأضداد العز والذل، وهي الذل والعار وما في معناه أيضاً أخص بالجبهة، ففي كل الجباه إبطال آثار ما كانوا فيه من السرور والفرح، والشر والبطر، والعز والفخر، والكبر والعجز، وإبطال آثار ما حصل للفقراء والمساكين، وما أنزل نفسه في ما له منزلتهم فلم ينتفع منه إلا بما تحقق أنه يرضي الله سبحانه من النعيم المقيم في جوار السيد الكريم، وفي ذلك جماع إبطال اللذات الباطنة، وجماع إثبات المكاره والآلام الباطنة.

والكي سبيه وعلامته ما اتصل به من ظهور آثار الكآبة والحزن، والذل والعار، وكويت الجنوب لأنها أخص أجزاء الجسد بأعم اللذات الظاهرة التي هي مرافق الجسد لا مرافق الروح والنفس، لأنه يأكل على جنبه لا تتجافى به في قيام الليل، فيكون ممن قال الله فيه ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ ⁽²⁾ وقال ﴿تتجافى جنوبهم عن

(1) كلمة غير مقروءة.

(2) سورة الذاريات، آية 17.

المضاجع ﴿١﴾ وقال ﴿يذكرون الله [و23] قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ ﴿٢﴾ فكويت الجنوب، إثباتاً لإحكام القلق والاضطراب، والتقلب بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الدعة والشرف والنعمة، وترك الركوع والسجود والقيام بين يدي الملك الرحيم المعبود على غاية المحبوب، وكويت الظهور إثباتاً لإحكام الأثقال فيها، بدلاً من نشاطها وانبساطها وخوفها في ترك الصلوات، وفي ترك أداء الأمانات، وخوفها في القيام إلى أمثالهم من أهل الدنيا، وتصدرهم في المجالس بها، على ما يحظرونها من المواضع على غيرهم كبراً وزهواً.

فالكي في الظهور إثباتاً لإحكام الأثقال فيها، لأن من تحمل الأثقال تطأطأ وانحنى بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا، من رفع الرؤوس، وصعر الحدود، بخلاف ما صار إليه أهل الفقر من نعيم الأبد في جوار الواحد الصمد.

هيهات لهم هيهات! لو زهدوا زهد الحقيقة في الفاني القليل لكُلِّتْ جباههم بأنواع الأكاليل في جوار الملك الجليل، ولو تجافت جنوبهم عن المضاجع واستوخت، وثارَت المهاجع [ط23] لنامت على السرر المرفوعة الفرش، والموضوعة على العبقري والنمارق، مع الحور العين العواتق، في جوار الصمد الخالق. ولو قاموا في ظلم الليالي تملقاً إلى ذي الجود والمعالي وخضوعاً لمولى الموالى لكانوا سراعاً خففاً إلى زيارة الرحمن في مراكب أهل الأمان، في جوار الملك الديان.

فيا جامع المال! أسمعت أوصافك؟ فجمّع أطرافك إن كنت عاقلاً، وإن اغمي عليك فاليقين عما قريب واصل إليك، قل بالمال هكذا وهكذا كما قال نبيك صلى الله عليه وسلم.

(1) سورة السجدة، آية ١٦.

(2) سورة آل عمران، آية 191.

وقال رضي الله عنه :

الكون معلوم الحقائق في قوله سبحانه ﴿إنا قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾⁽¹⁾. وللكون حياتان : حياة تفنى ، وحياة تبقى . فالدنيا حياة الكون من وقت النشأة إلى وقت النفخة الأولى من نفخات القيامة وهي الحياة الفانية ، وبعد ذلك حياة الكون وهو الآخرة الباقية ، وهي الحياة الحقيقية لقوله سبحانه ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾⁽²⁾ وما بقي ببقاء الدنيا من أصناف الشهوات والأموال فهو متاع الحياة الدنيا وزينتها .

والحياة حركة ، لأن الميت ساكن ، والعبد [و24] موزون بحركته قبل أن توزن عينه ، فالأعين توابع للحركات في أحكام الدنيا والآخرة . قال الله عز وجل في صفة الذين ضل سعيهم أي عملهم وحركاتهم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾⁽³⁾ . والفاني في لسان العلم وهو المنقطع وجوده من وجود الإيمان ، هو عند الخلق والباقي وجوده بكونه موصول الوجود بوجود الإيمان هو عند الله ، قال عز من قائل ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾⁽⁴⁾ .

والدنيا عند علماء العربية فعل من دنى يدنو ، جعلت في الاصل «واو» مدَّ «يا» ، فتغير لفظها ولم يتغير معناها ، وهي من نعوت المؤنث لا من نعوت المذكر ، وفسر القرآن العزيز في عدة مواضع أنها من نعوت الحياة ، فقال عز وجل ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾⁽⁵⁾ ، ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾⁽⁶⁾ وإنا تعني هذه الحياة الدنيا ، ودنو الحياة هو فناؤها وانقطاعها وزوالها في سرعة ، لقوله تعالى : ﴿بل تؤثرن الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى﴾⁽⁷⁾ والكون كله ميت في عينه وحركاته وسائر جهاته ، حتى يتصل وجوده بسكينة إيمانه ونوره ، [ط24] فيكون حياً لقوله سبحانه ﴿أَوْمَنَ كان ميتاً فأحييناه ،

(1) سورة النحل ، آية 40 .

(2) سورة العنكبوت ، آية 64 .

(3) سورة الكهف ، آية 105 .

(4) سورة النحل ، آية 96 .

(5) سورة الأنعام ، آية 32 .

(6) سورة الكهف ، آية 46 .

(7) سورة الأعلى ، آية 16 ، 17 .

وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ﴿١﴾ الآية . وقال ﴿لينذر من كان حياً﴾ ﴿٢﴾ وقال في نعت الأصنام من حيث تعبد لا من حيث تشهد ﴿أموات غير أحياء﴾ ﴿٣﴾ فنبه على أن المتوجه بعبادته وشهادته إلى ميت ميت ، ودليله أن المتوجه بعبادته وشهادته إلى حي حي ، فالمحمود من الدنيا ما كان حياً باقياً بحياة الإيمان وبقائه ، وذلك هو العلم النافع في الدنيا والآخرة ، والعمل النافع لعامله عند الله في نفسه ، أو في نفسه وغيره .

والمذموم من الدنيا ما لم تتصل به حياة الإيمان وبقاؤه فيما يتعلق به المكلف من عين وحركة . فالمذموم إذاً من الدنيا هي المعاصي وأصنافها ، وهي الكفر ، والأهواء ، نعني البدع ، ومنزلة الكفر في البدع منزلة الروح من الجسد ، فإن الكفر بدعة ، والبدعة كفر غامض ، وكل واحدة منهما عناد بئس ، وأما المعصية وإيثار ما يفنى على ما يبقى ، فكل واحدة منهما خيانة ، والعناد البين فيه إبطال جملة الحق ، ومنازعة مستحقة في [و25] كله .

والخيانة إنما هي إبطال إقرار بالحق ، فالمعاند سالم نفسه وهواه ، وعادى سيده ومولاه ، ودفع في حكم قيام الحجة حقوقه إلى من سواه ، وأما الخائن فإنه أنصف سيده وأحبط إقراره ، فعلى نفسه جنى ، وعن حظه تأنى .

فهذه أصناف المذمومات ، وما لا يراد من الأعيان إلا لما أوبقه سلطانها فيه تبع لها في الذم ، وإنما قيل الدُّنيا في الدُّنيا هي المعاصي ، وفي الآخرة عقوباتها ، لاتصال وجود المعاصي في لسان الحقيقة بوجود عقوباتها في الدنيا والآخرة ، وأراد بذلك قائله المذموم من الدنيا ، فأما رأيه المؤيد نفسه وعمله لحظة وشغله بِذِكْرِهِ عن مَذْكُورِهِ ، فليست بدنيا في ظاهر الكتاب والسنة ، وموضع الاتصال بالإيمان العامل ، وإنما ذلك دنيا في حكم خاصة الخاصة ، وعلى سعي الكتاب والسنة شواهد حقائقها ، ولكل مقام مقال .

وأما الليل والنهار فشاهدان للعبد وعليه ، وشهداء الله حججه ، وحجة الله باقية

(1) سورة الأنعام ، آية 122 .

(2) سورة ياسين ، آية 70 .

(3) سورة النحل ، آية 21 .

الحقيقة، فإذا اتصل الليل والنهار [ط25] بوجود الإيمان من هذه الجهة، فهما منفصلان من الدنيا، متصلان بالآخرة، وأما عند فنائها بفناء الكون (. . .)⁽¹⁾ عند النفخة فهما موصولان بالدنيا. فالحكم فيها مفتقر إلى التفصيل، ولما كان أمد الآخرة يوماً واحداً لقوله سبحانه ﴿والיום الآخر﴾ وكان الآخر من نعته دَلَّ ذلك على يوم واحد أول، وذلك هو أمد الدنيا، كأن بظاهره يوماً، وبحقيقته أمساً، لأن الدنيا وأمدها، وسائر توابعها، حقيقتها الفناء، والأمس هو إثبات حقيقة الفناء لليوم.

وأما اليوم الآخر فهو يوم بالظاهر والحقيقة معاً، فالبقاء نعت، وكل باق من الكون من عين أو حركة موصول به، وكل كون فحظه من الدنيا بحسب حظه الأول من النعوت المتقدم ذكرها، فالعبد دنياه حياته من وقت نشأته إلى وقت موته الذي هو موته بفراق روحه وجسده ومعاصيه في هذه الحياة، وكل حركة له مذمومة، دنيا مذمومة، وطاعاته وكل حركة له محمودة دنيا محمودة، وليله ونهاره بما لهما من الفناء دنيا، وإيثاره ما يفنى [و26] على ما يبقى دنيا فكل ما تحت ذلك من أصناف الحركات وماله وبنوه، وشهواته وملابسه، ومراكبه وسائر الأعيان المتصلة به من حيث يفنى دنياه، ومن حيث يوجب العقوبة، دنيا مذمومة، ثم هو ما بين مغفور له فيه، وبين معاقب عليه ومهمّل. والإهمال من نعت حقيقة (الفناء)⁽²⁾، فما كان على هذا النعت فهو أيضاً دنياه.

وآخرة كل عبد حظه من الإيمان، وثوابه، فإن كان حظه من الإيمان باطلاً، أو لا حظ له فيه، أو مشوباً، فلا آخرة له في لسان الكمال من لسان الحقيقة، وله آخرة في لسان العلم. ومن كان حظه من الإيمان خطأ لا شوب فيه، فهو الذي له آخرة بلسان العلم والحقيقة جميعاً، وأما المشوب فله آخرة بلسان العلم، وليس له آخرة في حكم الحقيقة فلذلك صمت العلماء عن كثير من أهل الدنيا، لأن ما شهد فيه حكم الحقيقة دون عينها غامض، مفتقر إلى نصر قوي، وإيمان سري، وذلك عزيز الوجود قليل في خاصة الوفود وبالله التوفيق.

(1) مكررة «عند الكون».

(2) في الأصل الفنا.

ومن [ط26] كلامه رضي الله عنه :

الخلوة بدايتها التسبب لها بمفارقة الخلق من غير إضرار بدين أحد من خلق الله ، ولا إضرار بحق من حقوق الله وحقوق الخلق ، أوجب نفس الخلوة مقداراً ما من الليل والنهار بلا عمل ، فكيف إذا انضاف إليها ركوع أو قراءة قرآن ، أو فكر في علم حق ، أو نظر في كتاب ؟ . ثم إذا وجد العبد بركتها جلبت إليه وهي أول مقامات الإخلاص ، ونهايتها في لسان الحكم مغيب العبد بها وهو مشهود بالأبصار ، وفي لسان الحقيقة مغيب العبد بها عن الأبصار والبصائر جميعاً ، الكشف عن باطن الوجود تدریب ، والكشف عن سر تصريف الوجود تقريب .

وبين من رأى دار الملك ومن دخلها فرقان ، ومن بهت عند الرؤية حجب عن الدخول ، ومن صَمَمَ أو تألم ناداه منادي القرب أن هلم للأوراد لقاء المرتدي من المريدين برداء الأحزان بعقد البكاء والحزن في كثرته وقلته ، بحسب الأيام تفقد المحبة لله عليك . وماذا أعددت لها من تسليم واعتراف وضراعة بلسان المناجاة إذا كثر الكلام ركب بغضه بعضاً ، والحكمة جند منصور تكفي منه الكلمة والكلمتان .

الأصول أربعة : [و27] عيش ، وعقل ، وعلم ، وعبودية . فالعيش لمعاملة النفس ، والعقل لمعاملة الخلق ، والعلم لمرافقة القلب ، والعبودية لمرافقة الرب .

من كتب الأسماء الحسنى من الأخلاق [واليسير؟] ⁽¹⁾ من الأخلاق لا بجملتها ولكن ثلاثة فقط ثم نظر إليها في أوقات القيام إلى الصلاة ، نافلة كانت أو فريضة ، فتح له في طهارة بواطنه من سببها وزكاته لحسنها .

لا يكاد من رفق بأهل داره ومحلته حتى رزقهم الله به ، مراعاة الصلوات في أوقاتها ، وحتى حرص عليها من لم تجب عليه من صغارهم ، إلا كفيهم الرزق هو وأهل بيته ، ولذلك تجد بيته قل عددها ومددها ، وصلح القائم [شرها؟] ⁽²⁾ حتى أصلح الله به ، إلا مفتوحاً عليهم من حيث لا يحتسبون . محبة الأولياء فرض على الكافة ، وفرض فرض على الخاصة .

(1) كلمة غير مقروءة .

(2) كلمة غير مقروءة .

وقال رضي الله عنه :

وجد في نفسه مرة ظلمة ، ثم وجد بعد ذلك تأويلها ، إن رفع الحقائق في الدين من صدره ، ونزول معنى ذلك من غير حقيقة .

(1)

[ط27] الانفتاح الذي أردته وفهمته من الحجة لله عليّ في أثناء هذه المرة ، ما يضيق بأيسره الضرع ، ويهلك بأقله الوادي والزرع . فإن قلبتني قدرة الله سبحانه في جهة الغفلة ، فلا والله ما أظن في المخلوقات أقبح مني جملة ولا أحق بالمقت ، وإذا صرفتني في جهة الذكر لحالي فلا أضيق مني صدرأ . ومقام عبد ضعيف بين هاتين الحالتين مقام صعب ، إن لم يتداركه مولاه فهو العطب لا عطب سواه .

ولما طال أمد أمني في التوبة ، ولم يطمئن قلبي منها إلا إلى ما انشرح به صدري وانفتح لأوله سمعي ، عزمت في الخروج عن أهلي ووطني عزيمة قطعتني عنها من الأمور الظاهرة ثلاثة - والله أعلم بالقواطع الباطنة - أولها ضعف جسدي بالكلية عن السفر ، والثاني أن ورائي من العيال من لا وجه لفراقه لما عندي من الشفقة عليهم ، وعندهم من العجز عن الصبر .

فلما كدت أياس ، فرج الله عني على لسان بعض من ورد علينا ، فأخبرني ووثقته وصدقته أنه قد لقي بالفيافي والقفار قومأ لا يؤبه لهم في البلاد إذا دخلوها ، ولا تعرف لهم أعيان بوجه ، وأنهم موقوفون على الدعاء في صلاح جملة المسلمين . وذكر لي عن بعضهم أنه كان يحفظ [و28] كتاب البزار⁽¹⁾ لا يسقط منه شيئاً ، وآخر ما كان عنده من علم العربية والقراءات الحظ الوافر ، وآخر كان عنده من علم الفتيا بمذهب مالك رحمه

(1) هو الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير توفي 292 هـ .

الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ 2 ، رقم 675 ص 653 .

الله نصيب ظاهر إلى ما ينخرط في هذا السلك من ظاهر العلم . ثم عند الجميع من علم الأحوال والمقامات وأعلام البدايات والنهايات وأصناف الحكم والنفار عن الخلق للشغل بالدعاء لهم ما يرجى بسماعه الرحمة فضلاً عن وجوده .

وذكر لي في جملة حديثه أنه لو وصل خبري إلى رجل منهم ، وحقق الله عنده صدقي في طلب هذا الأمر من صحة التوبة ، وأذنت أحكام الله سبحانه في الإقبال إليك ، لكان شفاؤك على يديه ، فتعلق بآلي من ذلك الوقت إلى اليوم . وكان ذلك في سنة خمس وعشرين [وخمسة مائة] الأدنى إلينا .

وفي جملة ما قال لي : لو صدق لك بعض أصحابك في طلب أحدهم في نواحي المغرب لوجد . فمدار أمري كله على أن حاجتي من الخلق في رجل عالم عامل ، يضبطني ضبطة الوالد الحازم العاقل لولده ، لا يراني على حال من الغفلة إلا أدبني عليها ، بما يحتمله حالي وجسدي من السوط فما دونه ، حتى إذا حصلت في جملة السالكين فعل ما أراد الله عز وجل ، [لأنني خلقت خلقة الصبي والمرأة لا تصلح إلا بقيم ، وحقت من حالي هذه تحقيقاً لم يجد الوهم إلى شيء من القدح فيه طريقاً]⁽¹⁾ .

فإن لم يتفق من هذه [ط28] صفته من الخلق ، ولم يكن إليه سبيل في هذه المدة ، فلا بأس من روح الله ، ولا من رحمة الله . وهذه أمنيته ونيتي حتى ألقى ربي عز وجل . وكان من إرادتي ما دمت هكذا ليس لي مؤدب حازم .

لو فتح الله لمن ورائي في شيء من حطام الدنيا حتى يستغنوا به عني ، فإنهم ذكروا من الدنيا مقداراً ما ، وزعموا أنهم لو وجدوه ، لم يبالوا فقدي مدة تتعدى كالشهرين والثلاثة . فلو اتفق لهم ذلك ، لكنت أهون على نفسي من السفر في أيام الربيع ونحوها في السنة ما أمكنتني ، وكنت أبحث على إخواني إذا كرههم شيئاً من العلم في المواضع التي كنت أتوجه إليها ، ثم أنصرف إلى أهلي ووطني ، فأقضي من حقهم ما يلزمني ، فالحاجة الأولى هي حاجتي ، وهذه الأخرى هي لله تعالى حتى يفتح الله .

(1) هذه زيادة أضيفت من مخطوطة بن سودة التي نشرها بولس نويا .

له من أخرى⁽¹⁾ [إلى أبي الحكم بن برجان]⁽²⁾

(2)

الفقيه الفاضل أبو الحكم كبير، أدام الله توفيقه، معظم حقه البرُّ به أحمد بن محمد، من لو وجد سبيلاً لأتخذ في ذلك الكنف مقيلاً، وإن قرب عملاً لما صنيعه أملاً، ولأمر ما أقام الباري سبحانه صحيح النية في كل الجهات صحيح العمل. ولله الحمد والشكر على كل النعم، باطناً وظاهراً عني وعن كل شيء بالحال وبكل شيء، وأعوذ بالله من نعمة في طيها مكر، ونعم المعاذ من كل مكروه.

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(3)

الله ولي الشيخ الفاضل الإمام أبي الحكم وحافظه من البرية، وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم. سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قد كان من أملي قرب الدار وكر المزار، فمنعت الأقدار، ولا أدري أفي طيها الأعذار أم الأوزار والرب [و29] يعلم ما يفعل ويعفو عن كثير.

(1) هذه الرسالة ناقصة في مخطوطة الخزانة الملكية — موجودة في مخطوطة بن سودة وقد ذكرها بولس نويّا.

(2) هو عبد السلام بن أبي عبد الرحمن بن أبي الرجال من أهل إشبيلية قال عنه ابن الزبير «كان إماماً في علم الكلام ولغات العرب وعارفاً بالتأويل والتفسير نحويّاً بارعاً نقاداً ماهراً، إماماً في كل ما ذكر لا يهائل بقرين مشاركاً في علم الحساب والهندسة، وغير ذلك قد أخذ من كل علم بأوفر حظ مؤثراً بطريقة التصوف وعلم الباطن له عدة مؤلفات منها كتابه في التفسير، وكتاب في تفسير الأسماء الحسنى، وكتاب الإرشاد وغيره.

ابن الزبير الصلة، رقم ٤٥، ص ٣١، ٣٣، الشعراني الطبقات الكبرى، ج 1 ص 15.

شكايتي التي شكوتها إلى الشيخ الإمام قديماً بحالها ، وأعجب شيء فيها أنني عرفت الداء والدواء منذ أربعين سنة أو نحوها ، فما توانيت ولا تداويت فالأحوال في الظواهر مجتمعة والأعذار في الحقيقة منقطعة .

فأرغب أن لا أخلو من بال الشيخ ودعائه في توبة صالحة صادقة ، وفراغ لإقامة فرض شافع نافع . فتح الله لي في مَبَرَّتِكَ ونفعني بمعرفتكَ ومحبتكَ برحمته .

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(4)

الله ولي الفقيه الإمام أبي الحكم شيعي وكيري ، ورحمة الله وبركاته عليه . من المقتبس منه ، المتطلع إلى ما لديه عبد الله الضعيف أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على محمد رسوله ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اللهم ! صل حقيقة وجود الشيخ إمامي وكيري بوجود حقيقة المعرفة بك والتعرف منك ، واجعله لمعالم طهارات النفوس زاماً ، ولأعلام الهدايات إماماً ، وبارك به وعليه بالبركة التي بدايتها من محمد صلوات الله عليه ، ونهايتها إليه .

كان من همي أن يصل كتاب [ط29] الشيخ واحدي نظراً ، ومتقدمي تسليماً ومعتبراً ، بما يتحرك له حامل براهين السمع مني حركة تحول بين النفس وهواها ، وتورثها الحياء من مولاهما - فوصل من ذلك دعاؤه وكتابه وخطه وإعلامه بالمحبة والمودة لي .

وكل ذلك من آثار ما سألته ، جل اسمه فيه ، ولم يكن عينه ، فإني كنت آمل إشارة من إشاراته علمية أو عملية .

ولقد أشكل علي إشكالاً باب من قبول البيان تفصيلاً وإجمالاً: كيف يداوي السكران أو يداوى وسكره غالبه ، وقد غفل صديقه واستيقظ مطالبه ؟ .

اللهم ! إنها الحيرة من ضعيف لا عذر فيه ، وجود لا قدرة عليه بالحكم إلا لضعيف مغرور .

اللهم! سترك لطافح السكر من حب الدنيا، ميت الحقيقة عن رؤية مشاهد الأخرى، ليس له سواك رب يتولاه، ولا يجد من الجوارح إلا ما ملأه وغلبه هواه.

فإذا أزعجه إليك ما عندك من الجود، أزعجه عنك ما عنده من قبيح الوجود، فارحم وتجاوز عما تعلم. وافتح قلوباً قاسية بمفاتيح العناية فتحاً ننظر به إليك ونستحي به منك! .

وأنت يا إمامي! بحرمة الشيب، اذكرني إذا رقدت عند من له رقدت، أحبك الذي أحببني له.

والسلام [و30] معاد مكرر عليك، ورحمة الله وبركاته.

رسائله إلى أبي الحسن بن غالب⁽¹⁾ رضي الله عنهما

(1)

من ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأزواجه الطاهرات ، أمهات المؤمنين ، وعلى السلف الصالح أجمعين ، وعلى المتبعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، سلام على أخي أبي الحسن بن غالب ورحمة الله وبركاته وعلى أهل بيته ، إنه حميد مجيد .

أخوه يشكو عجره وبجره ، وترك من الأمر أنجعه وأكبره . الناس في الدنيا إما محمول على كاهل الغفلة يرجى له التوفيق فيما بقي له من الطريق ، وإما منظور إليه بعين العناية ، مأخوذ بيده إلى محل الحفاية . وأخوك بطال معطال ، لا من أهل الآخرة فيسيح ، ولا من أهل الدنيا فيستريح ، فلا تكن يا أخي كذلك ، واعلم أنه لا مطية إلى درك الحقائق والتقصي عن شرك العلائق كاهلهم الصادق والحزن المتناسق . ولا أعلم أوحش من قلب فارغ من ذكر الله سبحانه ، وأنا ذاك . فادع الله لنفسك ولأخيك ما استطعت ، فإن المظاهر تنسلخ بانسلاخ الظاهر [ط 30] وهي الدنيا ، وتبقى الحقيقة ببقاء الحقيقة وهي الآخرة ، دار ﴿الحيوان لو كانوا يعلمون﴾⁽²⁾ .

(1) وصفه ابن الزبير بـ «شيخ الصوفية في وقته» وقال عنه ابن عبد الملك «إن له في طريقة التصوف مصنفات لا نظير لها» منها كتاب «الاعتبار» وكتاب «الأيام والحجب» وكتاب «اليقين» .

ابن الزبير: الصلة ، رقم 201 ص 99 .

ابن عبد الملك : الذيل والتكملة سفر 5 ، قسم 1 رقم 415 ص 209 .

(2) سورة العنكبوت ، آية 64 ، والآية ﴿وما هذه الحياة إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ .

اللهم! إنا نسألك من محبتنا لأوليائك ما يوصل إليك وينفع لديك .
اللهم! إنا نسألك قلباً نقياً وأعمالاً زكية نقية وأن تجعلنا خلفاً من السلف
الصالح وبقية! يا الله! يا الله! يا الله! يا رحن الدنيا والآخرة ورحيمها! يا كريم .

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(2)

إلى الفقيه أبي الحسن بن غالب السودود المودود، أحسن الله ذكراه، من أخيه
الضعيف أحمد بن محمد عفى الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم صلّ على محمد سيد رسلك وعلى آله وسلم
تسليماً . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أقام الله لسانك بالصدق، وغمس قلبك في نعيم الرفق غمسة تجعلك رحمة لكافة
الخلق، وتوجب لك الزلفى من مراقبة الحق .

لا فرق بين الشكوى إليه والشكوى إلى من أمر به وحض عليه . وإن أخاك لمتلدد
في السفلى، متردد حول السؤال . أجهل الناس بقدره وأمقتهم بطوية صدره، لا مع
الباكين في مواقف الأحران، ولا مع اللاهين في مراتع الأنس .

بعدت أنباؤك عنه، فوحشته بك طويلة! ولم يدرك كيف حالك وحال إخوانك
فمسرته قليلة [و31] قليلة . ما أشبه الليلة عنده بالبارحة، وأقرب اليوم من غد،
فبالذي لك أسأله وله أسألك، لا يمنعك من المخاطبة إلا مانع ضرورة واجعل من
همك معنى كتابي في السالف الذي لم يكن عليه جواب، وكنت في عام تسعة وعشرين
[وخمسائة] لم يصل إلينا في وجهة المشرق محبور بأنس، ولا محبور بطيبة نفس . فترادف
الكرب حتى فتح الله سبحانه بأبي موسى⁽¹⁾ أخينا وابن أبي موسى، فكان بسط، نفعه
الله ونفع به .

(1) لم استدل على شخصيته - لعله موسى بن مسدي جد الحافظ أبو المكارم (أبو بكر) بن أحمد يوسف
بن موسى بن مسدي الأندلسي إذ أن الحافظ الذهبي نقل عنه قوله عن ابن العريف هذه العبارة
«وصحب جدي موسى بن مسدي، ولعله آخر من بقي من أصحابه» .
انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20 رقم 86 ص 133 .

أخوك اليوم تلف ، وتساوى عنده ما جهل وما عرف ، وعقد على لسانه عقدة من ورائها تقف الحكمة ومن دونها تطرد ينابيع غير العصمة . وأعجز الناس من اشتكاه أخوه فرقد ، وأعجز منه من استبكى وقعد . ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا عذر لمن ولئ عن الذكر وجفاه .

وزد في حب إخوانك عني ، وأقرأهم سلامي عمياً على كل باسمه ، والسلام المعاد عليكم ورحمة الله .

وكتب إليه أيضاً

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اللهم ! اغسل جميع جمعنا بماء كرمك من قبيح صنعنا ، وخذ بأيدينا إليك أخذك [ط13] بأيدي الكرام عليك .

اللهم ! اعتق رقابنا من رق الأهواء ، وخلصنا في أدياننا من الأدواء وعرفنا مقاديرنا تعريف عناية وهداية وخلصنا من كل الأسواء ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ * لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴿(1) السورة إلى آخرها . ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾ * ﴿قِيَاماً﴾ (2) ، إلى قوله : ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ (3) .

أبى الملك أن يتحقق له ملكه إلا بكمال قدرته ، وكمال القدرة يظهر في النقائص والنظائر ، وهو كذلك في السر والعلانية والباطن والظاهر . ففي بيان كل شيء لا محالة الفاضل والمفضول ، والصحيح والمعلول . فلا يكن في صدرك حرج من أهل بيتك إذا اختلفوا عليك ورموا بأحداقهم إليك ، فإنه حكم الله الذي لا يناقض ولا يعارض .

(1) سورة الشعراء ، آية 2 - 3 .

(2) سورة الكهف ، آية 1 - 2 .

(3) سورة الكهف ، آية 6 .

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾⁽¹⁾. فلا بد من إقبال وإعراض ومحبة وإبغاض وكشف وإباض، وسكون وإرتماض. فمن ظننت به من أهل بيتك أنه غافل فنصحته فأبى، فلك أجهل أسوة في كتاب الله سبحانه، فقل: ﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ﴾⁽²⁾، وقل: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾⁽³⁾، واتل كثيراً قول الله سبحانه ﴿وَلَا تَحْزَنْ [32] عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾⁽⁴⁾، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ، فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾⁽⁵⁾ ﴿إِنْ تَحْرِضْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾⁽⁶⁾ الآية، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾⁽⁷⁾، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽⁸⁾ ومن لم تكن القيامة شرطاً في صحة موعوده، فالدنيا سلطانه المخل بوجوده. والدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما أوى إليه. وهل تؤتى الدنيا إلا جندها؟ أو تبذل إلا ما عندها؟ فما فات منها فليس بغائت.

وبلغني أنك في هذه المدة كابدت وعكاً في مستدير مجهول وجدته حجراً وكنت ظننته كعكاً. أما عندك اليقين بأن ﴿اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁽⁹⁾ وأنه لو شاء بقدرته أن يطعمك من التراب خير الطعام والشراب لفعل؟.

وربما يا أخي كان لك إخوان في الغيب وأنت لا تدري، إخوان من الناس سكنوا بسكونك ويهتمون بهمك. فاسكن إذا وردت عليك الغموم والهموم تحت واجب العلم والحلم، لا لنفسك ولكن لإخوانك. واتق الله يجعل لك مخرجاً ويغفر لك، فإنه [ط32] ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾⁽¹⁰⁾.

(1) سورة الذاريات، آية 49.

(2) سورة الأعراف، آية 93.

(3) سورة الأنعام، آية 89.

(4) سورة النحل، آية 127، 128.

(5) سورة آل عمران، آية 137.

(6) سورة النحل، آية 37.

(7) سورة النحل، آية 96.

(8) سورة القصص، آية 88.

(9) سورة الذاريات، آية 58.

(10) سورة المدثر، آية 56.

شغلك الله به عمن سواه في عافية، يجمع لك رضاه وإيانا وإخواننا في ذمة الإسلام عامة وخاصة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه أيضاً

(4)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين، وعلى أهله وأزواجه وذريته وسلم تسليماً . سلام عليك يا أخي ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتبته ولا أكن إن كنت أدري كيف كنت

ولا لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن

فإن قلت أني في عافية، فإما كذبت، وإما درت على الكذب . فإنه لا عافية لمن كثرت معاصيه واجتمعت على أدناس المخالف أدانيه وأقاصيه . وإن قلت أني لست في عافية، كفرت نعم الله سبحانه عندي وأنواعها لا تحصى ولا تحد بتواليها ولا تستقصى .

فإن كنت تفهم بلسان الأشكال حقيقة ما عند أخيك المتحير من الأحوال فافهم، وإن كنت مشغولاً بنفسك عن أبناء جنسك فهو لك ولهم أسلم .

سألتني عن وجه حالي في التعليم . وإني فيه لفي العذاب الأليم لكثرة ما يعتريني فيه من الوسواس، إما بيني وبينني، وإما بيني وبين الناس، الأطفال كما علمت [و33] مثلت في نفسي أني وإن كنت آخذ منهم الأجرة، أني لم أجلس لهم من أجلها، وإنما جلست لتعليمهم كتاب الله وقوله عليه السلام: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)⁽¹⁾ .

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ج 9، ص 74 «فضائل القرآن» .

أخرجه أحمد في المسند ج 1، ص 58، 59 .

النسائي في فضائل القرآن رقم 61، 62 .

الترمذي ج 4 ص 53 وقال حسن صحيح وغيرهم .

وإذا الصبيان لا يذلون جهداً ولا يفقهون رشداً، أو ربما كان آباؤهم قريباً منهم : فالأطفال بين داخل وخارج، والآباء بين جاءٍ وخارج . وأشد ما يمر بي سوء الظن بهم، وهم صغار لم تأخذهم الأحكام، ولا تتقفت منهم الأحلام، ولا جرت عليهم الأقلام . وذلك أني أنظر إلى الصبي فأفهم كثيراً من الكبر الباطن فيه بما أرى من ظواهر معانيه وطلبه للرئاسة في أترابه وذويه . وقد كنت قد حاضرت الناس وأنا صغير، فرأيت جماعات من الأطفال كلهم يرجى صغيراً، فما أفسده كبيراً إلا نوع من الرئاسة كان فيه . ومر من ذلك علي أمر كثير، فما رأيت قط من ذلك الصنف أنه ساد في كبره سيادة بينة في الدين، وأكثر من رأيته ساد في كبره، صبي كان كثير الغفلة في صغره، لا يدري لأي شيء يصلح، كل أحد في ظاهره وباطنه عنده خير منه : شديد الحياء، قليل الرياء .

رأيت أقواماً من هذا الصنف رفق الله سبحانه بهم، في الكبر . فمن [ط 33] طول ما جربت في ذلك، وقع في شيء [جسيم؟] ⁽¹⁾ لا يزيله شيء أبداً . إني والله لو رأيت ولياً لله يمشي على الماء أو في الهواء أو يعطى القوة في جميع الأشياء حتى يبلغ ذروة السماء، وفهمت منه أنه يشتغل بذكر خطة من خطط الدنيا أو تتعلق بوجهه أو تتصور في فهمه - ما وثقت بشيء من حاله ولعلمت أن حقه ممزوج بمحاله . وحقق ذلك في نفسي أن الواجد لبركة الخلوة وجوداً يذوق الإخلاص وخاصة الاختصاص، والله لا نظر في وجوه الناس مثابراً عليهم أبداً إلا وهو مخذول أو سكران بشراب ذنب أصابه . فإن أطيح حال السولي عند السولي أن يقبل مع الكلب في أوساط الأسواق وبين الأقدام ويبيت معه كذلك . وإنما بكاءؤه على فوت هذه الدرجة، فإن الله أرحم بالأمة أن يفتقر سلطانها الطاهر إلى شفقة واحد بعينه ورحمته، حتى لا تصلح إلا به .

لا والله بل حق من ادعى أنه زاهد في الدنيا ونصب لذلك نفسه، أن يزهد في ذكرها، وفي ذكر أمورها كلها أعلاه وأدناه، وفي أهلها، وفي ذكرهم بخير أو شر، فيدع الكل لصاحب الكل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُم عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ⁽²⁾، [و 34] ﴿ ذَلِكَمُ

(1) كلمة غير مقروءة .

(2) سورة المائدة، آية 91 .

حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ⁽¹⁾. ثبت إن شاء الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكتاب (لا تصدقوهم ولا تكذبوهم) ولكن ﴿قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾.

إن المشتغل بجزء لا يتجزأ قلة وذلة من كل هو جناح بعوضة لفقير إلى رحمة تعمه وتخصه، ومعنى الحديث عند أهل العلم حق، فلا تتعرضوا لتكذيبه وباطل فلا تتعرضوا لتصديقه. أبى العلم إلا أن يكون أصدق الشهداء أو معرفاً بأصدق الشهداء، لذلك يقول المولى جل وتعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾⁽³⁾.

ونرجع لحالي مع الصبيان، فلما استقر في نفسي أن الصبيان على هذه الصفة وأن بركة القرآن إنما ترجى في عاقل منهم أو متغافل، وليس عندي منهم إلا قليل، ولا أجد منهم باقياً لتعلم القرآن إلا أقل من القليل، كثر همي وترحي، وانسد باب فرحي وفرجي. فإن أجرتهم، وإن كانت لفاقتي مسداً ولحاجتي مرداً، فما من أجلها قعدت، فليس في مجيئها أو فقدها مسرة ولا مبرة، بل هي في بعض النظر حجاب ومضرة. والمرجو منهم [ط34]، الذي قعدت من أجله، وهو التعليم، لم أره، وأغلب ظني أني لو صلحت لمعلم لما كان هذا حظي من كل متعلم - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحده.

وأما ما ذكرته من خبر الرؤيا، ففي كتاب محمد بن سحنون أنه لا ينبغي للمعلم أن يعلم ذلك الصبيان، لما في ذلك، إذا عرفوه، من كثرة الغم والهم نعلي، والمسلم ينبغي أن يوفر عليه عقله وقلبه، ونشاطه وانبساطه، لعله إذا اجتمع وجدت الذكرى إليه سبيلاً انتفع.

وللرؤيا في الظهور شروط، ولا يمتنع أن تكون الرؤيا كاملة، علامة الصدق،

(1) سورة الممتحنة، آية 10.

(2) سورة العنكبوت. آية 46 والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج 8 ص 170 باب «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا» ومواضع أخرى من صحيحه، وأخرجه أبو داود في سننه رقم 3644 العلم باب رواية حديث أهل الكتاب، وأخرجه أحمد في مسنده في مواضع عديدة ج 4 ص 136.

(3) سورة آل عمران، آية 18.

ولكن ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾⁽¹⁾ ويختار ما يشاء. فرب مفتون برؤياه لو ظهرت، لكان فيها عطبه، فخار الله أن لا تكون. وقد يدعي الإنسان غاية الصدق في الزهد في الدنيا، فيمتحن بالرؤيا التي تدل على الدنيا بوجه يبيحه العلم ويعد من المحمود من الدنيا في العقبي غير المذموم، فإذا هو قد ظهر كذبه في دعواه، أو ظهر من ضعف عقله وتميزه ما لا يفرق به بين بهرج ما هو فيه وإبريزه، ويعد هذا خيراً من قربته إن لم يرجع من قرب إلى ربه، ويبحث عن أدواء قلبه. فلا ينبغي أن يعول من الأمور كلها إلا على ما نطق به الكتاب المحكم والسنة الماضية [و35] والإجماع المعصوم، وسلمه العلم الواضح والعلماء المقبولون.

وقد وقفت بالتجربة على رجل كان مجاب الدعوة، شاهدت ذلك منه مراراً، وكان صادق الرؤيا، لا يكاد يكذب ولا يخلف، فما هو إلا أن خالطه الناس وجالسهم وقبل مدحهم، وشق عليه ذمهم، فإذا هو قد فسد لسانه في الصدق، وفسدت مرأته، ومات ولم يظهر أكثرها، وما أظنه قطع الله له عادة إجابة الدعاء.

وتحققت من رجل آخر خلوة مستمرة وصدقاً، فتكررت عليه رؤيا في وجهه من وجوه البر، بزعمه، في لقاء السلطان لا أشك في صدقه وتكررها عليه، ففعل، فكان فيها تلف ماله وعقله ودينه.

والآفة التي دخلت على هؤلاء فيما علمت مخالفتهم للنصيح، واستغناؤهم عن العلماء، وتفريقهم بين أجزاء الصواب، وهذا أمر لا يحتمل التفريق ولا يباشر صاحبه التوفيق، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾⁽²⁾.

وقلت لرجل وصف لي بعمل وإنابة وحال نبيل وإجابة: أوصني. فقال: إياك ومخالفة الكتب في الظاهر، ولا تخالف الورع في الباطن، فإذا اختلفا عليك [ط35] وأنت في حيرة، فاطلب عالماً، وإذا اجتمع لك، فأنت أنت! واصبر على هذا إلى الموت.

وقال لي آخر: الليل بيت العجائب، ولا تصح الخلوة إلا لأهل الرغائب، والقوي

(1) سورة الرعد، آية 39.

(2) سورة البقرة، آية 27.

إذا خالط الناس ضعيف . لا صدق إلا باجتماع قلب وجارحة ، ولا يجتمعان إلا بخلوة نورتهما المجاهدة ونورها العلم ، وزينها الأنس بمن في كنفه عاشت النفس . جوح القلم أخرج من ذكر الرؤيا إلى ذكر هذا المعنى . فكن في الرؤيا كما تقدم : لا تُكذِّب بها ، ولا تعمل عليها ، فإن العمل على الكتاب والسنة هي الهداية . وليس المكذب بالرؤيا من قال : ﴿يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾⁽¹⁾ ، بل المكذب بها من قال : لا بد منها ، فإن الله يقضي ولا يقضى عليه ، ويجبر ولا يجار عليه . فمن رد الأمر إلى من له الأمر أصاب ، ومن قطع فبنفسه قطع ، وقد خاب . وقد قال الله للمصطفى صلوات الله عليه وسلامه : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾⁽²⁾ أي إلا مقروناً بالمشيئة .

إذا غبت فلا تجالس نفسك ، وإذا حضرت فلا تجالس أنسك ، ولا تلق إلا من [36] هذه صفته ، ولا تياس من أن الله بمن هذه صفته ، فمثله هو الذي نفع الله به . فإذا شرعت في تعليم الأطفال في يوم خميس أو غيره بنفسك ففارقها ، وإذا جاءتك الخلوة فعانقها ، واتل قول الله تعالى : ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا ، نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾ .

أُخْوَكِ الَّذِي سَرَّكَ الْأَمْرُ سَرَّهُ وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ ضَلَّ وَهُوَ حَزِينٌ
يُقَرِّبُ مَنْ قَرَّبْتَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَيُبْقِي الَّذِي أَقْصَيْتَهُ وَيَبِينُ

وكتب إليه رحمه الله

(5)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد في الأولين والآخرين ، وعلى آله وأزواجه وذريته ، وسلم تسليماً . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . سمعت القاضي أبا علي الحسين بن محمد الصدفي⁽⁴⁾ رحمه الله يقول : قال بعض

(1) سورة إبراهيم ، آية 27 .

(2) سورة الكهف ، آية 23 - 24 .

(3) سورة الصف ، آية 13 .

(4) هو حسين بن محمد بن فيثرة بن حيون بن سكرة الصدفي من أهل سرقسطة سكن مرسية كان عالماً بالحديث وطرقه ، عارفاً بعلمه واسماء الرجال . استشهد في وقعة قتندة 514 .

ابن الزبير : م . س . رقم 330 ، ص 143 ، ابن بشكوال ، الصلة رقم 330 ص 143 .

العارفين : الحكايات جند من جند الله ، يثبت بها قلوب العارفين . قيل له فهل لذلك شاهد من كتاب الله ؟ قال : نعم ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾⁽¹⁾.

حكاية :

كان لي صاحب [ط36] جربت منه إجابة الدعاء غير ما مرة ، وجربت من صدق خواطره وصفاء قلبه عند الموعود ما هو من أعجب الوجود ، ثم خالفني في شيء من علم الرواية وعول على أمر القلوب والغماية ، وذكر من المراثيات والمكاشفات كثيراً ، أهمها طول الأمل والعمل على خط النفس في الجاه والمال للاستطاعة على الطاعة ، فعرفته بما في ذلك من المكيدة للعدو ، فمات وحاجته مطوية ودينه ظاهرة ، والله يغفر لنا وله .

حكاية :

في اليوم الذي مات فيه ابن الزبير⁽²⁾ سمع أتباعه يقولون : أين ما كان من اتساع أمره وانفراده بالخلافة ؟ فقال : كل شيء وجدنا أكثره باطلاً إلا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حكاية :

كان بعض الفقهاء ممن جالسته كثيراً ما يرى مرائي تدل على ولايته أحكام القضاء ، وكانت حالته لا تفي بذلك ، لضيق صدره ، وقلة سياسته ، وعجزه عن الأسباب التي تكون بها الولاية . فكنت أعجب من تناقض الأمرين ، فإذا هو قد كُتب له كتاب القضاء . فخرج به من دار الذي ولاه فأ [و37] ظهر من قلة السياسة مع الذي جرت ولايته على يديه بما أوجب عزله في تلك الساعة ، فصدقت مرائي في ولايته ، ولكن حالة

(1) سورة هود ، آية 120 .

(2) أبو عبد الله بن الزبير بن العوام الصحابي الجليل وابن أساء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، استشهد عندما حاصر الحجاج بن يوسف الثقفي مكة في عهد الخليفة يزيد بن معاوية .

الظاهر كانت أصدق وربما نزلت المرائي من السماء لا يشك في أنها من الحكمة ثم لا يكون لها ظهور البتة فإن ﴿اللَّهُ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾⁽¹⁾.

لا حقيقة للعبد إلا عبودية وإنفاقها في خدمة مولاه على إذن الكتاب المحكم والسنة الماضية محكوماً لا حاكماً، فإن شغلته الحكومة عن الحكمة فتعلق بها مناه، فقد باع آخرته بدنياء، وغره ما غره من أمر مولاه، فإن لم يتب سريعاً فهو أسير هواه.

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك عند الغضب)⁽²⁾ وفيه من الفقه أن القوة للأحلام لا للأجسام، وفي الأرواح لا للأشباح.

حكاية:

قال: قال لي بعض أصحابي: وُلِّيت الحسبة لأربعة أوجه:
فأحد الوجوه لأحط من نفسي، فإني كنت عند الناس فوقها.
والثاني لأجرب نفسي عند الأمر والنهي، والجاه والمال.
والثالث [ط 37] لينكشف لي ما عليه الحكام من إظهار الحق وإبطاله.
والرابع لأقدم ذلك فيما عسى أن أمتحن به من أمر ولاية فأكون على بصيرة من الإقدام والإحجام.
قال: فامتحن بأربعة.

الواحدة: لم يصح لي بعد ذلك تواضع البتة ولا وجدت له لذة.
الثانية: أني لم أرزق بعدها خلوة صادقة.
الثالثة: أني فتحت على أقوام أبواباً من الطعن في أهل الانقباض لم يصح لي توبة بعدها.

(1) الآية: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ سورة الرعد، آية 39.
(2) أخرجه البخاري ج 10، ص 518، الأدب باب الحذر من الغضب، ومسلم ج 4 ص 2014. البر والصلة باب فضل من يملك نفسه، أخرجه مالك في الموطأ ج 2 ص 906. حسن الخلق باب ما جاء في الغضب وغيرهم.

الرابعة : أني شعرت لمقدار من عقلي فاتني في مخالطة الناس لم ينجر علي بعدها .
ذو النون : الخلوة عمود الإخلاص لأنه إذا تخلى لم ير إلا الله وحده ، وإذا لم ير الله وحده ، لم يرج إلا الله ، ولم يخش إلا الله ، وإذا كان كذلك فهو من صفوة الله ، لا يطمع أن يكون والياً في الحكم ، ولياً في الحكمة إلا مخبول وفتان هو على العدوان مجبول ، فأما المكره المضطر فمحمول .

باب منه آخر :

إذا بطنت الحكمة خست أهلها فدامت ونفعت ، وإذا فشت وظهرت عموماً أنكرها من ليس من أهلها فانقطعت وارتفعت وفيما ظهر من الحجة كفاية لتعرف المحجة وما بطن من الذكر موقوف [و38] على خصوص أهل البر . عمل الخواص⁽¹⁾ ثلاثين سنة في تطيب قلوب الخلق للفقراء ، يريد أنه أدى إلي كل ذي حق حقه ، وترك لكل أحد ما كان له قبله من حق ، ووافق الحق لكل شيء من ظاهره وباطنه ، ولم يخالف مخلوقاً في ظاهر سلمه العلم وسامحته السنة .

السفر والظفر قريبان ، والراحة والإرادة منهما قريبان من الشر ألا تترك الشر جانباً ، ومن حمد الدنيا فليس بحامد ، وأسوأ حال أن يرى المرء جابر إصلاح جماعات بإفساد واحد .

السياحات ثلاثة :

سياحة بالقلوب في محل الغيوب لكمال العقول الباطنة وهؤلاء مرادون بالعلم ، وهم محل المحن والفتن جميعاً إلا من عصم الله .

(1) الخواص : هو إبراهيم بن أحمد بن اسماعيل كنيته أبو إسحق ، وهو أحد من سلك طريق التوكل وكان أواحد المشايخ في وقته ومن أقران الجنيد والنوري . له في السياحات والرياضيات مقامات . مات في جامع الري 291 هـ .

السلمي : طبقات الصوفية ص 284 ، القشيري ، الرسالة القشيرية ص 31 .
الشعراني : لوائح الأنوار (طبقات الشعراني) ج 1 ص 113 ، ابن إسحق : حلية الأولياء ج 10 ص 325 .

الثانية . سياحة بالأجسام في محل الإقدام ، وأكثرها بطالة إلا لعالم متحقق .
 الثالثة : سياحة بالقلوب في حقائق الغيوب مضمومة إلى سياحة بالأجسام في محل
 القدرة فراراً من موضوع العزة .
 هؤلاء هم الخصوص بحقيقة السياحة ، وهم المؤمنون الفارون بأديانهم من الفتن إن
 شاء الله .

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(6)

[ط38] بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله أجمعين بقية الله
 خير لكم إن كنتم مؤمنين .

أغفى بعضهم إغفاءة فإذا هو بحائط مكتوب الملك لله الواحد القهار، وتحت
 ذلك يا ناظر أتعبتك المناظر إن تحت قدميك لكتر لا يصلح إلا الملك . فجعل يظهر من
 الفرح ويحفر ليكون ملكاً، وفي لذاته منهما لا منهما، فمن قرب ظهرت له النجوم،
 وبطل ما كان عليه يحوم، ونفذ الحكم عليه، فنسى عقله الحائط، وطفق يذم الحائط،
 فناداه مناد هو لمن عقله هاد يا عبد هواه، ومتحكماً برأيه في ملكوت مولاه، أي ذنب
 للحيطان في تيهك وحفرك للغيطان، ألم يشهد عندك الحجر والمدر، والحيوان والشجر،
 والأبيض والأحمر، أن الملك لله الواحد القهار؟ . فأدر كته في إغفاءته رحمة الله له وبركة
 إخوان كانوا له فقال : نعم قد كان ذلك فليل له إذا علمت أن الملك لله وأنه واحد،
 وصدقت أن الكنز لا يصلح إلا الملك فالكنز لا يصلح إلا لله فمن أين جاءك الشرك
 ومن لك أن ينعتك الملك وأنت بالحقيقة عبد . [و39] وتلك إن نوقشت الحساب
 عليك رد، فلو حملك أو حملت أياماً ظننت إنك تتحول رباً . فصاح يا حسرة الجهال !
 ويا وحشة المقام في محل الإغفال ! . فليل له رفقاً بنفسك لعلها تقوى بالتقوى فتتال فإنه
 ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (1) .

يا عبد الله ، أغفل ما يرباد بك ، أين أنت من الوجود؟ فقال في حالة الهجود ، ولولا
 الله سبحانه ما قالها ولا نالها ، فليل له والحق النائم ، أين يكون بها له من الحركة

(1) سورة الحج ، آية 37 .

والسكون؟ فقال عند الله عز وجل بلا ريب، فإن المنام منزل من منازل الغيب. فقليل له ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾⁽¹⁾ وإنما ساعة هذا اليوم لمن فهم عن الله عز وجل وكأنه عنده به بضع وثمانون سنة وهذه ليلة القدر التي لم يطلع عليها إلا الله عز وجل ومن شاء بما شاء من اللطف، لا بما شاء المتكلفون من الكلف، فما لك تنظر في المواعيد الصادرة عن السنة أرباب المواجيد نر الملك القاهر، ولست به لا نظر العبيد.

أما علمت أن متى من علامات من عتي؟ وهل [ط39] سأل ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾⁽²⁾ إلا من جهل نفسه ودساها. ألم يكن سؤال الآيات منذ نشأ الضلال برهان الضلالات ولسان الظاهرية شاهد لا يمكن أن يجحده جاحد. ولقد أئذّر نوح عليه السلام قومه الأعور الدجال. ولولا ما قرب له شأنه وأدنى من وقته الحاضر زمانه ما كان ذلك، فانتظر وانتظروا. ثم ما كذبوا ولا أدبروا، وقد مضوا صادقين ومصديقين وبقي الملك لله في تصريف الأكوان، وإخراج أمر الدجال من حال الغيب إلى حال العيان.

يا عبد الله! أما تدري أن الناظر إنما يتبع المناظر إذا وقف عند الحسن وقام بحقيقته تحت النفس ومظنون حاله أن يعاند عقله فلا يفقه دليلاً ويكون كالأنعام بل هم أضل سبيلاً وبذلك شهد عليهم القرآن حيث ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾⁽³⁾. كما جاءك في الحائط أن الملك لله الواحد القهار. وقالوا ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾⁽⁴⁾. ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ [و40] لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾⁽⁵⁾ الآيات. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾⁽⁶⁾ واستمع بقلبك قوله ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا

(1) سورة الحج، آية 47.

(2) سورة الأعراف، آية 187 والآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾. سورة النازعات، آية 42، 43 والآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾.

(3) سورة طه، آية 133.

(4) سورة الفرقان، آية 7، 8.

(5) سورة الاسراء، آية 90.

(6) سورة الاسراء، آية 93.

إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ﴿١﴾ (الآيات .

فقد كانت آيات الإيمان جاءتهم فتركوها ظهرياً واعتقدوها قولاً فرياً، وطلبوا ما لا يكون وهونوا من تحويل الملكوت وتبديل أحكام ﴿الحي الذي لا يموت﴾ (2)، ما لا يهون . فهذه أحوالهم في المحسوسات يعاندون عقولهم فإذا صاروا إلى المعقولات عاندوا الرسول في نفس تعريفهم العقول وذلك من المحال المقبول، وإنما هي أوهام . ولا عقل إلا عقل لم يحمل إلا حجة الله وحده في كل شيء وبكل شيء، على كل شيء . فأما حامل حجة نفسه فهو الهوى وهذا الضرب من العقول غائب المعنى والذات عن أصحاب العقل المدسوس في صور المحسوس، وهم العقلاء عند الكافة دون الخاصة وهم فلاسفة الفتوى عند أهل العلم بالله وبأمن الله فاعتصم من بلاء الحس والعقل بعصام العلم، وما طوي فيه من الرحمة والفضل .

وإذا رأيت من يحاول [ط40] ملكاً ليموت فيغدو، فإنما يحاول ملكاً ليفوت ويتأخر، وقد قال الله عز وجل: ﴿آلَمْ غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (3) فآخبر عما فيه يتغلبون وأنهم في القبل يغلبون ويتغلبون، فإذا جاء البعد وهو الدار الآخرة، فرح المؤمن بنصر الله فعرف النائم أن الحائط لا ذنب له وعرف أن كل ما فيه حق وأن السابق من ذلك كله مزيد علم، والمتنظر مزيد إيمان، وأن حقيقة الإبعاد والإثبات وتقرير الأحوال والأوقات ليس إلا لحاكم البريات، فراجع وأتاب، واستيقظ وقد تاب الله عليه فتاب .

والسعيد من اتصلت في حقيقة الإيمان بالله ورسوله يقظته بمنامه، وسرى صدق رؤياه إلى أحلامه، فإن من فضحته اليقظة هو الذي يفضحه المنام . ومن كذبت رؤياه هو الذي تكذب منه الأحلام، فأما المستثنى فمحفوظ من هذا المعنى والله سبحانه إنما يتولى الصالحين، ولا يصلح عمل المفسدين . وبانقطاع مادة الظلم تقوم الساعة، وإنما يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والحمد لله [و41] رب العالمين .

والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته .

(1) سورة الاسراء، آية 94 .

(2) سورة الفرقان، آية 58 .

(3) سورة الروم، آية 1، 2، 3 .

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(7)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مرحباً أيها الصادق النظر، الرائق العين والأثر بكتابك . فلقد كشف الله به غمّاً، ورفع به نايبة وهمّاً، فإن النفوس سجاياها عند ورود الإيمان مجبولة، وعلى غير ثبوت العلم والتعليم محمولة، والنفوس أماراة بالسوء، إلا ما سبق في الأزل من صلاح المضنون . أفهمنا الله به عنه، وأوصلنا به إليه، وثبتنا بعد الوصول، فإنه غاية الخصوص والمأمول .

وأما مرور الخواطر في تلك الآيات البينات على نظام واحد، وأمر قاصد ببرهان الإقبال على مواضع الآمال - هناك الله وزادك وجعل اليقين إلى مقعد الصدق عنده زادك بقدرته .

وأما أخوك وما يتشوف إليه من معرفة ما لديه فما ازدحمت عليه الفتن قط أكثر من ازدحامها عليه في وقته هذا من ذكر مشهور وسر بخلاف المشهود معمور وقد [ط 41] وجب واجب السكوت ولزم لزوم البيوت ولا مفر إلا إلى الإنكار لو كان المحل صالحاً لأعمال الأبرار .

اللهم ! إنما الحيرة العظمى إدباراً عن الحق في غراره، وإقبالاً في بحاره وكلاهما ذنب لا يغفر، وإن كان يغفر وعمل في إسقاط الحياء وهو أدهى وأكبر . ولئن كان المنتسبون إلى الخير والصلاح قبلنا مثلنا - ومعاذ الله وحاشى الله - لقد ماتت الطريقة موتاً وفات التوفيق فوتاً وعند الله تعالى نحسب هذا المصاب وإلى الله سبحانه نشكو هذه الأوصاب .

اللهم ! إنا نسألك رفيقاً وتوفيقاً فاجعل الطريق الحق لنا قبل العطب طريقاً بلطفك وهي إلى التطلع إلى من ذكرته جمة محرقة، فما أمكنك الإعلام بما تجود فافعل مأجوراً .

والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يا حسن الصنيع رفقا بالجميع ، شرح من صدري وصدوركم ما عسى ، وألان بذكره من قلوبنا ما قسى ، وفتح لنا بالتوبة وفيها لنا فتحاً نشاهد عليه نفوسنا وعيوبنا فتتأفها ولا نصافها ، وجعل التوفيق جادة علومنا وحلومنا [و42] وصير الحقيقة والتحقيق جادة همومنا وفهومنا ، ولا تكلنا إلينا ولا إلى شيء من خلقه المتوجه علينا .

من حق الأشياء به وحقه أنه ولي من لا ولي له ، عز وجهه ، ثبوت التحكم يمنع من ورود الحكمة وعلامة الفرق بينهما أن الحكمة طريقها الإيثار ومكانها الفهم ، وقرارها اليقين وتسوقها السعادة ، وتحدوها الإرادة التي لا تعارضها إرادة .

وأما التحكم فطريقه العقل ، ومكانه الوهم ، وقراره الشك ، وتسوقه بين يديه التكلف ، ويجدوه من ورائه الهوى المزخرف ، فمن لم ترسخ حقائق إيمانه برزانة صدق الفهم ولم تشرق أقطار فهمه بضياء شمس اليقين فإنه متحكم لا حكيم ، والمتحكم هو الذي يغدّه نعيم ، وقزبه عذاب أليم - عصمنا الله من سقوط الهمم ، ومناقضة أرباب الحكم ، وجعلنا درأً ثابتاً في أكناف العصم بكرمه وما له من دوام إدرار النعم .

ولأخيك في هذا الوقت من وحشة وحيرة الفقر ما لا يزيد عليه في الحد ، فإنه مسحور الصمت والكلام ، مفتون اليقظة والمنام ، يكره الموت لسوء ما قدم ، والحياة لأنه مزيد ندم . ومن الفتن ما يدع الحليم حيراناً . فخاطبه إن أمكنك والسلام [ط42] على الجملة .

علامة صدق العبد أن يفتقر بإيمانه إلى كل إيمان ويعلمه إلى كل علم ، ويعقله إلى كل عقل . وعلامة فراقه للصدق أن يستغني بنفسه أو بشيء من الخلق عن شيء من الحق . ونعم الحارس من الآفات إظهار الفقر إلى المخلوقات ، وعن كمال الغنى علماً أو حقيقة لخالفها .

وبلغنا أن أخانا محمد بن يوسف⁽¹⁾ زاد الله به قرة العين به نشط وبسط فليقيد العلم بالكتاب إذا نشط . اللهم ! تماماً بإحسان وعافية في عمران الحياة بأكمل غفران وأتم أمن وإيمان ، يا من لا يقدر على المسألة أحد سواه ولا يتفضل بالمواهب موجود غيره .

اللهم ! صلِّ وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم .

وكتب إليه رحمه الله

(9)

الله ولي أبي الحسن بن غالب وحافظه .

من أخيه ومحبه في الله أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . الحمد لله الذي هو أهل الحمد ، ومستوحيه وملبسه من خلقه أهل المراجعة لحقائق حقه .

والصديقون هم الصادقون عن ذواتهم في حكمته وصدقه . والحكماء هم الواقفون بالهمم والهموم عند لطفه [و43] ورقفه المنسلخ أحدهم بشفرات جده في طاعة مولاه من جهله ، وحرقة ما ترك الحق لهم نفساً إلا ملكه ، وهم عند أنفسهم مع الباطل وهي مشقة .

فالحمد لله على ما ظهر من نعمه وما بطن فيما شرد من المطالب أو سكن . ثم الحمد لله تشفيعاً لكل حامد وبيانه عن كل غافل أو جاحد كما ينبغي لربنا في شريف ما له من الكرم والمجد ولعزة وجهه من الثناء والجد والصلوات التي لا ينتهي إلى الإحاطة بفضلها وسموها غير ربنا من ربنا على محمد نبينا وسيدنا ، وآله وأزواجه وذريته والسلام الموصول بكل لطف وقبول في الأولين والآخرين وأبد الأبدین .

(1) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السبتي بن الأبار كان من كبار المتصوفة بقرطبة . ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ، سفر 5 ، قسم 1 رقم 242 ص 126 .

كتبته على حال لا تخفى إلا عمن يقضي ويجفى . فأما المنور باطنه بأنوار فراسة
الإيمان فإنه عنده في غاية الإعلان ، وهي حال لا يرضاها للموت من هي له ، ولا يأمن
من معطيات القوت من هَوِّهَا ، فلا يبعد عليك من الدعاء لأخيك ما يرجى بركته إن
شاء الله .

ويا أخي يا أبا الحسن : لا تشغل بالك بشيء مما طرأ عليك فما رأي هؤلاء إلا في
جحور هؤلاء – والمسلم عليك مني ومن أبي الحكم⁽¹⁾ وأبي محمد عبد الرحيم⁽²⁾
وجما [ط 43] عتنا ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه رحمه الله

(10)

الله ولي أبي الحسن بن غالب وحافظه ، من وليه وأخيه في الله أحمد بن محمد .
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم ، وعلى آله وسلم تسليماً .
سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتبته – كتب الله لك أتم رضاه ، واستعملك بذات الصدق ومقتضاه ، وجعلك
ممن عزم على إخلاصه فأَمْضاه ، إنه ولي من أطاع البيان واتقاه .

وقفت على ما ضمنته كتابك – أكرم به وارد ، وعلى شوقي إليه وافد – وعرفت
مضمونه من غضب أقوام ، ونطقهم بالسنة نوام ، وقد هممت في تلك المدة أن أخاطبهما
في التحفظ من هجمات النفوس برياستها الراسخة منها في السوس . فلا أدري في وقتي
هذا ما منعني حينئذ إلا أنه قدر نفذ . ومن شأن الكبر أن يطغى بيسير التخمين فيما
ييال به بكثير اليقين ، وفراغ الصدر مفتاح الظنون ، والعجلة ركاب العقل المقبور .

ويسرني من اعتذارك لإخوانك أن يتفق فيه شمل شرك وإعلانك – بارك الله عليك
وعليهم – وقرر بالعصمة ما ساق من الخيرات إليك وإليهم ولو عرفوا معرفة الخصوص

(1) هو أبو الحكم بن بركان .

(2) ابن أخت أبي العباس بن العريف . [و 52] .

[و44] كم انفك في قبولك ذلك الأمر من مأسور، وانبسط من محصور ومحصور؛ لما وقعوا في ظلم الأحوال ولا عارضوا - فتح الله بك على كافتهم بمثل تلك الأحوال - وليس بمستنكر نفار الخلق عن مواضع رحمة الله، والمولى يقول ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ (1) الآية .

نفعك الله ونفع بك في عامتي رأيك ومذهبك برحمته .

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه رحمه الله ورضي عنها وعنا وعن كافة المسلمين

(11)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيد خلقه والمزكى به من أخذ بأدنى سبب من ذاته وحقيقته محمد نبيه ورسوله، المنسوخ كل شيء من السلوك والطرق بسلوكه وطريقه، صلوات الله عليه وسلامه وعلى من كان بالتوحيد الفرض أو التجريد المحض منه وإليه . كتبك الله فيمن انتجبه وانتخبه، ورزقك من خالص الإيمان والعلم أعذبه وأطيبه، وأوجب لك حظاً وافياً من كل خير ندب إليه وأوجبه . وإذا أرادك بحسنة فيقر لك وبك منارها وهديه، حتى لا يسمع بها عنك واف أو (. . .) (2) [ط44] إلا حن إليها عن شرف القرب السعيد العاقبة وتمناها، ولا جاف إلا بهرت جفاه فاشتهاها فيكون لك أجراها عاجلاً وإماماً، وشرفها بداية وتماماً، وما ذلك بعزيز عليه، فإنه بدأنا بالإسلام قبل وجوب المطالب وتوجيه الرغائب، وهو أعز المواهب، وأكرم المذاهب، فلا إله إلا هو جلت قدرته .

أخوك نفعه الله بمحبتك طالت فترته، وخمدت بشرته، وبعدت عن جميل العز عزته، وأظلمت بقبیح العذر أسرته، وقام رسوخ الجهل في صدره من أسباب نجاته، وأدوية حياته عند مقام اليأس من الحرام، وحمل بينه وبين صادق الحياء، وصافي الرجاء في محل إهمال الاعتصام، فإن سكت سكت عاصياً، وإن شكاً شكاً قاسياً، وإن

(1) سورة غافر، آية 5 .

(2) كلمة مطموسة .

عرضت له الأخرى عرفها وعجز عنها لما يستوجبه من عقوبة التسويف ، وبعد العهد بالإقبال على تدبر التخويف وإن تعرضت له الدنيا أنكرها وأطاعها ، وأعلن عن بيعها بما يتحقق عليه ابتياعها .

فليت شعري ! إذا ملك أخاك هذا المذهب إلى أين يذهب ؟ وكيف وبمن يستمسك ؟ وهو بين الأعداء والأهواء نُهيبة ينتهب وبأي لسان يشكو داءه وهو يشتهي ، والحال بنداء صدقها تناديه ، يا من لا آخر له [و45] خذ بي غير ما أنت به ، فإن العطب كله فيه ، أوليس من عمه أخا الصدق وسفول القدر عند منزل الفراق في ليلة القدر .

إن أخاك محترق ما من ذات نفسه ينادي حيرة ليست بحيرة المعرفة التي هي سجن من سجون الحق لاختيارات أهل الوفاء والصدق وهي ضرورة مرجومة حجب الحق فيها عن أوليائه حظهم منه ، حتى يكون القائم على كل نفس بما كسبت هو القائم بهم عنهم في ورودهم على القرب السني في الملك الهني من حيث كان ذلك في عطاياه أعلى ، فكانوا عنده بما فوق علومهم وظنونهم أولى . فليست حيرتي من هذه الحيرة في شيء ، ولكنها حيرة عاق شاق نسي نفسه بنسيانه مولاه ، فكانت الحيرة عقوبته ومشواه ، فلا صوته معمور ، ولا صمته مشكور ولا هو بشيء من معانيه مأجور ولا معذور - نفعلك الله بك ونفعلك في كافة ذهابك ومذهبك - برحمته لك بداية ، والله لك نهاية .

ومما يتأكد له غمي وهمي ويتمرد عند ، جزعي وظني ، خوفي أن يكون الخصوص من إخواني [ط45] وأحبتني أصابتهم الأقدار بمثل مصيبتني ، وأفلت عندهم الأنوار عن فصل جريري . فيا جزعي لهم من الهدى بلا دليل ، والسعي في غير سبيل . فيا أخي : أصابتك الأقدار بشيء من نقض العهد الواجب للتأكيد والعقد فإن ذاك من هناك ، أغلق بابَه وصرمت أسبابه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ومن الله ولله ولا رب سواه المذموم عصيه ، وما دون المفروض رخصه ، فإذا تخطاهما سر العبد رزق العلم والخشية ، وإذا تخطاهما قلبه أعطي الحياء والهبة ، وإذا تخطاهما العبد بحقيقة فملؤه خلوة ورأيه المتفرد قدوة ، وقل ما اندرجت حقيقة صفاء السر بخالص الضرورة في مباح مهجور ، إلا هاجت المحنة الضعيفة التفتين ، مصدرها الضعفاء من أهل الدنيا والدين ، وتعارضها الرحمة قوية التلوين تحت لوائها الأقرباء من حملة الضواهر وأرباب اليقين . ومن لم يقدم

إلا عن تمام رؤية في استخارة ديانة واستشارة معالم إيمانه وإحسانه بلغ الإصابة وإن أخطأها، وفارق الغفلة وإن توطأها، ورفق الله مع المذنبين فإلى أين يزول عن المطيعين المنيين؟ [و46].

تداركنا الله من دعواتهم بما يلحقنا بها من درجاتهم بكرمه . والمسلم المعاد عليك وعلى أبي عبد الله وعلى كافة الإخوان ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه رحمه الله

(12)

الله ولي الصديق الوفي، والأخ الصفي أبي الحسن بن غالب، وحافظه من المكروهات والمكروهات علانية وسراً، حفظاً لا يدع له حالة إلا ملأها كرامة وبراً.

من وليه المشوق إليه - لا فرق بينه وبينه - ما لزم المراد قلب آدمي وعينه .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم وعلى آله وسلم تسليماً -
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يروى عن بعض السلف أنه قال كنت أحب فلاناً، وكان يبدو عليّ من الشوق إليه، ومن الحرص على رؤيته ما لا يظهر مثله عنده . فكنت أقول في نفسي قد ورد في الأثر ما تحاب رجلان في الله إلا كان أشدهما حباً لصاحبه أفضلهما، فأين ما نحن فيه من ذلك؟ - قال : وجاز خروجه في بعث فأرسل إلي فأتيته ليلاً، فكلما أردت توديعه أمسك بثوبي . وكره مفارقتي، فعَلَّه مراراً . ثم سمعته يقول اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني [ط 46] لك فافعل به وافعل . فعرفت أن الحديث كما ورد يريد أن صدق المودة وصحة الاشتياق علامتهما قوة الأسف ساعة الفراق، وأن الحركة إذا أسرع فسلطانها النفس، وإذا ابطأت في مسألة فصاحبها السكينة والأنس وعندني في وقتي هذا من الرقة لذكرك ما لا أدري له سبباً خصوصاً، ولا أعرف من الإشارات فيه أمراً منصوصاً، فإن كان عن شغل بال، فعزاك عما تضمن الحق سبحانه به جزاك، وإن كان عن أنس بمولائك، فَهَنَّاكَ الله فإنه تولاك وقد انهدم أخوك انهداماً، فكله يبكي ولا يغدو حسرة وانتداماً . فاجعله من همك دعاء واهتماماً بيمين الله تعالى، وأجب رؤية الإخوان على كل حال إن

كانوا بقوا وإن كانوا انصرفوا، فاكتب إليهم بدوام أسفي ما عشت عليهم وحسبي الله وحسبك.

والسلام عليك وعلى الكافة من إخواننا ورحمة الله تعالى وبركاته.

وهذه الأبيات وما بعدها كانت في مدرجة في هذه الرسالة.

بَرَحَ بي سَيِّدِي هَوَاكَ فَلَمْ أُعْطِ
مَاتَ مِنَ الْيَأْسِ عَاذِلِي وَأَبَا
[و 47] قَالُوا فَمَا تَشْتَهِي فَقُلْتُ لَهُمْ
إِنْ تَلَفْتُ مُهْجَتِي فَسَأَنْتَ بِهَا
الهوى سر لــــه من الجزع
قلبي إلا الحياة بالطمع
ليس لضرب الحبيب من وجع
وإن تراخي المدى فأنت معي

ومما كان فيها أيضاً

يَا عَاذِلِي عَلَى الْبَطَالَةِ زَيْدَا
وَإِذَا سُقِيتِ وَأَنْتِ فِي سُكْرِ الْهَوَى
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَنْصَحُ خَلُّهُ
مَنْ لِي بِيَوْمٍ سَالِمٍ أَوْ لَيْلَةٍ
وَمِنَ الذُّنُوبِ عَيْتٌ لَا مِنْ غَيْرِهَا
أَصْبَحْتُ عَنْ (1) طُرُقِ الرَّشَادِ بَعِيدَا
سَمِيتَ نَفْسَكَ لِلشَّقَاءِ (2) سَعِيدَا
حَتَّى يَرَاهُ يُلَازِمُ التَّسَدِيدَا
فَتَكُونُ لِي مِنْ كُلِّ عُمْرِي عِيدَا
إِنْ ابْنَ آدَمَ لِلْمَصَائِبِ شِيدَا

ومما كان فيها أيضاً

إِنْ لَمْ يَكُنْ عُذْرِي صَاحِحاً صَادِقاً
وَلَرُبَّمَا خَفِيتُ حَقِيقَةَ حُجَّةِ
مَلِكِ الْبِعَادِ أَحَبَّتِي وَدَنَا بِهِمْ
وَإِذَا سَقَى اللَّهُ الْفَوَائِدَ رِيَّةً (3)
فَقَبُولُهُ بِالْفَضْلِ جَدُّ سَدِيدِ
بِلْسَانِ فَهٍ أَوْ لِسَانِ عَنِيدِ
مَوْصُولُ ذِكْرِ فِي الْفَوَادِ جَدِيدِ
فَسَقَاكَ ثُمَّ رَعَاكَ يَا بَنَ مُفِيدِ (4)

(١) في الأصل من .

(٢) زيدت الهمزة حتى يستقيم البيت .

(٣) احتمال كبير رِيَّةٌ وهي مدينة مالقة .

(٤) أرجح ان يكون ابن سيد المالقي .

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله أكمل الصلوات وأسناها وأظلمها وأوضحها وأدلمها على المخصوص بالنبوة العليا والرسالة الدنيا إلى كل من عمر الدنيا محمد بن [ط 47] عبد الله بن عبد المطلب، وعلى آله وأزواجه وذريته في العالمين، إن الله حميد مجيد.

العلم في الصدور لا في السطور. قال الله تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾⁽¹⁾. في قراءة التخفيف قدم العلم على الدرس وفي قراءة التشديد قدم التعليم، وهو الإمامة على الدرس، فدل أنه لا يتنفع بالدرس على صحة المنفعة إلا عالم وإمام. قال الله تعالى: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه﴾⁽²⁾. فقدم أخذ الميثاق من الأنبياء والعلماء صلوات الله ورضوانه عليهم وفي آخر الميثاق كمال الحجة وثبوت العلم ثم ذكر الدرس لدوام الحجة فدل على أن العالم لا بد منه بداية ثم بعد ذلك يتذكر العالم والإمام بالكتاب، وقال تعالى ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾⁽³⁾.

فالكتاب هو المشهود عليه بعلم العلماء ليكون حجة فدل على أنه لا يتنفع بعلم العلماء إلا من أخذ [مشهوده] بعلم العلماء، وذلك يقضي تقديم علم العلماء بصفقتهم ورؤيتهم. علم الصدور محروس بالتأييد والتوفيق والتسديد من التبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقصان وكل [و 48] ذلك أو بعضه لا بد لعلم الصحف منه لأن العالم حي بحياة تسري. وأما الكتاب فناطق بصمته نطقاً لا يسمعه إلا حي ولا حياة قبل مطالعة الكتب إلا لمن حيا بحياة معلم حق وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ولكن يقبض العلم بقبض العلماء)⁽⁴⁾ فدل أن من يأخذ العلم من العلماء لم يأخذه من

(1) سورة آل عمران، آية 79.

(2) سورة الأعراف، آية 169.

(3) سورة المائدة، آية 44.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه ج 1، ص 194 العلم باب كيف يقبض العلم، ومسلم في صحيحه ج 4 ص 2058 العلم باب رفع العلم وأخرجه أحمد والنسائي والترمذي وغيرهم.

الصحف أبداً وثبت عنه عليه السلام: هذا أوان يختلس فيه العلم فقال قائل والله لا يختلس العلم وكتاب الله بين أيدينا نقرأه ونقرئه أبناءنا ونساءنا. قال: ثكلتك أمك إن كنت لأحسبك من أئقته رجل بالمدينة. أليس هذه التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى فما ترى أغنى عنهم⁽¹⁾. وهذه غاية البيان من المصطفى صلوات الله عليه وسلامه. إن العلم إنما هو في صدور العلماء، يبقى ببقائهم ويفنى بفنائهم، وفيه تنبيه من النبي صلى الله عليه وسلم أن المعول في تحصيل العلم على الصحف، ليس بفقير، وتنبيه أن كتاب الله دون العلماء لا يغني شيئاً.

وقال رجل لابن وضاح⁽²⁾: دليلى على ما أقول كتاب الله وسنة رسوله، فقال: من إمامك في كتاب الله وسنة رسوله؟ فانقطع الرجل. وقال [ط 48] النبي صلى الله عليه وسلم: العلماء ورثة الأنبياء⁽³⁾. فنبّه على أن العلم بعد، وأن العلم في الصدور لا في السطور، وكان بعض من سلف من علماء هذه الأمة يسمي من اكتفى بالكتاب صحفياً، وكانوا ينهون عن أخذ العلم من الصحفيين. وفي كل ما تقدم دليل واضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ترك العلم والسنة في صدور العلماء، لا في الصحف.

فائدة هذه الصفحة أن المكتفي بالكتاب عن الشيخ قبل البحث والجد في طلبه ليس بفقير.

(1) أخرجه الإمام النسائي في كتاب العلم رقم 73 من حديث عوف بن مالك الأشجعي مطولاً بلفظ (هذا أوان يرفع العلم) بسند جيد [واحد في مسنده ج 6، ص 26]، وابن حبان في صحيحه «موارد رقم 115»، والبخاري في مسنده «كشف الأستار رقم 232»، والحاكم في مستدركه ج 1 ص 98، 99 وقال حديث صحيح ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي في جامعه من حديث أبي الدرداء وقال حسن غريب ج 3 ص 371، وعند الدارمي رقم 294، وأخرجه أحمد من حديث زياد بن ليلى ج 4 ص 160.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بديع قرطبي الأصل، رحل إلى المشرق مرتين، وسمع عن عدد كبير من العلماء وكان عالماً بالحديث ورعاً زاهداً. ت 286 أو 287 هـ. الضبي: بغية الملتبس ص 133، ابن القاضي: جذوة المقتبس 93، 94. ابن فرحون: الديباج ص 239: 241.

(3) أخرجه أبو داود في سننه رقم 3641 (العلم باب الحث على طلب العلم) في حديث طويل. وعند الترمذي ج 3 ص 380 العلم: باب فضل الفقه على العبادة. وعند ابن ماجه رقم 223، الدارمي رقم 349 وابن حبان في صحيحه موارد 80، والحاكم وغيرهم

الفقيه الفاضل أبو الحسن علي بن غالب أدام الله توفيقه .

من محبه في الله أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً - سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أمدك الله يا أخي بعض أنواره ، وغيبك بخصوص جواره ، وأفردك بما أفرد به أوليائه من جميل اختياره ، وحجبك به عنك حجة لا غيبة لك بعدها أبداً عن موضع لطفه وعطفه ، إنه ولي كل شيء وربه .

ورد كتابك فأنس بما فيه من الدعاء . بدأ الله بك في كل صالحة ، وأسنى حظك من كل راحة وهي القلوب ، لا أبلغ في رضاه من تألفها على أمره [و49] وما اقتضاه ، فإنه جل جلاله يقول ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم﴾⁽¹⁾ . فنبه على موضع خصوص التألف وأنه غير موزون بشيء من التكلف وهو أحد مواضع الإيمان الذي لا مسلك للعدو إليه ولا سلطان له عليه - جزاك الله عن إخوانك أفضل الجزاء ووصل لهم بقاءك بحقيقة البقاء .

أما ما ذكرت من التنقل إلى شلب - صانها الله - لما فيها من الرفق ، فإن الإخاء يوجب المساعدة لك ، والعلم يقتضي أن لا تنهض بك قدمك إلا عن يقين أو منه ، فإن لنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، وليسوا مثلك في القوة .

إن كان العدو كما قيل ظهر في تلك الجهات ظهوراً مخيفاً فقف . الأولى بك ألا تنهض ، فإن علامة العون والصون من الله جل جلاله لمن توجه به إليه ووصل حبله بحبله ، والله حاملك على ما هو أزكى لديه وأجل توصيلاً إليه لا إله إلا هو .

لا تقطع كتبك عن إخواننا بشلب أطاب الله عنده ذكراهم ونور لهم مواضع المنزلة من دنياهم وآخرهم . واعلمني بما خفي عليك من ذلك وتردد عليهم في الوصية في المشايين والحاضرين عليهم والبحث عن [ط49] أحوالهم والفتش عن أسرارهم . وأن

(1) سورة الأنفال ، آية 63 .

يخاطبك بما دق من ذلك وجل ، فإن المخبوء إن لم يطلب لم يوجد .
والسلام عليك مني ومن خاصتي وجملة إخواني ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه رحمه الله

(15)

الله ولي أبي الحسن بن غالب وحافظه في إخوانه ومحبيه .

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أوصلك الله إلى مرادك منه ، ثم جردك له من اختيارك ، واختار لك في لطائفه
وشريف عوارفه ، ووصل إخوتك ومحبتك من رضاه ، لك وبك بما ينزلك منازل
الصالحين عنده ، ويوءك محل الصديقين لديه بكرمه .

أنا إذا اختصرت فإنما قبضني قابض صدق الإخاء ، وما في باطنه من الثقة بالبر
والوفاء ومعه من التوقير والحياء . وإذا طولت فالحال بسطت من اليد واللسان ما لا
حكم لي فيه ، وما ظهر من برِّي بالإخوان كافة وبكم خاصة إلا وما بطن أعلى منه مكاناً
في إن شاء الله ، ويوم كتابي هذا هو يوم الخميس الثاني وعشرين من شوال وفيه اتفق
سفر الفتى محمد الأشبيلي⁽¹⁾ موصله - هنا الله ومعه كتابك هذا إن [و 50] وصله الله ،
وكتاب إلى أبي محمد عبد الغفور أكرمه الله⁽²⁾ .

فترى رأيك فيه ، في إمساكه وفي إرساله ، وفي وقت ذلك . وأرغب في تعريف
حالك وبحال من ورائك صانهم الله به وبك .

(1) يحتمل أن يكون هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن موسى ، إشبيلي ، أبو عبد الله
المجاهد .

ابن عبد الملك : الذيل سفر 5 جزء 2 رقم 1261 ص 666 .

(2) عرف الشيخ أبو محمد عبد الغفور بالفضل والعلم والكرامات وإجابة الدعاء .
ابن الزبير : م . س . ترجمة رقم 52 ، ص 37 .

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿(1)﴾، ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ، لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (2)، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ (3)، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ * فَاثْقَلُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسْسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ (4).

لو أن الأرض تطهرت من الجنائيات على الدين وأهله لكانت جنة. ما من نفس على وجه الأرض إلا وهي مسلطة [ط 50] على المؤمن بضرب من التسليط، مسخرة له بوجه من التسخير، فإذا شغله الضجر بالتسليط عن شكر الله سبحانه عن التسخير وعن رؤية نعمة التسخير فقد رقد عقله، ومن رقد عقله لعب عدوه به كيف شاء. والعبد سلطان نفسه عليه، هو سبب كل نفس عليه من جهتها يتصل إليه، فمن صدق في مجاهدتها حتى خافت، خافه كل ما وراءها من نفس.

فليكن همك نفسك لا ما وراءها. فإن الظفر بها ممكن والفوز مبذول، وإن الله لم يخوف بالسيف إلا كافراً ولا بالسوط إلا فاجراً فإن لم تكتمهما فلا تخافهما.

والسلام عليكم ورحمة الله.

(1) سورة الصافات، آية 180، 181، 182.

(2) سورة المجادلة، آية 10.

(3) سورة النساء، آية 19.

(4) سورة آل عمران، آية 173، 174، 175.

وكتب إليه رحمه الله

(17)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .
سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد يا أخي ، فإن العبد ضعيف وأن الله خلق الأشياء بقدرته وصرفها بحكمته وسلطها على كل شيء يسلطانه وأدرج في بعض السلطات خذلانه وفي بعضها مكره . فما كان من الدنيا مقطوعاً من شاهد اليقين فذلك موضع الخذلان ، وما كان من الدين مقطوعاً من شاهد اليقين فذلك من حد المكر فاحرص على الحرية [و51] إلا من رق المستحق بحقائق الربوبية ، ولا تعرض نفسك للملكة الأشياء وغلبتها عليك ، واعلم بأنك لا تقدر على السلامة من ذلك إلا بحول الله وقوته ، وملازمة لطفه ونعمته ، ومطالبة نفسك بحجته ، وذلك ملك دائم قائم مخصوص به أهل حقائق الإيمان فإن العبد إذا اتصلت حقيقته بسكينة إيمان ، أمدّه الله في نفسه الأمن من الدنيا والجنة في العقبى ، وآخر مد في أعدائه السيف في الدنيا والنار في العقبى .

قال : الملك من الموصول الحقيقة بسكينة الإيمان المنتهي الملك وعند أعدائه وقف الهلك . فاجمع همك وهمتك في إدراك بعض ما يلزمك من قيام حجة الله عليك فإن ذلك معراج حق يوصلك إلى محل سكينة الإيمان ويحول في البداية والنهاية بينك وبين أهوائك وأعدائك ، واستعن بالله استعانة من لا يصلح لشيء ولا يصلحه غير الله شيء ، وابك على نفسك الدمع [متبجحاً] برضاه ، وليس لي ولك إلا الله ، تاب الله علينا توبة حق وصدق مستمرة إلى لقاءه بعزته .

والسلام عليك وعلى كل واحد من إخوانك .

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد رسوله الكريم، وعلى آله وسلم تسليماً. الله ولي الصديق أبي الحسن بن غالب وحافظه.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إذا طال أمد الفترة، ألفه وجع العثرة قام الحزن شهوة في الصدر بحقيقته وإن كان حزناً بصورته وطريقته. وإن أخاك تلافاه الله نسي في بحر الحيرة نفسه ومن سواه، ومن وقع في الطين، وكان من هواه، ولا يدري ما يراد به من نسيانه.

حدث له بشيع وإيجاش من غاد عليه بديع، ومات أمله في التوبة بموت أحبائه وفراق ألبائه، وفقره من دعائم من يقوم بذمامه وبقائه في أرض الوحشة يستوطنها بخوفه ورجائه. تفسخ أخوك تحت أدوائه وعجز على منفعتة صبره، أو تصديقه بدوائه. وما يمتعه من أن يجهل اليأس والقنوط بين أحبابه إلا ظلمة الأوهام، وقسوة العظلة من الاهتمام. فإن لم يكن من الله سبحانه عون ينهضه إلى رشده، وصون يكفيه عن سوء قصده فقد حاق به جزاء غفلته وأحاط به ميزان [و 52] [جرأته ؟] وملك أو كاد، والله المحجة البالغة على عبده ولا حول ولا قوة إلا بالله وبكرمه ومجده.

مات في هذه الأيام صهري أبو جعفر⁽¹⁾ والد عبد الرحيم، رحمه الله، ونضر وجهه - فأحزن وأبكى، ثم وقع العزاء فاستوى لا جعل الله صبرنا عمن نجبه له عذراً منا لهم وغفلة عنا. انطوى من حقه في حقهم وعندي شفقة على ولده عبد الرحيم لصغره، ووالدته أختي - صانها الله - أشد على نفسها وعليه وعلي. فأرغب حسن الدعاء للجميع بالخالقة الحميدة والموارة السعيدة والقدوم على كامل النجاة من كافة الغموم والهموم، فما ذلك على الله بعزیز.

(1) يحتمل أن يكون ابن عم يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي والد أحمد صاحب بغية الملتبس. في ترجمة ابن العريف عبارة «صحه ابن عم أبي الزاهد أبو جعفر». البغية رقم 360، ص 154.

ووددت أن نعرف أحداً من إخواني ساكن الجأش عن خالص بر وذكر، فأنسى
بذكره عني فكنه إن أمكنتك .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه رحمه الله

(19)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

إلى الفقيه أبي الحسن - الله وليه وحافظه .

من الواحش إليه الحريص عليه أحمد بن محمد .

سلام عليكم ورحمة الله [ط52] وبركاته .

أما بعد ، فإنه ليس لمقبوض أن ينسط ، ولا لمرفوض أن يشترط ، وأحق الناس
بالرحمة من عرف ما لا بد منه ، ولا سبيل إليه . اللهم ! ثبت أولياءك وأيد بتأييد
الخصوص أصفياءك ، ولا تحرمنا من رؤيتهم ولقائهم ، ما يزيد في حياتهم وبقائهم .

كنت في أول الحال على مثل الجمر من خوفي على الكمال ، فلما بلغني ما صنعتته أم
فلان - صان الله ذكرها - وهم يفقأون عينها ويريدون شينها من دعائه ورغبتها إلى من لا
يوجد في الشدائد سواه في المغفرة لهم وترك المواخذة ، طابت جهتي للجملة وعلمت أن
مصائباً لم يكدح في أسرار القلوب ، هين في لسان التعزية وإن كان شديداً في لسان
التوفية . فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء ، ثم
الصالحون ، ثم الأئمة فالأئمة)⁽¹⁾ ، فدل على أن الذرة مما حملوه به واحتملوه له أثقل مما
حمل غيرهم من الجبال ، فالتعلق بهم يوجب العزاء ، والتعلق فيهم يوجب الهموم
والغموم والأرزاق .

(1) أخرجه أحمد في مسنده جـ 1 ص 172 ، 174 ، والترمذي في جامعه جـ 3 ص 286 وقال حسن
صحيح ، والنسائي في سننه الكبرى وابن ماجه وابن حبان والحاكم .

وفي صحيح البخاري ، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة جـ 10 ص 111
كتاب المرضى .

كذلك ينبغي للمحب أن يكون في خدمتهم جبلاً وهباءً، وناراً وماءً فإن لهم حالاً وحقاً فاتباعهم في الحال يوجب [53] السرور بما سرهم، واتباعهم في الحق يوجب النوح الطويل فيما شاههم في شيء من الأشياء وضرهم وقُل ما حمل عطايه إلا مطايه، أو عرف بلاياه إلا خصوص براياه.

فإذا قرأت كتابي فجدد لله سبحانه شكراً بما جرد ذلك من النعمة في ثبوت إخوانك عند المكروه على إقامة شريعة الخدمة، وإياك أن يزهدك في طلبهم والبحث عنهم حيث كنت أو كانوا، خوف عليك أو عليهم، فإن نصر الله ظاهر قريب واعلم أنهم القوم المرحوم سواهم بهم وإن أساء عليهم، فإنهم رب من غفلوا عنه حتى إذا أضرهم أو نال منهم، خصوه بالشفقة عليه والحنين الصادق إليه، وإنك لا تدري ما وراء ذلك من لطف الله سبحانه بمن لطفوا به.

مات بالبصرة شاب كثير الإسراف على نفسه، فلم يصلّ عليه أيوب السختياني⁽¹⁾ - رحمه الله - ردعاً لغيره، وقياماً لحق الله في أهل المخالفة. فرؤي الشاب في المنام على حالة حسنة، وقيل له بما رحمك ربك؟ فقال: بترك أيوب السختياني الصلاة علي.

وتأويله في حقائق العلم أنه رُحم بإقامة أيوب [ط 53] السختياني السنة فيه، فأقبالهم رحمة، وإعراضهم رحمة، فكن محباً لهم وفيهم على كل حال - ولا حول ولا قوة إلا بالله وحده.

ومنذ فارقتني عبد الرحمن ويوسف وأبو بكر وإخواننا لم يتجدد عندي رؤية قريب العهد بحضرة المجد، فطال استيحاشي وأصاب سري من الأمراض القبيحة ما فاض على جسدي، فأخوك - لا مسك الضر - لا صحيح الأديم ولا سليم البشرة ليس بينه وبين الماء مانع، ولا له في التخلف عنه حجة، لعبت به الرياح مختاراً ويدعي معذرة واضطراً، فلا حسن حال، ولا صدق مقال، وهو جميع بين المرتين وعلامة حصول القوتين، عائداً بالله لي ولك وإخواننا من ذلك.

(1) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري - أبو بكر. سيد فقهاء عصره، تابعي من الزهاد والنسك، من حفاظ الحديث وكان ثبناً ثقة روي عنه نحو 800 حديث ولد 66 هـ وتوفي 131 هـ. ابن حجر: تهذيب التهذيب ج 1 ص 297، أبو نعيم الأصفهاني: حليه الأولياء ج 3 ص 3.

يا أخي : علم وعمل ما أعزه وأهونه على من لم يره . يا أخي : طلب ولي البحث عليه بعد المحنة بسببه وفاء خصوص ، ووفاء الخصوص كأنه إيمان جديد فإن حسن العهد من الإيمان . يا أخي : شفقة على مثلي بالدعاء حتى يظهر أثر ذلك عندي وحتى أخطب بها كشف لي عنه من تلك العلاء أي [و 54] حسنة لا يعادها بعد الإيمان شيء من الإساءة ولا شيء من الإحسان ، وكيف لا يكون كذلك عبد مستور الظن ، مفتوح اليقين ، صاحب رأس الدعوى في كل شيء من الدنيا والدين كلما عصى حركت له الحصى ، فلهي ونسي المنتهى ، لا خوف ولا رجاء ولا هيبة ولا حياء والظن مع ذلك جميل رفقا بهذه الأشباح ، فإن هذا النوع من حلمك لا يحتمله من أمن بوقوع مكرك .

اللهم ! تقبل ما عندنا من قليل الضراعة بها في جودك من كريم الشفاعة بعزتك .
والسلام عليك يا أخي ، بل يا قرة عيني ، بل يا مولاي وعلى أحبائك كل واحد باسمه قرب أو بعد ، كان أو كائن ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(20)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .
الحبيب الودود المقدم الموجد أبو الحسن بن غالب — أدام الله توفيقه — وليه في الله تعالى وأخوه أحمد بن محمد .

سلام عليكم عامة وخاصة معشر الإخوة والإخوان ورحمة الله وبركاته .

كتبته ليلة [الخميس؟] الخامس عشر من ذي القعدة . وقبله بخمسة أيام [ط 54]
ورد كتابك الكريم صحبة أبي بكر بن البناء⁽¹⁾ - أكرمه الله - ووقفت على مضمونه في جوامع فنونه — فجزاه الله عني وعنكم أفضل المجازاة في دار الفناء والحياة ، وأحياكم

(1) هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العبيدي ، كان أديباً كاتباً شاعراً ، أخذ على أبي الحكم بن برجان وأبي الحسن بن عزيمة ، ولكنني أرجح ألا يكون هو لأن سنة الوفاة متأخرة .
ابن عبد الملك : م . س ، سفر 5 قسم 2 رقم 1283 ص 681 .

الحياة التي لا يشوبها كدر، ولا يعوقها عن رضاه قدر بعزته .

وحالي في ظاهري صالحة ، وما وراء ذلك فارغ خوف العاقبة إلا أن يعفو الله سبحانه ، وكل من عندي من الإخوان أكرمهم الله ، إنما يعتقدون يوم وصول كتابك عرساً من الأعراس ، يفدى بالنفوس والأنفاس ، ودعاؤهم بحسب مسترتهم ، والله يؤلف القلوب في ذاته ، ويقود بها إلى مرضاته بعزته .

ووقفت على ما ذكرت من خبر أبي محمد وأبي عبد الله فحمدت الله سبحانه على الفتح فيها ، وسألته الزيادة لهما ، ورجوت المزيد من عنده ، ونظرت إلى أمني في حاجاتي جميعاً ، كأنه بين اليد عملاً ، وليس الرب سبحانه بمخيب لمن قصده بأوليائه أملاً . وإذا ذكرت شوق أبي عبد الله فاذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : (وددت أني رأيت إخواننا فاشتاق إليهم قبل الوجود ، وشرفهم بأن كان فرطهم إلى الحوض المورود)⁽¹⁾ . فما ذكره لك من اتحاد نفوس الإخوان بصادق الإيمان [و55] حق لا مرية فيه . وفي كل ما وقفت عليه من تلك الأنباء علم واضح إلا بالمشافهة وعندني به من الروح والأنس ما يعم طرفي الروح والنفس .

ولا أدري ما أقول لك ! إلا أني أقول وهب الله لك بكل حرف مما تكتبني به ألف نور ، لكل نور ألف درجة في خزائن القدرة ، لكل درجة وجهان ، وجه يحيط بأعلى مراتب النجاة ، وما ذلك وأعلى منه بعزيز على من هو على كل شيء قدير . نفع الله بعضكم ببعض ، وأقام لكم من ذكره مزعجاً إلى كل فرض بقدرته .

تفهم كتاب أخ إلى أخيه ، كيف أعامل أصحابي ؟ فكتب إليه عامل أهل النهايات بنهاية التصديق وأهل البدايات ببداية التحقيق ، وجاهد نفسك وحدها بغاية

(1) أخرجه في حديث طويل لفظة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت إنا قد رأينا إخواننا . ورواية مالك : وددت أني قد رأيت إخواننا قالوا يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ قال : بل أنتم أصحابي ، وإخواني الذين لم يأتوا بعد . . . الحديث مطولاً . مالك في الموطأ جـ 1 ص 28 باب جامع الوضوء .

ومسلم في صحيحه جـ 1 ص 218 الطهارة .
والنسائي في سننه جـ 1 ص 93 ، 95 الطهارة حلية الوضوء .

المجاهدة، في نقض المواثيق بغاية القبول من أخذ الوصف من إيمانك، والدليل من إيمانه الدعابة في مجلس الذكر ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾⁽¹⁾ وذلك للتنبيه على ما في القلوب في أوقات الذكر من التدنيس بأدناس الغفلة. فإن الدعابة محرم عليها أن ترد على الاسرار الطاهرة، والاسماع [الظاهرة؟] لذلك قال الحق وقوله الحق: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ﴾⁽²⁾ بعد قوله طبتم. وقال سبحانه [ط 55] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾⁽³⁾ وإنما حلقة الذكر روضة من رياض الجنة والعبد سوق، فما نفق عنده جلب إليه، وميراث أصدق الترتيل في تلاوة الكتاب العزيز أو ما حفظ منه صيانة الأبصار والأسماع إلا عن المحمود. قلت فما بال العبد قلبه قلب عالم ولسانه في غير أوقات العلم كأنه لسان جاهل. قال: إنما ذلك لأنه بعد متعلم لا معلم فعليه بحكم تسليمه للعلماء وما أخذ منه محفوظ عليهم فهو في كنف العصمة ما أشار إليهم. وأما لسانه فمردود إليه بسقوط حظوظ السامعين منه، وإنما مصابهم من قبلهم لا من قبله، فمن الواجب عليهم التوبة عنهم وعنه بلزوم ذكر جالب لا يتضح من جوالب الحزن كالموت أو النار. أعاذنا الله منها ومن أسبابها - وترتيل التلاوة وملازمة ذلك حتى يقوم شاهد في [سو؟]⁽⁴⁾ الضمير ملحوظاً بعناية اللطيف الخبير، ولا يجوز لهم محاسبته بما بقي عليه من لسانه إلا بلسان معلميه خاصة. فأما بالسنة المتعلمين منه فذلك مرفوع عنهم وعنه لأنه قد يكون مراداً في المغفرة، فلا يكون له بد من لسانه. وإن لم يكن له في ظاهر العلم حجة. ولو كان لسانه مراداً في العصمة، واتصل ذلك بها حفظ من سره للعلماء، لكان من المصطفين الأخيار المخلصين بخالصة [و 56] ذكرى الدار ولو كان كذلك لنتفع وانتفع، فإنه يخاف على من ذاكر بعلم حق، ثم داعب أن يكون كما قيل شوي أخوك حتى إذا أنضج رمد، و﴿كَأَلَيْ نَقَضْتَ غَرْهًا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾⁽⁵⁾ ولو كرما على المتجالسين مجلس ذكر أيقنوا أنه لا بُدَّ فيه من دعابة أن يتذكروا بذكر إشفاق وحزن قول الله سبحانه ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾⁽⁶⁾ ويرددوه ترديد بكاء وخوف ويصرخون به

(1) سورة البقرة، آية 266.

(2) سورة الغاشية، آية 11.

(3) سورة الواقعة، آية 25.

(4) كلمة غير واضحة.

(5) سورة النحل، آية 92.

(6) سورة البقرة، آية 266.

أَلَسْتَهُمْ إِزْرَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ خَاصَّةً لَا عَلَى الْمَدَاعِيينَ مُعْتَرِفِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ بِمَا عَزَمُوا عَلَيْهِ لِأَنَّ الدَّعَابَةَ فِي مَحَلِّ الذِّكْرِ مِنْ أَقْبَحِ الْأَشْيَاءِ وَالْقَبِيحِ لَا يَحْتَمِلُ الْفُضِيحَةَ . وَبِمِثْلِ هَذَا مَعَ الضَّرَاعَةِ وَالِاسْتِغَاثَةِ إِلَى اللَّهِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ لِيُطْفِئَ نَارَ الدَّعَابَةِ وَالضَّحْكَ فِي أَقْرَبِ مَدَّةٍ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁽¹⁾ وَمَنْ نَفَرَ عَنْ حَائِلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَقَدْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

قلت : فما بال سكون العبد في المحفوظ قلبه مردود إلى نفسه في لسانه وهو في ذلك مأمور بالحركة . قال : لأنه لا بد من نفوذ حكم المشيئة فيه وإن لم يكن له فيه حجة به في العلم توجب له عذراً ، ولأنه لم يكشف له بكمال البيان في حدود الذكر أو حدود العيان ما في رد [ط56] العبد إلى نفسه في لسانه من حرمان الفوائد والعوائد ، لقوله سبحانه ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾⁽²⁾ دليل تأويله وتطيعوا الله طاعة موصولة بسلامة الخاتمة ، ومن يطع الله طاعة موصولة بسلامة الخاتمة فقد فاز فوزاً عظيماً . فكان صاحب هذه الرتبة مراد وقت لا مراد جملة . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)⁽³⁾ فظهر بجموع الآيات والحديث أن استقامة اللسان مبدأ كل صلاح عمل ، ومبدأ كل استقامة قلب وعلى نفسي وحدي تكلمت وعليها وحدها نحت ، وبعبئها بُنِيت .

اللهم ! توبة ومغفرة سموحاً وروحاً من أمرك ، وروحاً بكرمك ، يا خير الغافرين
ويا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين ويا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها .

لا بد من عيش وعقل وعلم ، فأما العيش فينبوع قوام الجسد والروح ، وهو إحراز الكفاف بأصل من التوكل ، أو بأصل من التكسب ، فمن لم يصح له عيش ، لم يصح له فراغ في طلب حقيقة ومن لم يصح له فراغ في طلب حقيقة لم يصح له عقل ولا علم ، وأما العقل فينبوع قوام العشرة والمصاحبة للحق أو للخلق [و57] فمن لم يصح له عقل

(1) سورة الطلاق ، آية 3 .

(2) سورة الأحزاب ، آية 70 ، 71 .

(3) أخرجه أحمد في مسنده ج 3 ص 193 من حديث أنس بن مالك ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت .

لم تصح له عشرة ولا مصاحبة ، ومن بطلت عشرته ومصاحبته وجب شذوذه ، وكثر عدوه ، ولزمه الخوف والحذر حيث لا ينفعانه ، وصاحب هذه الحال ليس له عيش ولا ينفعه علم . وأما العلم فينبوع قوام أعمال قوام الدين فرضاً وفضلاً ، فمن ليس له علم فليس له فرض ولا فضل ، فكيف يكون له عقل أو عيش ؟ .

اللهم ! حسن أخلاقنا ، ووسع أرزاقنا ، وأمن بالإيمان والإسلام إلى يوم الدين بلادنا وآفاقنا .

أبو موسى⁽¹⁾ نزيل جيان كان معي في رمضان ومضى هذا المنسلخ عنا ، وعنده فوائد وأعلام قدرة ، وفارقني في السفر إليكم ، وتكلف لي رغبة إلى الله سبحانه في حاجة وصفها لي بالسنة الصالحين . فإن وصل إليكم يجتمع رأيكم ، ووكدوا عليه .

أبو محمد عبد الله [بن عبد] الواحد بن محفوظ⁽²⁾ - أكرمه الله - كتب إلي عازماً على استيطان إشبيلية - حرسها الله - وذكر الآن أنه في كنف رعاية الشيخ أبي الحكم - أدام الله توفيقه - وذكر [شراء]⁽³⁾ دار هناك وأموراً نحو هذا . وخطر بالبال أنه يريد سقراً إلى ناحية المشرق ، وأن رأيه في الأمن بخلاف ما كان ، وهو الذي منعي من مخاطبته في الوصول إليكم ، ومن الناس مغلوب عليه في آرائه [ط 57] وأحق الناس بالرحمة من لا فراسة له .

وأخي إسماعيل هداه الله سافر إلى بلاد المغرب وورد كتابه من مراکش ولا يتحقق له حال . فادع الله أن يفتح له في نفسه بهداية وكفاية وأن يमित الجميع ميتة إخلاص وخلاص .

قال لي بعض أصحابي : المكاشفة بباطن الوجود عندي دون الوجود بظاهره لأنه مثال من المنام ، واليقظة أشرف من المنام ، ولذلك مدة عامين أو أكثر فما عرفت ولا أنكرت وكأني فهمت منه أن أعلى المكاشفات وأسانها وكلها شريف حق ما كان

(1) لم أستدل على ترجمته لعله أبو موسى بن مسدي الذي سبقت ترجمته .

(2) لم أستدل على ترجمته .

(3) في الأصل شرا .

مكاشفة بباعث حق على أمر من الشريعة حق ، أو تراجعى حق على نهى من الشريعة حق .

وقد ذكر أبو عبد الله⁽¹⁾ أنه يرى من الوجود ما شاء كما شاء من تفصيل وإجمال وهي درجة شريفة عالية جداً ، وأنه إذا تحرك أو حرك بعضه تحرك الباقي من الوجود كله . فإذا وقع له شيء من ذلك وأنت معه ! فلا يكن شيء أهم لك من أن تسأل الله وهو يؤمن ، أو هو يسأل وإنك تؤمن في حاجتك وحاجتي أما حاجتك فأحرار الكفاف لك ولجملتك ، وأما حاجتي ، فالحاجة التي هو بها أعلم .

اللهم ! أوصلنا غاية رضاك ، واجعل خير أيامنا يوم لقاك .

السلام المعاد على كل واحد [58] منكم باسمه قدر شوقي ، سلام خادم لا سلام عازم ، وسلام تابع لا سلام شافع ، أنتم سادتي في الدنيا والآخرة .

إن شاء الله إذا اجتمعتم فخذوا لي في حاجتي ضمائر ، وخاطبني وخص بالضمير من له ضمير .

اللهم ! كن راحاً لي من كل مكروه في الدين والدنيا والآخرة .

(1) أبو عبد الله محمد بن يوسف الأبار .

رسائله إلى الفقيه

أبي عبد الله محمد بن يوسف الآبار⁽¹⁾ رضي الله عنهما

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)⁽²⁾ وفي طي هذا الخبر كل بركة لمن تفقه فيه، ولم يهجم هجوم الصبي على ما يذره ويأتيه. إذا علم المعلم من نفسه علم اليقين أنه ليس بحريص على حظ نفسه من المال والجاه، وأمکنه أن يستكثر من الصبيان بوجه مباح صحيح، فعل من ذلك الغاية، فإن أولى الناس بتعليم الخير أقربهم من القبول، وهذه صفة الصبي. وليس على المعلم واجب أن يتولى كل صبي بنفسه في كل أوقاته وأحواله، فإن هذا غلو وحقيقة، وإنما عليه أن يتولى جميعهم بنظره ورأيه، حتى لا ينصرف الصبي إلا وقد كتب وقرأ، وقرأ غيره إذا أمكنه، ولا يتركه إلى الغفلة البينة [ط 58] الظاهرة المتصلة جل النهار أو شطره، وأما غفلتهم في بعض الأوقات فلا بد منها، ولا بد للمعلم أن يسمح لهم فيها، فإنها العون على وقت الشدة والمجاهدة له ولهم، ولكن ليكون همّ المعلم في تعلمهم أخلاق الديانة من الحياء والسخاء والتواضع، وذكر فضائل الفقر وعيوب الغنى ونحو ذلك من الإيمان، أهم عليه وأوجب إليه من حفظهم لحروف السواد، يلقي ذلك إليهم كلمة كلمة وينبههم عليها وقتاً وقتاً.

(1) سبقت الترجمة له في الرسالة الثامنة الموجهة لأبي الحسن بن غالب.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ج 9 ص 74 فضائل القرآن، وأحمد في مسنده ج 1 ص 58، 59،

والنسائي في فضائل القرآن رقم 61، 62، والترمذي ج 4 ص 53 وقال حسن صحيح

وغيرهم.

وإذا حضرته حالة مع مولاه من بكاء ونحوه فلا يستره عنهم ، وليأخذ معهم في بعض أوقاته من العشيات فيما أمكنه من الدعاء ، وفيما يحضره من حكايات العباد والزهاد الصالحين والعلماء تحببياً منه للسلف الصالح عندهم ، وإحياء لما درس من ذكرهم ، وأثارهم ، وتذكرة لنفسه .

ولقد سمعت شيخاً من ذوي الحرمة [والانساق؟] ⁽¹⁾ وكان ببلده قرطبة أنه سمع بها رجلاً يمشي في سككها وهو ينادي : من يشتري العقل؟ قال : فكنت ممن اشتري منه . فينبغي للمعلم أن يتعلمه ثم يبيعه من الصبيان رخيصاً . والله المعين

فإن قلت كيف يتعلم الإنسان العقل حتى يعلمه غيره؟ فإني سمعت الشيخ المذكور يقول : لما سمعت الرجل يقول من يشتري العقل؟ [و59] دخلت إلى دايتي فسألتها ما أشتري به ، فدفعت لي نصف درهم من تلك الدراهم أو كما قال . فخرجت وتبعته واشتريت . قال : فأخذ طرف كبة كانت بيده ، فقال لي : أمسك ، ومشى حتى بلغ الطرف الآخر من الكبة ثم رفع صوته ، فقال لي : إسمع ! فقلت ورفعت صوتي ، نعم . قال : إذا رأيت الشر فاهرب منه بمقدار هذا الخيط ، فإنك إذا فعلته لم تقع في شر أبداً . قال الشيخ : فكنت إذا سمعت الشر وأنا في داري أردت الخروج ، فقول لي دايتي وأهلي : والعقل الذي اشتريت؟ قال الشيخ : فصار لي ذلك عادة ، فها أنا قد بلغت ، وذكر أكثر من ثمانين سنة ما قربت من شر ولا وقعت فيه ، وكان ذلك في أيام الفتنة ⁽²⁾ ، فما أظن كان ذلك إلا رجلاً صالحاً .

فكذلك يحكي الصغار حكاية العقل والعقلاء ، وإن أمكن تنبيه بعضهم على بعض الفرائض في الوضوء والصلاة ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة في التوبة ونحوها من الأعمال الخافية فعل ذلك ، فمن كانت فيه همة لهذه الأمور ونحوها فليأخذ فيها ، وليستكثر من الصبيان لأجلها ، وليعلم أن التعليم فرض عليه أو كالفرض ، وينبغي أن يشدد المعلم على صبيانه في العمل بما يعلمهم من وجوه الخير ، كما يشدد عليهم في الحروف [فهو؟] ⁽³⁾ أتم وأكمل ليعلموا أن ذلك جد ولا يتخذوه حكاية .

(1) كلمة غير مقروءة .

(2) المقصود الفتنة التي حدثت بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس .

(3) كلمة مطموسة .

[ط 59] حَضَرْتُ فِي أَبْعَدِ مَا قَالُوا وَمَا وَصَفُوا وَغَبْتُ فِي الْقُرْبِ عَمَّا عَابَتُوا وَرَأُوا
نِعْمَ الْجَنِيِّ ذَوْقُ أَنْسَى بِالَّذِينَ دَنُوا لَوْلَا إِقَامَةُ شَخْصِي فِي الَّذِينَ نَأُوا
وَحَدِيدِي بَقِيَتْ فَلَا مِثْلَ الَّذِينَ أَبَوْا غَيْرَ الْخُضُوعِ وَلَا مِثْلَ الَّذِينَ بَأَوْا
لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهُمْ عَبْدًا وَلَوْ أَنَّ رَأْسِي بِالْحَسَامِ مَأْوَا

ثم السلام عليك وعلى جميع إخوانك ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه رحمه الله

(2)

الولي الخالص أبو عبد الله محمد بن يوسف - أعزه الله - يتفق له وليه في الله تعالى
أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله والسلام عليك يا أخي ورحمة الله
وبركاته .

وردني كتابك أكرم بكما فسرني ما فيه من جميل الدعاء ببابك مقروناً بما لا أمثري فيه
إن شاء الله من صدق جنانك . وخفت لعلمي بنفسي أن يحول بيني وبين ظهور بركة
الدعاء عندي من قلة جدي وكثرة شغلي بما لا يجدي وما عسى أن [يتفع؟] (1) بإجابة
الدعاء محل مشغول بأضرار معنى الدعاء إلا أن الرجاء بعون الله لم يفارق نفسي على ما
عودها من المعرفة بحالها في ورود لطف الله سبحانه عليها من حيث لا تدري فإن لطف
(...) (2) التي لا تدري أكثر من التي تدري ولا هم الآن ولا غم إلا في الحدود
ومصاحبة [و 60] عالم حاكم حفي وعوفي إذا حضر أدهش وإن غاب أوحش فاجعله
لي من بالك أملاً وعملاً . واعلم أنك لن تلقى الله سبحانه بعمل بعد الفرض أزكى لك
عنده وأرجى نفعاً عاجلاً من دعائك لي فيه .

والسلام عليك معاداً ورحمة الله وبركاته .

(1) كلمة مطموسة .

(2) كلمة مطموسة .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله . أول الأشياء وآخر النعماء والصلاة على محمد سيد الأنبياء وآله وأصحابه البررة الأصفياء ، فإن الذي يصد بواعث القلوب عن تحقيق ما تذكره الألسنة من المودة والمحبة ، نفس تخاف أو عقل يعاف ، وليس عند النفس إلا الرياء والجهل ، ولا عند العقل إلا الرياسة والدهاء فإن النفس من شأنها أن تكتم عيها وتجفو من ترى أنه يرى عيها ، والعقل يتدهى ليظهر أنه تناهى ، وفي مثلها تخرس الأقلام والألسنة وعندها تحمد اليقظة والسنة فيسكن القلق ويتمكن القلق وتموت الأعمال حين أودي ببواعثها في تيار التقية ورؤيتها العرق ، فأما الساكت بعلم وحلم [ط 60] فإطراقه شفقة ، وإمساكه صدقة ، ولو شاء لنطق جمعاً لا تفرقة . وأما الساكت بإيمانه فسكوته أدب أو غضب ، وهذا أطلقهم عذبة لسان وأوسعهم جليلة بيان ، فإن الإيمان معدن التفصيل ومقر إطلاق الألسنة بالحسن الجميل . وأما ساكت الحياء والهيبه فموقوف لا متوقف ، ومحمول لا متكلف يتلوه شاهد منه ، وقد استغنى أن يعتذر أو يعتذر عنه ، مراده أمر غير إرادته معلوم ومكانة مهابة واستحياء منه بنعمتها فيه مفهوم .

وكان لأخيك إخوان عرف بشواهد التجربة أنه لم تنبث بواعث خطابه إليهم إلا برؤية فضل له في حكم الكبر المبتوث ، وكانت له أسانيد تبدلت النفس عما به تناجيهم حين ظنت برعونتها أنها توازيهم وكان إذا ضعف وجهل فتق لسانه بما أهله وبعض إخواننا إذا لم يجد ما يقول ، يقول : لعل فائدة تنكشف أو رحمة تنعطف وقد تقع الحيرة التي ينطفئ بمثلها نور البواعث عزيمة التسيب بعيدة النسب فلا غريبة يعلم وجهها الا الله سبحانه أو مراد منها في الكشف من الله عز وجهه ، فإن ظهر سلطانها في حفظ الحدود ورعاً [و 61] يتها كانت رحمة ، وإن ظهر في إهمالها كانت نقمة ونعوذ بالله سبحانه لنا ولإخواننا من المكر والخذلان - ونسأله النقلة من ذل المعصية إلى عز الطاعة .

وأقرأ عليك خاصة وعلى الإخوان كل واحد باسمه السلام ورحمة الله وبركاته .
جوابك لا بد منه ، ولك أن تكتبه مهملاً لا عنوان له ، ولك أن تعنون بها لا ضرر
عليك .
موفقاً إن شاء الله .

وكتب إليه الفقيه

أبو عبد الله أن يجاوبه⁽¹⁾ على هذه الرسالة

وهي :

سلام على مولاي ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد رسوله الكريم . الحمد لله الكائن قبل الأكوان ، البائن عن حدث الزمان والمكان الذي كان ولا شيء معه قبل إيجاد المكان ، وقال وقوله الحق ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾⁽²⁾ ، ولما فني الخلق عند وجود عدم دعواه وكتب الحق في لوح كل شيء . كلا بل هو الله وعين الحق تنظر شزراً وغمزاً ولسان الصدق ينطق زجراً ورمزاً . هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ذكراً؟ ثم انفصل العلم عن اليقين وتفصل حتى اتصل [ط 61] بيوم الدنيا والدين وظهر الحق في محل الكيف والأين ، واستتر الحق في رجود حقيقة الزوجين ، وقامت العقول بواجب أمره بأمره . وكثيراً أنكر واستكبر ، وما قدر إله حق قدره ، وظهرت النفس بكمالها في شطر الدائرة ، وظلت الأبواب في كمال نقصها ، ونقص كمالها باهتة حائرة ملكت ملك الاختيار في ملك الاختبار حتى حكم الاضطرار على وفق الأقدار ، فعقل العقل هناك عند تحصيل فهم التفصيل .

وقالت النفس عند وجود العجز هل إلى سكوت من سبيل؟ كي لا يظهر ضعفها ، ولتستر بسكوت الرياء لا بسكوت الحياء سخفها ، فلما بلغ النفس الخؤنة ريقها وإن كنت قد حسنت قدماً طريقها ، وفرت لعدل العقل معرضاً عنها ، ومستجيراً بصدقة

(1) رسالة أبو عبد الله بن يوسف الى ابن العريف .

(2) سورة الرحمن ، آية 26 .

منها ، سالكاً في ذلك سنن أصحاب الأصول لأهل الوصول في الاعتماد على العقول ، فإذا هو بسياسة الرياسة والدهاء يقول : لقد طال بنا البرسام وبئس ما أجرينا هجن الليل في طلق الكلام ، ففهمت الإشارة ، ولحت فيه بتنبيه الفقيه أمانة عز الإمارة .

فقلت : حسبي الله ، لا نفس تنتصح ، ولا عقل عن العلل يرتفع ، ثم أومأت إلى النفس إيماء مفتقر في حال محتقر . فقلت : ماذا ترين ؟ . فقالت : دع الكلم [و 62] الخلف واخف خبره ، وامح من الرسم عينه وأثره ، فإن العالم البالغ لا يخاطب بقول مهلهل النسخ فارغ .

فقلت : واغوثاه ! . أصبحت أسبح في بحر من الخجل ، ورحت من خبر العقبي في وجل . فقام خاطر العلم وقال : أنا فوائد الفوائد والموجود في الشدائد بخرق العوائد ، أعاقك عائق ؟ أم عفي لك أثر في طرق الحقائق ؟

فقلت : كان كل ذلك وقد انسدت السبل دون أملي ، والمسالك منعت من مراجعة الشيخ - رضي الله عنه - وقد قال جوابك لا بد منه .

فقال : خلق الانسان من عجل ، ألم يسرح عن التقييد بأجل ؟ . قلت : أجل .

قال : فأقم المدة إلى وجود المدة .

قلت : لا أقوى على ذلك وأسلم من قول الفقيه هنالك .

قال : فما وصف فيما صنف ، ألم يقل في ساكت الحياء والهيبة وقد استغنى أن يعتذر أو يعتذر عنه !

قلت : بلى .

فقال : فدع الاعتذار وكنه .

قلت : أخاف الدعوى !

قال : هو في الحقيقة (الغُثَاءُ الْأُخْوَى)⁽¹⁾ ، ظاهرة في العلم ، في العلم موجود وباطنه في اليقين مفقود .

(1) الآية ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ سورة الأعلى ، آية 5 .

قلت : زدني من البيان .

قال : إن في القرآن لبيانات من الهدى والفرقان . تقرأه ؟ .

قلت : كلا . لكنني أفتح السورة وأقول متى تتم ، وأبدأ القراءة وغاية رغبتني [ط 62] أن أختتم .

قال : هذا عقل محجوب ، وقلب قفله عليه مضروب ، لكنني أذكرك آية لم تبق في هذا الغرض غاية ولا نهاية ، قال الله سبحانه ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾⁽¹⁾ ضرب لكم فقد علمك بما أعلمكم كيفية كونك مع سيدك ، وأنها ككون مملوكك معك قولاً وعملاً ورجاءً وأهلاً . فهل لمملوكك أن يدعي شيئاً من ملكك وهو بمراءى منك وفي ملكك ؟
قلت : سبحان الله ! وأنتى له السيادة ؟ وكيف يتخيل خرق هذه العادة ؟ .

قال : فإن قال أخاف الدعوى .

قلت : هو عبد توهم الحرية وخرج بعد وجود الخوف من رق العبودية .

قال : نعم . والدعوى منا ألطف من هذا . وذلك أنه قد يعبر بالدعاء عن الدعوى . قال الله سبحانه يريد دعاهم .

ولهذه اللطيفة شرح لا يحتمله الكتاب ، ولا تسعه كل العقول والألباب ، ثم عطف علي وقال : [تحقق ؟] كيف كانت النفس أسعد منك في وجود الحجة ، وأحمد في سلوك نهج المحجة . أظنك غلوت في احتقارها حتى كدت أن تمضي في تيارها .
فقلت : الحق أجهر إن ظنك ليقين ، وإني على تعظيمها لضنين .

قال : فما شئت الآن فاستخبر ولا تستعظم خلقاً ولا تستحقر لا سيما السيئة [و 63] فإنها بطرق الشر والجدال فقيهة .

فقلت : أيتها النفس لقد جال طرفك في ميدان المعاتبة ، ضاربة بحسام المنى عنق المخاطبة والمعاتبة فما الذي أخاف أو أعاف إن جاوبته بهذيان وانتلاف ؟ .

قالت : بخلوص نية من غير فكرة ولا روية اشتهاه جهلك واحتقار شأنك وسقوط

(1) سورة الروم ، آية 27 .

منزلتك عند [سائر] أصحابك وإخوانك عيبك وهو سر في خزائن غيبك .

فقلت : أيتها النفس العاقله ألسنت أنت المنتشرة القائلة :

العلم إحصاء فكل معلم أحصى المعلم في الحقيقة كانه .

أوليس سيدي بك منك أعلم ! وقدمه في الصدق أصدق وأقدم ؟ يا عيبة عيب دون دناءة بلا مرية ولا ريب ، لعمر الله لولا أطول على سيدي بهفوة باردة بعيدة القرب من الفائدة لفصححت من خفي أسرارها بإصرارها ، وأوضحت من دني أخبارها ، فبأخبارها ما يستسغه السفال ، ويستسغه السفهاء والجهال . لكني أنزه سمع سيدي عن سماعه وأراجعته عن رؤيته واطلاعه على أنه بشرها أعلم ، وبسرّها أستر وأكتم ، وبها وعليها في كلتي حالتها الطف وأفهم . فإن نفس المتعلم جزء من عالم نفس العالم ، وفي مثله يقول الناظم :

[ط 63] أحاط بجزئياتنا كل نفسه فأنفسنا في ملك عالمها ملك
كأن جنود العارفين جنودها تصرفها ملكاً لها وهي الملك

والسلام المؤكد المعاد المردد على مولاي عدد ما لا يحصيه عدد ولا يحويه أمد متصل
المزيد بدوام الأبد ما اتصلت صفاته بالمزيد وحياته ورحمة الله وبركاته .

فجأوبه الفقيه أبو العباس رضي الله عنه

(4)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على محمد ورسوله الأخص بشرف التأويل والنص ، وعلى آله الذين هم إذا أخلص له ما له وعلى كافة من تجوز الصلاة عليه ويزكو بها المصلي عنده ولديه .

سلام عليك أيها الأخ ورحمة الله وبركاته .

وقفت على كتابك وقوفاً أراني أجناد البر والصدق صفوفاً ، وكشف لي عن كثير مما جهلته حسناً معروفاً وكثيراً . كنت أعتقد فيمن ينتقد أنه غير مصيب وأن العذر ضرب

فيه بنصيب ، فإذا حملتني نفسي إليها فارقتها ، وإذا ساعدتها فذنوب سلفت حملت عقوبتها ذنوب خلقت ، وما كنت أراه أنه لا يضام لمختصمين ولا خصام بين متحابين حتى ذكرت قول الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ إِذْ يَتَخَتَّمُونَ ﴾ (1) وذكرت قوله عز وجل [و 64] ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (2) ، الآية ، إلى قوله ﴿ خَضَمَانِ ﴾ (3) . وفي الثابت المحفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم : هل تدري فيما اختصم المملأ الأعلى ؟ فعرفت أن من الخصام عملاً صالحاً وأن في بعضه علماً راجحاً ، وفكرت في المثني فوجدته بحقيقة من التثنية سينازع من ثناه ، ويدافع من شاركه في معناه شاء ذلك أم أباه ، فإما بلسان الحال ، وإما بلسان المقال ، فكل شريكين الوجدانية لهما عارية وفي الفرقة والكثرة ثباتاً ، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (4) ف ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (5) ، ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (6) وقوله قبل إيجاد الكان . ذكر سهل (7) رحمه الله أن الكان هو الله عز وجل ، وهذا هو الصحيح في لسان علم الحقيقة ، لأن الكان رسم ، وحقيقته الأزل ، والأزل رسم وحقيقته الله عز وجل . فالكان لا يدخل تحت الإيجاد لا سيما وفيه ألف المعرفة ولامها ، والكان في نعت الحكمة هو الكمال المنزه عن الإعداد المقدس في عين السبق عن الإمداد والاستمداد .

وأما الكان الداخِل تحت الإيجاد فهو تناهي الحدوث في المحدثات ومحل شرف المخترعات وهو يلحق الأكوان رسماً في الأصل [ط 64] لا حقيقة لما بين العدم والقدم من التعادي نشأة وطريقة ، فإذا كلمة إيجاد الكان لها مساع في القول الملفق وليس معها بلاغ في المعنى المحقق .

(1) سورة ص ، آية 69 .

(2) سورة ص ، آية 21 .

(3) سورة ص ، آية 22 .

(4) سورة الأنبياء آية 22 .

(5) سورة الصافات ، آية 180 .

(6) سورة الروم ، آية 18 .

(7) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، أبو محمد . أحد أئمة الصوفية وعلماهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعبوب الأفعال . له كتاب في تفسير القرآن ، وكتاب رقائق المحيين . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج 2 ص 429 ، أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء ص 189 . أبو عبد الرحمن السلمي : طبقات الصوفية ص 206 .

قوله : ولما فني الخلق عند وجود عدم دعواه ، تفسير الوجه فيه أن الخلق حال نشأته الأولى التي لا نشأة له قبلها ، نشأ محفوظاً من الدعوى ثم ترتبت النشأة بتدبير الحق سبحانه وعلى حكمه ، حتى ظهرت نشأة النار ثم نشأة الطين وعرضت عليها عهود الأمانات بثوابها وعقابها ، فاحتملها فمن يومئذ ظهرت الدعوى بفنائها وبقائها ، وظهر عن ذلك [فناء] الخلق وبقاؤه فأما قبل ذلك فقد كان كل شيء باق وبقاء الحق أولياً ليس قبله فناء فقد مرت على كافة الخلق أطوارهم [وهنا؟] شهد الله عز وجل بما شهد به لنفسه وكلهم حيثئذ باق ببقاء الحق وهو أول طور من أطوار الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وفي إظهار بقاء الكافة من الخلق ببقاء الحق على الفطرة الأولى من غير مزاج ولا معارضة نور مشرق بظلام داج ، يقول الله سبحانه ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ (1) ، وقال ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (2) ، فثبت أنه ليس في [و 65] النشأة الأولى دعوى ولا فناء ، ويومئذ كان مكتوباً في لوح كل شيء بالذكر الأول هو الله .

وأما كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ فإنما ثبت في الألواح التي عرض لها الشرك الجلي أو الخفي ، فلما محتها يد المجاهدة بماء التوبة في أوقات دوام المساعدة وكمل صفاء الألواح ، واتصلت الأشباح بالأرواح ، وكلت أبصار أبصار البصائر عما عاينت ورأت ، وبلت أرحام الوجدانية بعضها بعضاً فتدانت بعدما نأت وكتبت فيها كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ ففي كَلَّا عظمتها وفي بَلْ نعمتها ، وفي هو الله سلطانها وبرهانها .

هذا هو الذكر الثاني في الألواح خاصة ، وهذا هو بقاؤها الثاني ببقاء الحق والحقيقة عن فنائها بفناء الدعوى والنفس ، فإذا قيل في لوح كل شيء فذكر الدعوى والفناء ، هناك وَهُمْ لا وجه له ولا أصل .

وأما تفسير الوجود والعدم فإن العدم رسم تابع للعلم في محل العلم ، متقطع الخط بكليته عن الخارج الذي هو باعث الذوات ، والوجود هو انتظام الذوات في الخارج ، والصفات وأخص أسمائه في حقيقة الذكر يدور على الثابت والثبات ، فليس للعدم

(1) سورة الأنعام ، آية 3 .

(2) سورة الزخرف ، آية 84 .

البتة وجود من [ط 65] حيث تبرأ الخارج منه وانفصل الداخل عنه والدعوى لها وجود وبقي عينها لا بوجود الحقيقة موصولاً ببقاء الحق . وذهب قوم إلى أن العدم له وجود من جهة أنهم عرفوه مذكوراً فتوهموا من حيث كان كل موجود [موجوداً]⁽¹⁾ أن كل مذكور، وهذا مذهب الظاهرية المحضة وقياسه باطنية محضة وكلتاها أعني الباطنية والظاهرية تنافرها الحقيقة .

قوله : وعين الحق تنظر شزراً وغمزاً معروف مشهور من شهادات الأصول أن الحق أضاف العين إلى نفسه تشريفاً أو تعريفاً، فإنها هي كمال رؤية وتحقيق ، وليس البتة رمز ولا غمز، ولا لها إلا ما هناك طريق . وليس للرمز ولا الغمز أن يتعديا خاتنة الأعين حكمة وشاكلة الأنفس حكماً وإذا وسع الله ضيقاً فقد حرم أو كره الزيادة ومنع الاسترسال والهوادة، وأخاف أن يكون قوله ترمق زيادة على موضع التوسعة قوله ولسان الصدق ينطق رجزاً ورمزاً . هذا إنما يصلح لعبد متحقق بسماع الحق ووقت من أوقات إرادته مختلفتين أو لعدين .

قوله : انفصل العلم عن اليقين وتفصل قول حسن إذا كان اليقين يراد به الحق سبحانه فإذا [و 66] أريد اليقين حقيقة العلم فالتفصيل متقدم على اليقين تقدم العموم في العين الواحدة على الخصوص .

قوله : وضعه الخلق في محل الأين والكيف ، فهو كذلك في رسم حقيقة الخلق ، فأما في عين حقيقة الحق فإن الخلق يوجد سابقاً ويتبعه الأين والكيف فيوجدان حقيقة في محله .

فصل

إستار الحق في محل الزوجين غير مفهوم على حكم الحقيقة، والمشهور المعروف أنه ليس دون الحق استار في عين الحقيقة ولا في عين لسانها والمستتر في حقيقة الزوجين هي الوجدانية التي قام بها وجود الزوجين التي في حقيقة دار أو جار، وأما وحدانية الحق وكذلك الحق فأوسع من الاستتار وأعم الأقطار، ولذلك قامت حجة الله في التوحيد

(1) كلمة غير واضحة .

بكل شيء، على كل شيء، في كل شيء. ولكن إذا عشي صاحب الأمانة بهواه عمي ذكره ذكر المشرف وذكر به مولاه قيض له الشيطان يغويه، وجعل على بصره غطاء من ظلمة الهوى يعميه بحال غطاء الهوى على عين البصيرة بين نور البداية الموضوع في البعد قسراً أو اضطراراً.

ونور البداية المطلوب من العبد [ط 66] دركه والتعرض قصداً واختياراً، وقد ورد من ذكر [الدواء؟] ⁽¹⁾ عجب ما له تفسير لا يليق به وقتي هذا المضيقه واتساع القول والإشارة في ذلك المعنى.

قوله: فقامت العقول بواجب أمره بأمره. صوابه عن أمره أو بإذنه لأن آثار القدرة قامت بإذنه، ومعاني الخصوص ظهرت عن أمره.

قوله: ظهرت النفس في شطر الدائرة كاملة. صوابه أن النفس في ذاتها حقيقة نقصان لأن كل شيء تفصل، ولم تكن النفس من أجزائه، فبقاؤه بقاء الحق والحقيقة دائم، وكمال فطرته في إيمانه سالم، وأما كونها في نصف الدائرة فإنها كذلك من حيث أحاط بها القهر والقسر، وأما من حيث توجه إليها الأمر والنهي ففي نقطة أسفل سافلين. هذ حقيقتها من جهة ذاتها، ولها من جهة ما هي تابعة له من عقل وعلم وإيمان غير ذلك من الأحكام.

فصل

حيرة الأبواب في كمال نقص النفس ونقص كمالها من جهة أنها ملكت ملك الاختيار في ملك الاضطرار إلى آخر الحديث لا يتضح وجهها وتأويلها، لأن اللب هو ما اتصل من نور الفطرة بنور الإيمان، فكلمها طلع له نور حق أو حقيقة خالطه [و 67] وألفه وإن طلع له ظلام نافره وشفه، ولا حيرة له إلا عند الممتزجات التي ليس لها تفصيل البتة، ولا بد له فيها من تفصيل الكلمة، وكمال نقص النفس عند اللب واضح بين، ونقصان كمالها إذا كان لها كمال بطريق العارية بين واضح، وملكها ملك الاختيار باطل بين لأن مكانها أسفل سافلين بذاتها، وهو مكان لا يصلح للملوك، وقد يكون في المجنون ما يشبه أخلاق الملوك وليس به، وتفسير هذه الإشارة أن الاختيار هو رؤية

(1) كلمة غير واضحة.

الأولى ومشاهدته وملك الاختيار وهو ظهور الأجناد والولايات، بين مسخر ومستخدم في سلطان، الرأي يتبع رؤية الأولى، والنفوس من هذا كله بمعزل، ويصلح له عبد مستخدم الجملة بحقيقة إيمانه ثم إقامة الحق مقام الإمامة والقدرة، وقال سبحانه ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾⁽¹⁾، ففرق بين حقه وهو الملك، وحظهم وهو النعيم. وزعم قوم لا ترتضي عربية قلوبهم أن النفس مفوض إليها، وهذا حرام شرعاً، ومحال عقلاً، فأما استحالته فمن أجل أنه لو صح التفويض لصحت حقيقة القدرة، ولو صحت حقيقة القدرة أفضت فنون وقائعه [ط 67] ومجوزاته إلى أن الأقدار أعجز، وأن الأعجز أقدر وهو محال، والمفضى إليه محال.

وأما تحريمه شرعاً فلما فيه من الإلحاد في أسماء الله الحسنى، والقدر في ذاته وصفاته العلى، وأجل عبارة في مسألة القدر على الإجمال أن العبد قامت عليه الحجة بصحيح [المظان؟] وثبت العلم له، به قيامها على الفاعل حقيقة، وهذا سر. فمن هنا تحيرت الأبواب لا من هناك فبطل العجز بصحيح المظان، وشرط العلم به حكماً، وثبت العجز لاستحالة قيام حقيقة القدرة بذلك المحل حقيقة، فبطلان العجز حكماً منع العبد من أن يكون مجبوراً أو معذوراً، وثبت العجز حقيقة أوجب للعبد أن يكون عبداً يلبس الطاعة، والسخرية حقيقة وحداً ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ * هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ⁽²⁾. وهذه أحد المعارف الذي بذلت الولاية والهداية قبلهما لأقوام فكادوا هم الرفعة لا يكون بأيديهم من الحق إلا أضغاث أحلام.

قوله: وتنزل الخاطر. صوابه أن الخاطر عند الفقهاء والفقهاء وارد سماوي لا يحمل إلا حقاً، ولا يسمع الأصدقاء فالكيف المذكور ليس من [و 68] محمولاته والخبر عنه ليس من إشاراته ولا دلالاته، ولكن الخاطر يبدو ويغيب والعبد هو الذي ينزل ويتنزل، وليس للخاطر بذاته سفول ولا نزول.

قوله: وعقل العقل. هذا قول يرضاه الشعراء ويأباه الكبراء، لأن العقل يمد بالأنوار ثواباً وهداية، ويكف عنها عقاباً وزرارة، وربما رد إلى ذاته، والربانية بروحها حافظته ومربيته حتى يتعش لما يراد به انتعاشاً، وتتعش القوة التي يحمل بها ما وراء ما

(1) سورة الإنسان 20.

(2) سورة غافر، آية 64، 65.

عنده انتعاشاً . والعقل مركزوزها هنا بما كان عليه في حال النشأة ، وليس بمعقول هناك البتة لما سبق من الدليل على أن كل شيء في النشأة الأولى كان باقياً ببقاء الحق والحقيقة ، وقالت النفس عند وجود العجز صوابه عند ظهور آثار عجزها ، لأن العجز حقيقة ليس بطارئ عليها فتجده بعد أن لم تكن تجده .

فصل

فزعه من النفس إلى العقل وذكره أن ذلك من سنن أهل الأصول وليس على طريق أهل الوصول . فالفرع صحيح وما ذكره باطل لأن أهل الأصول لا يميزون بين النفس والعقل ، وقد وقفوا عند ضياء العقول وعليها يعملون ، وإن كانوا لا ينظرون ، لا ينظرون فيها ولا [ط 68] يتأملون وإنما التميز بينهما علم من الحقيقة لا ينال إلا من كان من أهلها .

قوله :

أَحَاطَ بِجُزْئَيْنَا كُلِّ نَفْسِهِ فَأَنْفُسَنَا فِي كُلِّ عَالَمٍهَا مِلْكُ
كَأَنَّ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ جُنُودُهَا فَكُلُّهُمْ مَلِكٌ لَهَا وَهِيَ الْمَلِكُ

تقديره أحاط بجزئيات كل أنفسنا وهذا على رأي الفقهاء ، طريقة المثل ، ويصلح حقيقة في عالم الحق والصناعات ، ويتعلمها إذا ثبت لها شرط التعليم والتعلم وسببه وأحق الناس بقبوله المنتسبون إلى الفلسفة العقلية ، لأن كل ما أضافته فلاسفة الدين إلى القلوب أضافته فلاسفة الفترات إلى النفوس ، ولو كان القلب في الشعر مكان النفس لكان أحق الناس بقبوله الفقهاء .

والسلام عليك معاداً أيها الأخ ورحمة الله وبركاته .

(5)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً.

قال الله سبحانه ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴿⁽¹⁾﴾ وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: من أصابته مصيبة فقال كما أمره الله ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ اللهم أجرنى في مصيبتى وأعقبني خيراً منها إلا فعل الله ذلك به ⁽²⁾ قالت أم سلمة: فلما توفي أبو سلمة قتلها ثم قلت ومن خير من أبي سلمة. فأعقبها الله رسوله فتزوجها والحمد لله المسيح بحمده المقدس بتأييده ومجده الذي كتب الفناء على كل ناطق وصامت، وجعل في وجوده الدائم عوضاً من كل فان وفات، فدل متلوقاً على العوض، وأصل مشغولاً بعرض أو عوض، وقال الدليل والبرهان هل الفاتت إلا سلالة أصلابكم ﴿إِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ ⁽³⁾ وبهذا قدر القدر بحسن مستقدمه ومستأخره، وظهر سر الخبر في الأمة بالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره لكن الآخر أقل ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ﴾ ⁽⁴⁾ مع خمول القلة واستتارها، وظهور العلة وانتشارها وخصوصية الملة في القرون السالفة وأعصارها فلله الحمد على قديم إحسانه وعظيم نعمائه، وامتنانه أعقب المفقود موجوداً في محله وأوطانه، وغلب الرحمة على الغضب في حال سطوته وسلطانه، ومنَّ بالنجاة على النجاة في مبارك العطب وأعطانه، فاستقر السر وبطن، ولما عاين العارف بحر الأقدار، عم جميع الأقطار بأنواع المكاهر والأقدار، والكل سابح غريق في [ط 69] حال الهلاك أو هالك، والفار يتوهم إمكان الفرار كالمستجير من الرمضاء إلى النار، ولروح الرحمن سريان سر في سر الحكمة، قال

(1) سورة البقرة، آية 156، 157.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه رقم 918 الجنائز باب ما يقال عند المصيبة، وأبو داود رقم 3119 الجنائز. ومالك في الموطأ ج 1 ص 236 الجنائز باب الحسبة في المصيبة، والترمذي وغيرهم.

(3) سورة آل عمران، آية 144.

(4) سورة البقرة، آية 265.

فأوجز وأعجز، ليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا؟ ومن أين سلك؟ . ولقد قال وصدق وبمفهوم الوجود في المشهور نطق، لكن النجاة لا تبصر بحاسة عين، ولا تحصر فتدرك بالكيف والأين، لا سيما والزمان زمان ليس لمؤمن منه أمان، وإني وقد خفي الخبر ودرس الرسم فلا عين ولا أثر، وعادت العادة في الغالب عبادة، والهواذة إرادة، وطفق المريد يطلب مراده وإن أخطأ مراده وخدع المخادع في الحدين حتى اختلفوا في حدود الدين واثتلفوا على الدنيا والإطراء في حق اليقين [ونبت؟] ⁽¹⁾ النبات أملاً وعملاً على عارض عرض أو أجل أثاره مرض، وأصبحت النعمة نقمة أو كادت وراحت المحنة محنة أو إحنة في حقهم، فأكادت، ومعهود الإرادة عكس ذلك لولا ركس الغرض أو نكس المرض الكامنين هنالك فيا لها من فجعة لم يأن لأهلها رجعة، ويا له من مصاب سقى القلوب صرف الصاب وجرعها غصص الألم والأوصاب.

هلموا إلى المدام المباح فقد وجب البوح بالنواح [و 70] وعدت العوافي رزءاً ما يرجوه أجز ولا يرجى عليه جزاء . كم ذا أصبح عدم النصيح! ليتني ناصح فأريح! أو منصوح فأستريح! ألا هل من مستكشف غير مستتكف؟ ألا سائل مرسل فاستفهم عن بعض ما أشكل أو أبهم؟ سلوا عن الخطرات وآفاتنا واشتغلوا بالبحث عن النيات ومخباتها، فإن في محمود العمل من العلل ما لا يكشفه إلا خطب جلل، وإن في معهود الخطرات من الآفات ما لا يعرفها إلا واجد الوفاة، وما تغني الآيات والعمر قد ذهب وفات .

لقد قلت ووصيت حتى قال الطالب أو المطالب: خوف وعنف وحفي، فشنت ونعى وكلا ما جفوت إلا نصحت وصفوت، ولقد خاب وما أصاب من تغلغل بفالودج الرجاء خلواً من الخوف وتعلل بأنموذج من سعة الإمهال والإرجاء، فقال سوف وسوف .

اللهم! إنا نطمح تكراً بل نقطع جرأة ونجرماً على جودك بالنجاة، وجثنا ببضاعة مزجاة، فامنن اللهم على عفاتك الحفاة بإشارة أهل اليمين، تقوم للكل المثمون

(1) كلمة غير واضحة.

والثمن ، فإنك قلت في معرض الامتنان ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾⁽¹⁾ . فجازِ
اللهم على إحسانك السابق [ط 70] بإحسانك اللاحق المتلاحق وصله يسراً من العقبى
بعافية من المكارة والأكدار صافية برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله
في العالمين .

(1) سورة الرحمن، آية 60 .

وكتب رحمه الله إلى

جملة من الإخوان⁽¹⁾ رحمهم الله

(6)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

من اعتقد نفسه أعقل الناس فهو أحقهم ، ومن اعتقد أنه فقير العقل إلى كل عقل في أهل السموات والأرض في الإنس والجن فيرجى أنه عرف نفسه إن صدق في اعتقاده ذلك ، ومن افتقر عقله إلى كافة العقول فكل ما سمع نصيحة ، وكل ما عمل من ذات نفسه فضيحة .

وأنت يا يوسف إن نفعتك همتك واتصلت بتوفيق الله وحسن عقلك عن الله ذمتك ، فلا يكن شيء أحب إليك من أن لا تعمل عملاً إلا بمشاورة مسلم تجد في رأيه البركة ، وعلامته أن لا يشير عليك إلا بما يحبك إلى أهل السموات والأرض جميعاً ، ويحقق حالك في محمود الظاهر والباطن ، وهو الحقيقة . أمسك لسانك ولو مت ، وتعلم من وقت حروفي هذه ووصولها إليك العقل ، كما تتعلم [و 71] السورة من القرآن ، وطالع بعد ذلك بأحوالك ، وما اتفق وما أتقن لك من ذلك غير خارق لعادة ولا موحش لقلب مسلم ولا مكتمل إلا على الله وحده ، ولا نازل من الدين إلا في أحط منازل الجهل عند نفسك ، نزولاً تعرفه العامة والخاصة من حالك وأفعالك ، لا من لسانك وأقوالك ، والتزم حرفة لا تقطعك عن صالح بينك وبين الله تعالى ، ولا تجرك إلى ما يوبقك في غد ، وابك على نفسك بكاء صادقاً ، واعمل على ما يبقى معك في هذه الفانية ، وحياتك في تلك الباقية ، وجانب القرآن برفق ، فكثرة التزامك للشغل فيما ينفعك أو ينفع أهلك مجانبة حريص عليهم في الظاهر من غير نطق بلسانك ، زاهد في

(1) الرسالة موجهة إلى أبي عبد الله محمد بن يوسف .

السر في حقيقة نفسك، عاتب عليها ألا ترضاها لأحد من خلق الله خادمه فكيف صاحبه؟ وانتظر الموت مراراً في الشهر يأتي بك إلى أن تنتظره مراراً في اليوم، وإن خطر بقلبك أن الذي نصحك بهذه النصيحة ليس من أهل هذه الصفة فليخطر بنفسك أنها أنفع لك وله، وأولى بك في حق الله تعالى وحق عبوديتك، ومن ترخص في الحجة حاد عن المحجة، وحسبك الله وحسبي وكافة إخواننا المسلمين.

وأوصيك بأمور فالزمها جهدك صلاة [ط 71] الجماعة لا تفارقها إلا أن يحال بينك وبينها، والجمعة صلها خلف كل من قدمه الإمام برأ كان أو فاجراً، وحسابه على الله. الصوم تطيب القلوب لكافة الخلق. اليأس من كافة الخلق وقطع الطمع، الإنصاف، الإشفاق، الوزن، الحزن، التواضع، الصمت وهو ثلاثة أنواع: صمت اللسان إلا عن فرض، وصمت الجوارح عما لا يدخل في عمل صالح إجماعاً، وصمت القلوب عما لا يُرضي من العقود والخطرات، ومن كلم أحداً بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو بآية أو بإجماع أو باستنباط من هذه الثلاثة قريب ظاهر، أو بعيد خفي، والمخاطب قاصر عن ذلك الكلام، فقد عرضه للفتنة بالسنة. ومن فعل فعلاً يجوز له تركه بمحضر أحد فالأمر كذلك، وإذا كان النطق فبشرط أن يكون نطقاً يسلم عليه كل قلب خلقه الله تعالى وهو خالقه إلى يوم القيامة، إلا قلب كافر مجاهر.

وأما الإنصاف في حق الخلق بعد كمال الإنصاف في حق الخالق، تنتظر العمل فتتبدى بمعرفة إنصاف الحق فيه على الكمال، ثم في إنصاف الخلق ثم تشرع في ذلك العمل.

الوزن من وزن نفسه فرأى أن إحسانه أرجح فقد [و72] خاب إلا من عصم الله بالعفو، وذلك أمر غائب، ولا يعمل عليه إلا مغتر، وليعلم الوزان إن رجحت عنده سيآت من أقر بالإسلام وقبله أهله كائناً من كان القابل من عاص وغيره، فقد خاب الوزان وخسر العيش.

من أين؟ وكيف؟ ولم؟ لا تأويل إلا ما حقق إجماع الأمة، وإذا نطق به إنسان عرفه الكافة، ولم ينكر مسلم بحقيقة إيمانه البتة، لا يجوز خلاف الظاهر إلا إذا كان العمل به كفرأ أو معصية أو بدعة أو جفاء للصالحين، وخلافاً لحسن آدابهم وأخلاقهم كوناً

ظاهراً لا شك فيه ، والصالحون هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان رضي الله عن جميعهم ما نقلته الكافة وعرفته القلوب ، عرفان المحبة .

اليقين وأصوله إجماع الأمة بالفتوى ، وإجماع القلوب على أنه أولى واليقين في ذلك اليقين من أنه لا بد منه في الأخرى ، ومن تأوّل في شيء من الدين تأويلاً يؤدي إلى العمل بأدوّن الوجهين فهو الظاهري . ومن تأوّل في شيء من الدين تأويلاً خارجاً عن حكم ذلك الشيء وحكمته والمعروف المشهور والمنصور من أمره فهو الباطني ، وكلاهما تالف - إلا من عصم الله تعالى .

أربعة لا يكون السلوك [ط 72] حقاً إلا بها وهي : إسقاط الكذب ، وإصلاح الكسرة ، ورد التبعة ، وإخراج الظلمة عن إخراج الترخص في الأقوال والأعمال من القلب بالعمل في ثبوت حال اليقين في القلب ثبوتاً ما : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (1) .

وَرَدَ التبعة هو أن يؤدي إلى كل مظلوم له حقه ، وأصله ، استرضاء كافة الخلق من صالح وطالح ، ممن غضب عليه يوماً ما ، فما فوق الغضب ولا يسترضى بالقول وحده ولكن بالقول والعمل جميعاً ، وبالنية الصادقة الصافية ، والعقد على الدوام على ذلك قولاً وعملاً ونية صحيحة إلى الموت ، ومن استرضائه خدمته فيما يتولى من أمر دينه ومباح ذلك ، ومهاداته بما حق من الكسب الطيب ، واعتقد فيه أنه سلفاً صحيحاً لا شبهة فيه ، وموازنه ما بين العزة والتواضع في كل أعمال البر ، فإذا كان العمل من أعمال البر له وجهان : وجه إلى التواضع ، ووجه إلى العزة ، أخذ بما فيه من التواضع على نية صحيحة ، وترك الآخر على نية صحيحة ، ونفر عنه ، لم يعمل بأصل صحيح مما أجمعت الأمة على صحته ، والفقه على الرضى به ، فما أقربه إلى الزلل ، ومن لم يسترّض عامة الخلق في عامة أحواله فما أحرّاه بأن يشهدوا [و 73] عليه وهم شهداء الله في أرضه ، وأؤكد ذلك حقوق الحكام ، ثم حقوق الفقهاء ، ثم حقوق المنسويين إلى الستر والصيانة .

ومن رأى منكراً ظاهراً بيناً فعليّه بخاصة نفسه ، فإن المشغول بعين الفريضة من

(1) سورة فصلت ، آية 43 .

حال نفسه وإن كان عالماً أو حاكماً لا يجب عليه ذلك، فكيف بمن ليس بعالم، ولا حاكم، ولا صديق، ولا رفيق؟ إذاً فما يتعين تغيير المنكر على الحاكم بالشرط وما في معناه، وعلى العلماء بالنصيحة والتبيين، وعلى الأصدقاء بالرفق والنصيحة، وإلا صارت فضيحة.

وأشد الإنكار ضربان: الإنكار على السلطان، لأنه حجة الله ولا ينبغي أن ينكر عليه شيء من قوله أو عمله إلا بشروط: منها الستر، والسر، والرفق، والعلم الكامل، وارتفاع التهمة البتة، وسلامة النية، وأن لا يراد بذلك إلا وجه الله وحده، يشهد بذلك الأحوال من الناصح والسلطان والوقت.

والضرب الثاني: إنكار الأسفل على من فوقه في علم أو حال، وإن كان ولده أو خادمه، وأصله كله التوقف والتثبت عند الحركة إذا حانت، وعند السكون إذا حان، وسؤ الظن بمخلوق يجوز تحسين الظن به محرم شرعاً، ومعنى يجوز تحسين الظن به أي يجوز أن يكون معه مسلماً عند الله وعند [ط 73] فقهاء المسلمين وعلمائهم.

ومن ادعى فيمن نطق بالشهادتين نطقاً ظاهراً أنه كافر، ولو بأبعد تأويل فهو الكافر عندي حقيقة ظاهرة [لا خافية؟] ⁽¹⁾ فصار الإنكار منه حق ومنه باطل.

والإنكار الحق إنكار المعنى الذي هو في نفسه يهودية أو نصرانية أو شركاً كالتعطيل الظاهر، وكادعاء النبوة، أو ادعاء الربوبية إذا كان هكذا إلا عند المنكر، ولكن عند المنكر وعند فقهاء الإسلام وعلمائه، كينونة ظاهرة يعرفها صغار الصبيان وضعفاء النساء، وتجري بذلك أحكامهم المشهورة المنصورة.

ومن الإنكار الباطل الذي هو إنكار عند الخصوص: القطع من العبد بأنه سيكون كذا قبل كونه فلا بد من المشيئة التي ورد بها القرآن عقداً وقولاً ونية صحيحة وعبودية صريحة ولا يهلك على الله إلا هالك.

ووجدت له من هذا المعنى رحمه الله بعد ثبوت ولايته إذا كوشف فقطع بالمكشوف قطع يقين فقد زل لأنه تحكم على القدرة في عين النفوذ وذلك ليس لأحد من خلق الله عز وجل مباح، وهي دعوى في محل العلم خارجة عن موضع يقين العبودية لها من القدر في الدين بالمكشوف بحسب قوتها وضعفها.

(1) كلمة غير مقروءة.

ومن [و 74] صرف الأمر إلى المشيئة في النفوذ، وخاف من موضع المكر، فهو الموفق بما سيكون، وذلك في الرؤيا، ليس للعاقل منها بأكثر من إنها رؤية، وأما هل يكون؟ أو لا يكون؟ ومتى يكون؟ وأين يكون؟ ومن صاحبها؟ وغير ذلك من الوجوه فكله موقوف على المشيئة، فمن قطع فقد تحكم ومن تحكم فقد أنكر القدرة، لأنه أبطلها بإلزامه إياها حكماً لم يقع به اليقين وقوع الماضي . هذه حال الولي بعد ثبوت ولايته .

وأما نحن وأمثالنا فكل شيء منا إنكار، لأن الإقرار من شرطه العلم والحال جميعاً، ولسنا من أهله، وأصل البلاء كله رؤية النفوس وهو تشويقها من الخير في الدين عملاً، ومن استحقاق حظ من السلامة أو الرياسة عقداً ونية ولو بمقدار ذرة .

وكتب رحمه الله إلى جملة الإخوان⁽¹⁾ بقرطبة

(7)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد خاتم النبيين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين إلى أعلى عليين أبدأ الأبددين وعلى آله وعلى أزواجه وذريته أجمعين، وعلى السلف الصالح وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

[ط 74] سلام عليكم جماعة الإخوان خاصة وعامة ورحمة الله وبركاته.

قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽²⁾، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كونوا عباد الله إخواناً)⁽³⁾. وفي مشهور الحكمة أنه لا أخوة إلا بمحبة، ولا محبة إلا بالدعاء والرغبة إلى الله تعالى في إصلاح جملة المحبوب وبدايته ونهايته، وظاهره وباطنه، ولا بد من النصيحة تعريضاً أو تصريحاً. لا أوجب من العلم، ولا علم إلا ما يقع غداً، ولا نافع غداً من العلم إلا ما غرس في القلب ترغيباً وترهيباً، وسلاه إقبالاً على الباقية، وإعراضاً عن الفانية، ومن اكتفى بنفسه في حقيقة حق، فإلى نفسه دعى، وفي تركيتها بها سعى، وحول الحمى لا محالة رعى، ومن اتهم رأيه في كل شيء فتح له الطريق، ولم ينافره التوفيق.

وأنت يا أخي يا أبا عبد الله⁽⁴⁾: غاية ما وصل القوم إليه أن مسكوا بما نالوه منه إليه في كل حال، وذلك في حال حصول الصبر بالحقيقة أو حزنوا في كل حال على ما فاتهم

(1) مرسلة إلى أبي عبد الله محمد بن يوسف.

(2) سورة الحجرات، آية 10.

(3) أخرجه البخاري ج 10 ص 481 باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، ص 484 باب ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾، وأخرجه مسلم في صحيحه ج 4 ص 1985، 1986 البر والصلة باب تحريم الظن والتجسس، وباب تحريم ظلم المسلم.

(4) أبو عبد الله محمد بن يوسف.

منهم على موجب العلم ، وذلك في حالة منازلة التصبر . فكن مع الله بالرضى بما رضى لك من الأحكام ، يكن معك بالعون والفرج . وإياك والمعارضة والمناقضة فليس وراءها جفاء ، وإياك ودوام الخلوة [و 75] أن تجعله من همك أو غمك ، حتى يشهد لك العلم النافع شهادة قاطعة أنك غير مفتقر إلى أحد من الخلق في علم أو رزق ، واعلم أن الجهاد قبل الظفر ، فلا تلتفتن إلى أحوال من ظفر قبل التفاتك إلى أحوال من جاهد ، ومن الناس من خرج من بيته فمات في طريق جهاده ، قبل العمل في الجهاد فوقع أجره على الله عز وجل .

فاعرف من أنت ؟ وأين أنت ؟ ثم على ذلك فاعمل ، وارغب إلى من أنت في قبضته والخلق كلهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، قل في كل شيء كذا أراد ، ولا تكن إرادة إلا من حيث أمرك أن تريد ، ولا تؤخر توبة فإن ذلك هو الحياة . والسلام .

وكتب أيضاً رحمه الله

[إلى جملة الإخوان بقربة] ⁽¹⁾

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

اللهم! صن إخواني في أديانهم ودنياهم من الآفات.

لا ينكر بالسوط وما في معناه إلا حاكم، ولا ينكر بالتنبيه والإشارة إلا رفيق أو صديق، والستر على المسلم أولى من الإنكار الظاهر عليه، إلا من كان الإنكار عليه فرضاً من عالم أو حاكم. التحري بالعلوم في [ط 75] جملة البشرية وإذا عقل عنه الانسان ظن أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وليس من حقيقته فيما فعل إلا التحري وهو [...] ⁽²⁾ والمكانة بعزة العلم المنكر بجملته عدو كل مذهب وملة إلا ما هو له خاصة.

المكذب بأهل بيته محروم حتى خاصة القلب أن يشاهد كرامة إيمان أو حقيقة معجزة إلا في ظل السيف من وراء حجاب الكيف.

الأستاذ في علم الحقيقة إذا غاب عالم، وإذا حضر حالم. الفهم واجب بلسان الشرع على المتوجه بقدم الصدق إلى وجهة الحقيقة، ومثاله ما قال بعضهم الشكر بالإقرار للمنعمة بالنعمة، وإيثار المنعم عليها، واستعمالها بطاعة المنعم، كان هذا الكلام في الأصل فيها في مزيد الإيمان، فلما حصل في مادة النطق صورة ظهر علماً في معرض برهان. فتعلموا هذا النوع من الفهم بغاية الجد، فإن وراءه من فقه القلوب ما يوجب له الحياء من مراقبة الذنوب.

القياس مفسدة لكل علم، وكل علم فسد فإنه ظلمة حائلة بين البصيرة وبين رؤية المعلوم. كل دلالة لم يتصل بها نور اليقين فإنها دلالة، فإنها دلالة قياس أبت الحقيقة أن تجتمع في محل واحد في وقت واحد [و 76] توقيف المعمول هو برور بالعمل فإن التوقيف

(1) إضافة لأن الرسالة السابقة كانت موجهة إلى أبي عبد الله بن يوسف.

(2) كلمة مطموسة.

يكسر حدة الوقر فهو يضمه ويجمعه والمسرة تبسط السرور وتنشده .

إذا حملك اختيارك فأنت مغبون ، وإذا حملك اضطراك فأنت مجنون ، فكن كما قال مولانا ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُزْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾⁽¹⁾ الآية ، تريح آخرتك ودينك جميعاً . من ييأس يأس إنكار وتكذيب حرمة . ومن يئس يأس توقير لربه وتحقير لنفسه رزق ، ومن سلك برحاء صادق إلى ممكن من الدين أو الدنيا أدرك ما إليه سلك .

لا يصح التعلم لعلم من العمل إلا بانفتاح سمع ، ولا يفتح سمع إلا بمفتاح من صحبة السامعين بالحقيقة أو بخصوصية من الله سبحانه ، ومن توهم أن سمعه قد انفتح بنفسه فهو مغتر ، وعلامة الانفتاح الإصغاء والإقبال بالكلية عند الكتاب والسنة والسير الواضحة من سير العلماء والصالحين ، ومن فاتته ذلك فبكى عليه وحن إليه فله بحظه منه والزاهد في ذلك صاحب دعوى .

وأول كل حال ، وكل مقام ، وكل مرتبة ، وكل شيء من الحقيقة إنها هي في معالجة السمع ، وكل من لم يسمع بحقيقة سمع فليس له حقيقة فهم ، ومن ليست له من الفهم حقيقة ، فليست له في السالكين طريقة الصدق في اللسان وجملة اللسان والتفقه في المواساة والتفقه فيها .

كان المتحققون في الخير يعرفون بحقائق العلم في المروءة خاصة ، خاصة لا تنسب إلا إليهم ، ولا توجد في الوقت إلا لديهم ، ليكونوا في كرم الأخلاق أئمة للمتقين وقدوة للمتخلفين ، فحقائق أخلاق الذين كانوا يتنافسون أن تكون الزيادة في قلب كل واحد منهم أبين في كل شهر ، أو أقل إن أمكن ، أو أكثر إن تعذر منها في قلبه ، ويطالبون من صافوه في ذلك بأشد من مطالبتهم لأنفسهم من لم يفتقد قلبه وإخوانه في كل وقت حتى يصفوه له قلب أو أخ .

الإنكار خلق مذموم جعله الله علامة على أكثف الحجاب وأبعده من ذوي الألباب ، فقال في محكم الكتاب ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾⁽²⁾ . البلادة وقلة الفهم ، وقلة العقل ، وقلة الصبر ، وقلة الفقه أوصاف من

(1) سورة الأحزاب ، آية 36 .

(2) سورة النحل ، آية 22 .

لا يبالي به الحق بمبالاة العناية . فينبغي أن يتعلم في عبوديته الفهم والعقل والصبر والفقه ، وإلا فإنه في تفرقة ، ورحمة الله [و 77] واسعة .

والسلام على جملة إخواني ورحمة الله وبركاته .

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإِنَّهَا أَمَارَةٌ تَسْلِيْمِي عَلَيْكُمْ فَسَلِّمُوا

وكتب إليهم رحمه الله

(2)

إلى السادة الأعيان ، والإخوة النجباء ، أبي الحسن بن غالب ، وأبي عبد الله⁽¹⁾ وأبي خالد⁽²⁾ ، وأبي بكر بن مؤمن⁽³⁾ ، وإخوانهم أعزهم الله بتقواه .
من وليهم ومحبههم في الله تعالى أحمد بن محمد .

حال الله بيننا وبين أهوائنا بلوازم نعمائه ، وعرفنا قبل الممات بأكارم أوليائه ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الخولاني⁽⁴⁾ بإشيلية إذناً ، حدثنا أبو عمر أحمد بن محمد ، حدثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان ، حدثنا عبد الواحد بن أبي الخصيب ، حدثنا بكر بن سهل ، حدثنا عمرو بن هشام ، حدثنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سأل عني وسرّه أن ينظر إلي فليتنظر إلى أشعث شاحب مشمر لم يضع لينة على لينة ، ولا قصبة على قصبة ، رفع له علم فشمر إليه اليوم المضار وغدا السباق ، والغاية الجنة أو النار)⁽⁵⁾ . نبه النبي صلى الله

(1) أبو عبد الله بن يوسف .

(2) هو أبو خالد يزيد بن عبد الجبار المرواني القرشي الذي تتلمذ عليه عدد كبير من طلبة العلم منهم ابن العريف .

ابن الأبار : التكملة ، ج 2 ، رقم 2106 ، ص 742 مجريط 1887 .

(3) هو عتيق بن عيسى بن أحمد بن مؤمن قرطبي كان موسوماً بالفضل متعاوناً متقبضاً ، مائلاً إلى الصالحين وأهل التصوف ، وأخذ عن جماعة وافرة من شيوخ العلم في عصره ، وكتب بخطه الكثير من العلم ولد 496 هـ ومات 548 هـ .

ابن عبد الملك : م . س . سفر 5 قسم 1 ، رقم 242 ص 126 ، 127 .

(4) الذهبي : سير النبلاء ج 19 رقم 187 ص 296 .

(5) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج 1 ص 9 ، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ج 3 ص 262 في حديث طويل عن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) (حديث ضعيف) .

عليه وسلم من رأى ولياً فكأنها رآه، ومن سمع خبره فكأنها سمع خبره، وفيه تنبيه على أن إنكار [ط 77] الكرامة إنكار للمعجزة، وأن الزهد في رؤية الولي ومسامرة أخباره وآثاره كالزهد في أخبار النبي ومشاهدة أخباره - ونعوذ بالله من ذلك .

سلام عليكم أيها الإخوة ورحمة الله وبركاته .

إذا كانت هذه حال القوم وصفتهم! فكيف لا ينزل بسمع أحدنا نوازل الأوقار حرصاً على ما يذكر عنهم من الأخبار، وكيف لا تذوب كبده شوقاً إلى رؤيتهم أو حزناً على نقصان حظه من محبتهم - إنها لمصيبة ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (1).

أرغب إلى أبي الحسن (2) أن تكون حاجتي في رؤية أحد مزهد ما استطاع وليستكثر لي من المسألة والدعاء، ولكل أجل كتاب . كنت وعدت أبا خالد بشيء أغلقه فلم يتفق إلا هذا الحديث . وقع بخاطري حرص أبي خالد وأبي بكر وأبي عبد الله على فائدة الولي من العامة، من لم يزهد في حق إذا سمعه ولا أنكره ولا عارضه بقول ولا عمل . الولي من الخاصة في البداية هو الحريص عقداً وقولاً وعملاً على أخبار الأولياء وآثارهم، وفي النهاية هو الذي يفيد ويستفيد، ولا يزهد في حق ولا ينكره عقله أو لا يعارضه قولاً ولا عملاً، العمل الصالح سمو في الدرجات والعلم الصحيح سلامة من الآفات [و 78] ولا يعدل الموقف بالسلامة شيئاً .

عبد الواحد يحب إخوانه فأعلموه أني في حال عافية وصحة، وهشام أمه كذلك، ولم يردنا من أهله خبر، سافر أبو عبد الله بن سفيان إلى ناحية يعرف [بموني؟] من الغرب مني وإرادته فيما ذكر السياحة - فتح الله لنا وله في مرشد - فارقني أبو خالد على أن نكتب له بحديث أو بحكمة فليفعل .

ذكر الله جميعكم أجمل ذكر وغفر لي ولكم . والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته .

(1) سورة الشورى، آية 30 .

(2) أبو الحسن بن غالب .

وكتب أيضاً إليهم رحمه الله ورضي عنه (3)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته الجامعة بكل البركات النافعة في كل الأوقات على محمد وعلى آله الذين هم خير آل .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتابي راغب في معرفة أحوالكم ومجاريها ، وما جدد الله من الصنيع الجميل فيها ، وهل كشف الجدد لأهل الجدد ما وراء البعد من القرب والبعد؟ أو فقد ميراث الرعاية لفقدائها وارتكبت النفوس في متالف قصدها ، فلا نداؤها ولا دعاؤها إلى البر مسموع ، ولا في ندائها واستدعائها إلى الحق منقوع ، فيا قرب الأول ! ويا بعد الثاني ! ويا رحمتي لمن يبنى وهو الهادم ، ولمن يهدم وهو الباني ، وما [ط 78] محبة المشفق من كاد يتعرف ويخاف عليه أن يحتطف .

يروى بعض العارفين أن الحكايات جند من جند الله يثبت الله بها قلوب العارفين ، ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (1) . ويقال من أهمل الغاية أضاع العناية ، ومن استمد من غير مشكاته فقد الهداية .

والأنوار خمسة :

- نور البصر ويمده نور الشمس ، فهو يحى بمتابعته ، ويموت بمعارضته ومناقضته .
 - ونور العقل ويمده نور التجربة .
 - ونور القلب ويمده نور الكتاب والسنة وموافقة كافة المطيعين بالحقيقة للكتاب والسنة .
 - ونور الفطرة ويمده نور الإيمان .
 - ونور الإرادة ويمده نور حقيقة الحق .
- وأي نور منها تكلف حاملها [. . .] (2) غير ما منه يستمد إما حقد فتلف تلاف

(1) سورة هود ، آية 120 .

(2) كلمة غير واضحة .

الأبد أو ضعف ووقع . فالسلامة إن كانت في طول الأمد وفي السلوك الأنكد فلذلك لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن ضده صادق النسب في رحم الإنابة ، فإنه مع الحقيقة وحدها لا يقصد إلا قصدها ، وليس الأمر والنهي في شيء من حقيقة العلم إلا لحاكم أو عالم أو مشفق ، فإذا لم يكن حاكماً بوضع السلطان ، ولا مفتي عن إذنه ، ولا مشفق لا تحفى شفقتة ، فالأمر والنهي تكلف وتعسف من [و 79] غافل جاهل ، وغاية ما ينتهي إليه حال المريد في شرطه وما ألزمه لنفسه ومن الرفق بالكافة أو أخذه من ذلك بقسطه أن يؤدي شهادة عنده لمظلوم مقهور مغلوب ، عند تعيينها لربه ، وكونها فرضاً عليه .

ومن أوكد الأشياء صيانة الفقراء بالانتساب إليهم ، وصيانة كل الخلق عن سوء الظن بهم ، كما يروى عن الخوَّاص رحمه الله منذ ثلاثين سنة ، لو جاء الموت ما قدمت ولا أخرت ، قيل له : ففيم عملت ؟ قال : في تحبيب الفقراء إلى الخلق ، وقال بعضهم ما رأيت عدواً أعدا من صديق كان لي ، كان يمدحني عند المعارضين والمناقضين ، ولا بد في كل إنسان من شيء فيغيرهم بكشف عيوي ، وإثارة غيوي وأن يفتعلوا من ذلك ما ليس عندي وإذا كان ما عند المريد من ظاهر الصدق أو النهي أعلى عنده وفي حاله من لطف الله بالمظلومين وتوجيه الدعاء الخالص إلى رب العالمين خيف ألا تربح صفقتة ، وأن تدنو من الجانب الآخر فرقته .

فالله الله يا إخواني وأحبائي لا تكونوا ممن إذا وعظ عنف ، وإذا وعظ أنف ، وتزينوا بالرفق ، ولا تشينوا أعمالكم بالخوف ، وليقبل على خاصته وخلوته من عرف أن للأمر مرجت وأنه وقت مخصوص من الفتنة الباطنة بأتمها وزراً وأثقلها وقرأ وهي [ط 79] جهل كل من في الوقت بقدره وشغله بغير طوره ، وجربوا نصيحة المتحن قبلكم تجريب العليم الحليم ، ولا يغير أحد منكم إلا غيرة الحكيم واجعلوا نصب أعينكم أن البر هو الذي يؤذي البدن وما وضع الله سبحانه القيام في رقاب من سواكم فلا تتكلفوه ، ولئن غلبتم فلا توالوه ، فإنه لأعجز ممن عرض نفسه وإخوانه لمكروه أو محذور ويدعي أنه حبيب مسرور .

واستودع الله جميعكم استيداع محب مشفق ، والسلام المعاد على جميعكم ورحمة الله وبركاته .

رسالة كتب بها إلى

أبي الحسن سيد المالقي⁽¹⁾ حين سجن

الله وليك أبا الحسن سيد وولي إخوانك من المسلمين كافة .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى أزواجه وذريته والتابعين لهم
بإحسان إلى يوم الدين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبته في وقت ضاق عن تفسير ما تظنه النفس من تأنيس لك ، وتنفيس لك بك ،
فإن عجزني عن نفسي عرفني أي عن غيري أعجز إلا ظنونا تجوز ولكن لا تجوز، ولو
عرفت حقيقة حالي ما أنست إلى معرفتي بحالك ، فإن المشاهد بحاله تكفيه أحزانه
برعاية ما لا نجاة لي إلا برعايته لكان رسمي ورسم إخواني [و 80] في حمايته وكفايته .
ولكن سال سيل الفتنة ونحن طريقه ، وغشي ليل المحنة وفينا فريقه ، وانخسفت
الأرض ، وفيها المسيء والبريء فعمهم الله بالعدل في جاء ، ويخص خاصتهم الفضل في
يجيء حين يبعثون على نياتهم ويحاسبون بخصائص حالاتهم وإلى الله سبحانه الضراعة
ولرسوله صلوات الله وسلامه عليه الشفاعة أن يكشف الأسواء كشفاً يميت الأهواء
بكرمه وجوده ، وإني فكرت في السجن والمسجونين فإذا هم طبقات وأمم مفترقات ،
فمن قائل ﴿أَنْتَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ، قَالَ كَمْ

(1) هو عبد الله بن إبراهيم طريف مالقي الأصل ، أبو محمد المالقي ، روى عن كثير ورحل . نجح
وروى عنه وكان شيخاً صالحاً متخلقاً معيناً على المصالح ، صاحب كرامات ، إمام الصوفية
ببلده .

ابن عبد الملك : الذيل سفر 4 رقم 325 ص 178 .

ابن الزبير : صلة الصلة رقم 185 ص 92 .

لَشِئْتَ ﴿١﴾ الآية . وإنما سأل سؤالاً فوقف مائة عام ، أدباً ونكالاً ثم لما بُعث بدىء بالتوبيخ المبين ، وعرف من أين مدرك العلم واليقين ، وتلك علامة الحق سبحانه . وقال آخرون ﴿ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ﴾ (٢) ، فقبل بـ ﴿ إِنَّا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣) ، ولقد كان جفاؤهم أظهر ، فكان أمد عقابهم أقصر . وقال الصديق صلوات الله على نبينا وعليه ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (٤) وإنما قصد مباحاً فسجن في سجنه وكان قبل ذلك سراحاً . وأما يونس عليه السلام [ط 80] فـ ﴿ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ (٥) ، فسجنته القدرة في أعجب السجون فاتصل حزنه لله تعالى في الرجاء بحزنه له في البلاء فاستنقذه من ألم البحر وأذاه ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٦) ، ﴿ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧) فكان في ندائه نجاته من الغم والأنين ونجاة كافة المؤمنين .

وفي بعض سير الملوك السالفة كانوا إذا سجنوا عاقلاً قرنوا به جاهلاً وقالوا إنما السجن سجن الأرواح لا سجن الأشباح ، فلا أدري من أي الفرق أنت فأهنيك أو أعزيك ! وظني أنه لو سجن خواطرك الوزن والحزن لتبرأ منك السجن والسجان ، وقد يؤخذ الجار بجاره إذا عرف ولم ينكر كما ينبغي شؤم جواره — عصمك الله من الخفيات التي في طيها أو في غيها منكرة حق أو محق ومساعدة باطل أو مبطل ، وإيائي وكافة إخواننا المسلمين برحمته ورأفته سنن الله في بلاده تنتهي إلى العمارات والخراب ، وفي عبادة تدور على الثواب والعقاب فلا تبطل سنة الله حق بسنة حق ، فتعمل في السراب ، وإذا مضت سنة الله عنه في شيء لم تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً ، ومن عرف أن العاقبة [و 81] سر من أسرار الحق ، لم يتحكم فيها عملاً ولا قيلاً ، ومن انكشف له الصواب رآه أحسن تفسيراً وتأويلاً .

(١) سورة البقرة ، آية 259 .

(٢) سورة المائدة ، آية 24 .

(٣) سورة المائدة ، آية 26 .

(٤) سورة يوسف ، آية 42 .

(٥) سورة الصافات ، آية 140 .

(٦) سورة الصافات ، آية 143 ، 144 .

(٧) سورة الأنبياء ، آية 87 .

متحملة فلان - وفقه الله - متفرق فإذا نطق فدعه ، وإذا سكت فاسمعه وعليك
بحسن التأويل ، وتكلف ما يوافق السنة من الظن الجميل . يسر الله إن كان سجنك ،
سراحك ، وتكفل لك وإخوانك تكفل العناية بكم صلاحك بطوله .
والسلام المعاد على جميعكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب رحمه الله إلى محمد بن الكباش⁽¹⁾

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين وسلم تسليماً.
سلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته.

بلغني يا أخي أن الله سبحانه كشف لك عن عالم تهتدي بأنواره، وتقتدي بآثاره
فتحاً - يفتح الله لك بذلك من غير طلب ولا عن تعب ونصب إلا رحمة من الرحمن
الرحيم، تولاك بها عناية بمن أراد، وإنفاذاً من مشيئته لما أراد، فهنيئاً لك رؤية العلماء
بالله ولقاؤهم، أوزع الله شكر ما أنعم به عليك وعرفك الزيادة في كل دالٍ منه بعزته.

وأنت يا أخي! فلو كشف لك عن سري وعانيت ضراعتي في لقاء عالم بالله يعلمني
مما علمه الله ليكشف [ط 81] لي! فسألتك بوجه الله العظيم وبحقه الكريم ألا ما
ذكرتني عند عالمك!، فإن انتهرك بسقوطني من عيون العلماء، فلا يمنعك ذلك من
المعاودة عليه في شأني، والإلحاح في أمري فإن الصديقين قلوبهم رقيقة، وأطماعهم
بوصول رحمة الله إلى المقصرين متعلقة وإن أغلظوا في القول، ولا تدع الرغبة في حالي
حتى يصل إلي من العلماء بالله من يعلمني. عزيمة عزمتها عليك بوجه الله العظيم،
وبأخوة الإسلام والمرغوب الله على الحقيقة، هو الحق لا إله إلا هو.

والسلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته.

(1) لم أهند إلى ترجمته.

ومن رسائله إليه رحمه الله

(2)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين .
سلام عليك يا أخا الصديقين ورحمة الله وبركاته .

سألتك بالله الكريم ، وبحقه العظيم ، ألا ما ظهرت لي فعلمتني أو دلت علي عالماً يعلمني ! ضعف جسدي عن السفر عن بلدي في طلب عالم ، ولم يكن قلبي من اليقين ما يحمله ، وبلغني عن بعض الراغبين في لقاء علماء الآخرة أن الله فتح لهم في جماعة منهم وصلوا إليهم [و 82] وعلموه فأنست لذلك نفسي وتعلقت بمثله طمعي ، ومع ذلك فإني أحل عقدة الزنار بين يدي الملك الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فإن قبلني فهو أهل ذلك ، وإن ردني فأنا أهل ذلك ، وليس الحق بمتهم في برايه ، ولا في قضاياه ، ولا بمغلوب على عطاياه وهداياه .
يا أخا الصديقين ! ما أجدرك بالركة على ملهوف أدرج من حيث لا يشعر في هواه ، وكشف له بالعلامات الصادقة أنه قد فاته في الحال مولاه . ما أجدركم بالركة فلها خلقتهم ، ومن أجلها بقيتم وعبرتم سمواتك ، بالله الكريم ووجهه العظيم حقه ، ألا ما ظهرت لي فعلمتني أو دلت علي عالماً يعلمني ، أو سألت الله لي في عالم يعلمني !
اللهم ! إن الرغبة إلى أوليائك من الرغبة إليك ، والتعويل عليهم من التعويل عليك ، وأنت الحق من غير الحقيقة ، والخلق خلقك ، فافتح يا خير الفاتحين .
والسلام عليك يا أخا الصديقين ورحمة الله وبركاته .

وكتب في هذا المعنى رحمه الله

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله أكمل الصلوات وأزكاها [ط 82] وأطيبها وأسناها ، حقيقة وذكرًا ، وأرفعها في البداية والنهاية قدراً على النبي الأمي الجليل الذي يجذونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، وعلى أزواجه الطيبات الطاهرات أمهاتنا ، أمهات المؤمنين ، وعلى ذريته الأكرمين الأبرين وعلى أصحابه المنتخبين وعلى التابعين لهم

بإحسان ممن كان أو يكون، وسلم الله قبل كل شيء ومعه وبعده على المرسلين عامة، وعلى محمد الحبيب خاصة، وعلى الملائكة المقربين، والجملة الكرويين شمولاً، وعلى الأمين المكين وخاصة الثلاثة من عليين خصوصاً، وعلى نخبة فوائد المطيعين وحملة الأرضين بعناية رب العالمين، وهم فيها محمولين محملين محتملين ضنانه بهم وصيانة، والجنة من الجنة ونعم أجر العاملين.

ورد كتاب العالم الصادق أبي فلان قدس الله روحه بوصاياه الصادقة وهداياه الفائقة، فيا له من أخ في الله عم بأصناف تلاوين العلوم، فهو طاووس علمائهم، وخص بأنواع غوامض محاسن الفهوم، فهو ناموس فهمائهم صلوات الله وسلامه على كل من أباح لنا الكتاب والسنة أن يتقرب إليه. فصلوات الله عليه وسلامه سبقت [و 83] وصية الله بالتقوى كل تذكير بوصية فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (1).

ثم وردت حاجة أخي أن يكون شعاري وذهاري لا إله إلا الله محمد رسول الله فإنها كلمة شرف العابدين إلى آخر الباقيات الصالحات. وأعجب ما عندي من العجب وأجدره بحال الرغبة والرهب عبداً وجد قلباً واتخذ مع الله رباً غير الله.

يا عالمي وكيري! إن الذي دعوته بلسان الرفق والشفقة أخاك حجب على قلبه بكل حجاب، وطرد عن ربه - ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا حجة إلا الله - وراء كل باب يستغيث ولا يغاث، ويأتيه من رحمة ربه ما يوجبه الكرم، وإن لم يوجبه الإنبعاث، وهل سمعت أجراً من مختار بهواه غير ما اختار له مولاه، إن قلت لا واسطة قيل لي أعبد الله حقرت ما عظم الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ (2)، وإن قلت لا بد من واسطة! قيل لي ﴿أَعْيَزَ اللَّهُ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (3).

عاش بالغفلة قوم، ومات بها قوم، وناس حملوا التذكرة فطاحوا أو كادوا، وآخرون حملتهم التذكرة فاستراحوا [ط 83] أو ازدادوا، ولكل في سر الغيب محله من الغيب، فأغشاهم من جميل ستر الله أكثف نور وألطفه، فهم بأنفسهم من حيث لا يشعرون

(1) سورة النساء، آية 131.

(2) سورة البقرة، آية 140.

(3) سورة الأنعام، آية 164.

وعليها الوشي وأعطفه، فما بأيدي العارفين إلا الريح، ولا بأيدي المتعرفين إلا الصراخ والبريح. فأين المسلك ولا طريق؟ ومن المعونة ولا رفيق؟.

أخوك يا عالمي وكيري له دالة دواء، وبكل شيء له تداو لكن:

مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوَصَالِ أَهْلًا فَكُلُّ إِحْسَانِهِ ذُنُوبٌ

وقد أفادني كتابك الكريم علماً جماً، وأنساً لماً، ولوددت أن تلك المسائل التي سألتني عن الحكمة فيها سمعتها منك، أو كتب إليها بها عنك، فإن الذنوب للأفهام والأقدام جميعاً قيود، والحيرة سلطان من له غير الحق معبود، وعين التوحيد لا إله إلا الله، وفي بحر التوحيد ذهب العارف وأشكلت المعارف، ففي الذهب إشارة إلى ذلك المذهب في مراسم الحكمة البالغة، وفي الرسالة تفرقة الأعمال والعمال وانفضاض جموع المقامات والأحوال، فلذلك كان محمد رسول الله في لَبِنِ الفضة بالذهب الذي هو مادة التوحيد. والتوحيد مادة شرف الرسالة والنور الذي كتب في الذهب [و 84] ظاهره من نور الإخلاص، وباطنه من نور الاختصاص ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (1).

وأما الجواهر فمدامع صدق البكائين من الصالحين هي التي ألبست أعمالهم الإجهار، وأطلعت بهم النهار، وإنما ظهرت بين بر العمل وبحر العلم، فلما كان بساط قراره دار السلام، مكوناً من خالص بره مساجد أهل الاسلام لم يصلح لها من الحصباء غير تلك التي هي حقيقة الحصباء بالكمال والتمام، والعلم كله، وسائر الكل لصاحب الكل ﴿وَلَوْ أَنَّهَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ (2)، الآية. ولولا أن يعقوب رأى موضع الرجوع لما قال ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ (3)، ولموضع البلوى ظهر الحزن بما فات على السرور بما هو آت، ولولا الله ما اهتدى أحد، الله بكل شيء عليم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (4).

والسلام عليك خاصة وعلى صاحبك ثم على الطائعين من أهل السموات والأرض عامة، وحاجتي شفاعة إلى الله في نفسي أن يكون ذكراً نفعنا الله.

(1) سورة النور، آية 35.

(2) سورة لقمان، آية 27.

(3) سورة يوسف، آية 83.

(4) سورة البقرة، آية 255.

فصل من رسالة

روي عن سهل بن عبد الله⁽¹⁾ رحمه الله قال : من أُرِيَّ حقوق الخلق إليهم مشى [ط
84] على الماء قطعاً وفي كل الأوقات ، وخشيتي متزايدة في انتظار وقت يصح لي فيه فراغ
ومذاكرة إخوان لا يذكرون إلا الله ، ولا يذكرون إلا بنعم الله - لا أسلبك المولى نعماءه ،
ولا أفقدك أوليائه ، ولا إياي وإخواننا عامة .

والسلام .

(1) سبقت الترجمة له في الرسالة [رقم 4] الموجهة من ابن العريف إلى أبي عبد الله بن يوسف .

وكتب إلى الفقيه الكاتب

أبي محمد بن الحاج اللورقي⁽¹⁾ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحمد لله على نعمة الإسلام حمداً على الكمال والتمام كما ينبغي لوجه ذي الجلال والإكرام ، ثم الصلاة على سيد الأنام وآله الكرام ، صلاة فوق الأفهام والأوهام .

ورد كتابك السار البار - نفعتك الله به وجعله نوراً بين يديك تجده يوم لا يكون إلا صالح العمل حبیباً لك ، وإني أحمد الله إلى من سمع حمد من فرق بعد ما جمع ، وأبعد بعد ما أسعد ، وما عسى أن يصنع العبد قيد في رأيه فاستأثر سيده بقوى أربه ، وإن أحاك لأقل حقيقة من أن يستندر ، أو يجني فيعتذر ، أو يرضى فيعذر . فإن كنت ممن ترضيه المحامد جاءت [و 85] فراق العدم ، ومحل الندم .

فيا فرصتي لسموك ونموك ، وبيا لله من النكايات لك في عدوك ومع ذلك يا أخي فإن التقوى عند الغافل كلام ، وعند العاقل ذمام . ومن لم تشهد له الحقيقة خاب ، ومن

(1) هو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافري ، أبو محمد بن الحاج ذو الوزارتين من أهل لورقة وسكن مرسية ، برع في الأدب وكانت بضاعته وصناعته ، واستدعي في سنة 528 هـ للكتابة بحضرة مراکش فنهض إليها وانتفض بها حمل ثم استعفى فأعفى وانصرف إلى مرسية هاجرا خدمة الأمراء ومواصلاً صحبة الفقراء زاهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة وجعل يؤذن في مسجده . ولما اختلت دولة المرابطين بقرطبة ولاه أهل مرسية أمرهم فدعا لابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة أياماً من شهري رمضان وشوال من 539 هـ التي كثر بها الثوار .
ابن الأبار: المعجم ، رقم 214 ص 233 وانظر عن ثورة المريدين كتابنا الأندلس في نهاية المرابطين .

نالها غاب، ومن انصرف صرف، ومن تعرف عرف، ومن لم يميز شأنه وزمانه ملك الباطل عنانه ومن لم يكن الكلب خيراً منه عند نفسه، فهو خير منه في الحقيقة، واستغن بالله فإنه لا يبقى أحد سواه.

والسلام المعاد عليك وعلى قرة عيني بنيك وإخوانك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه أيضاً وإلى

إخوانه رضي الله عنهم وعنا برحمته

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم وشرف وكرم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية من عند الله مباركة طيبة.

لَوْ طَالَ رِيشُ جَنَاحِي وَحَـ____انَ وَقْتُ سَرَاجِي
لَكُنَّا لِي فِي التَّلَاقِي بِكُمْ أَبْـ____رُ افْتِرَاحِي

بلغني أعزكم الله بطاعته ما أنتم عليه من ارتياد بركات الخلوة والاعتداد للسلوة عن [ط 85] دار الجفوة. فأمدكم الله بمعونته، وأيدكم بمواهبه، وفتح لكم قلوبكم، فأراكم ما لديه، وعرفكم فرقان ما هو منكم وما هو منه، وكشف الغطاء عن أسماعكم، حتى تسمعوا بها كتابه الناطق ورسوله الصادق، وغسلكم بالبرد والثلج والماء البارد من النفوس التي هي أعصى شيء لمن سعى في فكاكها، وأطوعه لمن أسرع في هلاكها وإن الله تعالى ذكر الإنسان بالخسر واستثنى للربح قوماً ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾⁽¹⁾، جعلنا الله وإياكم منهم، وثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا في القبول عنهم.

أما بعد، فإن العامل في غير نظام عابد وهم، شاعر بحاله وإن يكن شاعراً بمقاله، ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾⁽²⁾. وأما العامل في نظام الحيلة فقدّر في النحلة يهودي الملة، شيطان

(1) سورة العصر، آية 3.

(2) سورة الشعراء، آية 224، 225، 226.

الجلبة، والشيطان عدو لله وملائكته وكتبه ورسله يفرق أحكامها، ويفارق أعلامها، واليهود مغضوب عليهم مضروب بالذلة والمسكنة ما صار من الأشياء إليهم.

والقنري [و 86] مردود إلى قدرته بدعواه ومحجوج بفريته على مولاه والنعت الأول نعت الشهود، والنعت الثاني نعت [الغضوب؟] ومن اللبيب محاذرة الطريقين، ومجانبة الفريقين، ومن أثر شيئاً مما يبقى على كل شيء مما بقي، فهناك سلك، نجا أو هلك، والله من خلقه عبيد اختصهم برحمته واصطفاهم لخدمته، عبده على نظام الحلم والعلم وهو نظام الإيمان فطوبى لهم وحذا العيش معهم ألباء، أطباء، أحياء لا تلقى منهم أحداً إلا ذكرك بالله علمه وعمله، وبعثك على الرعاية حاله وأمله.

والناس ثلاثة: فمنهم الذي ينبه كيف إذا توجه صدق بتوجه صفة المريد الموصول الإيمان بفضيلة المزيد.

ومنهم المحمول من المحبوب، وقد قصد لما سواه وهم بما عداه صفة المراد ومن سبقت له سابقة الوفاق والإسعاد.

ومنهم المتحن سر الله في خليقته، والمستور بحاله عن حقيقته، ذاق من طعم التوبة ما عرف به مساوىء الدنيا، ومرض عنها عقداً، ولم يكن معه من الصبر واليقين ما يبلغ به سلوكاً وقصداً، فهو عند الجاهل ممقوت والعاقل في شأنه بهوت، قل معينه وطار بلبه ظنه [ط 86] في نفسه وتحمينه.

فكن بهؤلاء الثلاثة صبا، فإن الرحمة لا محالة تصب عليهم صبا، وإنما ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾⁽¹⁾ إذا اتصلت علانيتك بعلايتهم، ونجواك بنجواهم، فلا يكن همك شيء سواهم، فإن ينابيع الحكمة تجري من قلوبهم على ألسنتهم وأنه لا رأي لمستبد ولا رعاية، ولا أمن لمستعد حتى يبلغ الغاية.

ولو أن المسلم يسلم بنفسه أو يقوى ما أمر بالمعونة في البر والتقوى، ومن أيقن بالآيات وصبر فيما بين المبادئ والغايات، رفعت له الأعلام وارتفع في مراتب الإسلام قال الله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾⁽²⁾.

(1) سورة البقرة، آية 273.

(2) سورة السجدة، آية 24.

قلت لأحدهم : أين أنت؟

قال : في التفصيل .

قلت : فيلى أين انتهى بك .

قال : فناء الأشياء وبقاء من به الأشياء . قال الله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (1) .

وقلت لآخر : أين أنت؟

قال : في أول أحوال الموت ، يعني موت النفس .

قلت : وما علمك بذلك؟

قال : فنيت عن الأشياء من جهة الأخذ والعطاء فإنه لا يأخذ إلا قادر، ولا يعطي إلا مالك، والعبد عاجز فقير. قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (2) .

والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته .

(1) سورة الرحمن ، آية 26، 27 .

(2) سورة فاطر، آية 15 .

[و 87] وكتب رحمه الله إلى

أبي علي منصور المبتلي⁽¹⁾ بقرطبة جبرها الله

الله ولي أخي في الله تعالى أبي علي منصور وحافظه .

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يا أخي عفا الله عنا وعافاك ، وغفر لنا ورحمنا أحياء وأموات رحمة ترفع غضبه ومكره ، وتوجب رضاه وبره ، وتكون لنا عصمة في حالتنا الغفلة واليقظة ، وصلة منه لدينا ، تستر من وراءنا من الحفظة ، وعمم إخواننا المسلمين بجميل اللطف وجزيل العطف برأفته ومنتته .

ورد كتابك ، وعرفت محبتك ، وحققت مودتك ، بما نقل إلي موصل كتابك من حسن بلاء الله لديك ، وصفاء حنانه عليك . وسأحدثك حديثاً أرجو بركة وصوله إليك : كان بالغرب عمره الله بالإسلام رجل يدعى أبا الخيار⁽²⁾ رحمه الله ونفعنا بذكره أصله صقلية وموطنه بغداد ، وجاوز سنه التسعين وهو في الرق ، لم يعتقه مولاه وذلك عن قصد منه واختيار ، وعمم جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة [ط 87] قال لي الذي حدثني رأيته يصلي على الماء . قال : ثم لقيت بعده محمد الأستجي⁽³⁾ فإذا هو أبرص ، فقلت له يا سيدي كأن الله سبحانه لم يجد للبلاء محلاً من

(1) لم أهند إلى ترجمته .

(2) لم أهند إلى ترجمته .

(3) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الحميدي قرطبي استجى الأصل أبو محمد ، سكن مالقة وكان مقرئاً مجوداً فاضلاً صالحاً عفيفاً ديناً محدثاً واسع الرواية ، ولي الخطابة والصلاة بجامع مالقة إلى أن توفي 577 .

ابن عبد الملك : م . س ، سفر 6 ، ص 100 ص 51 ، 52 .

أعدائه حتى أنزله بكم ، وأنتم خاصة أوليائه ، فقال : اسكت لا تقل كذلك إنه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله شيئاً أشرف ولا أقرب إليه من البلاء ، فسألناه إياه ، كيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد ، وإمام الأولياء والأوتاد في غار بأرض طرسوس وجباله لحمه يتناثر وجسده يسيل قيحاً وصديداً ، وقد أحاط به الذباب والدود والنمل ؟ فإذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما أعطاه من الرحمة ، وأسكن جسده من العافية ، حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة الليل حتى يطلع الفجر ؟ فأولئك بكرم الله وجوده يا منصور إخوانك في دار الصدق ، ونحن خدمتكم ، إن فزنا بشيء من رضى الحق .

والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته .

رسالة كتب بها إلى

الأستاذ أبي خالد بن عبد الجبار القرشي⁽¹⁾ رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى أزواجه وذريته [و 88]
وصحابه .

سلام عليكم يا أخي وسيدي ورحمة الله وبركاته . وأسأل الله الذي لا إله إلا هو أن
يشرح بأنوار الهداية صدرك ، ويرفع في أعلام الديانة قدرك ، وأن يجعلك من أئمة
المنتقين ، ويكتبك في أول زمرة الفائزين السابقين إنه الواسع الرحمة للعالمين .

ورد كتابك بعافيتك وسلامتك ، نفعتك الله بهما وأوزعك شكرهما . وقبل وروده بأيام
ضاق صدري حتى هممت بالخروج إليكم ، فأكون عندكم في مدة الصيف ثم أنصرف
إن كانت حياة ، وسبب ضيق صدري ، ترادف همي بحالي وأنها لا تزال في نقصان ،
وتوهمت أن ذلك بسبب قعودي للصبيان ، وكثرة رؤيتي لمن عرفني قديماً وعرفته ، ثم
تحققت إشفاق والدتي - رحم الله ضعفها ومشواها - لسفري ، فأمسكت . وحتى الآن لا
أدري ما يتفق لي من ذلك فيما بقي من هذا الصيف ، فإن النية لم تفتر كل الفتور ،
وجعل الله لنا الخيرة في كل ما قصدناه من عمل عملناه ، أو ترك تركناه بمنه .

أَبَتْ وَحَشْتِي اتَّصَالاً وَشِدَّةً لِبَيْنِكُمُ وَالْبَيْنُ يَكْدَحُ فِي الصَّدْرِ
وَكَادَ فُؤَادِي أَنْ يَطِيرَ بِجُمْلَةٍ إِلَيْكُمُ وَلَكِنْ لَا خِيَارَ مَعَ الْقَسْرِ
سُقَيْتُمْ بِمَاءِ الصَّدْقِ مِنْ مَشْرَبِ الْعُلَا وَمُتَّعْتُمْ بِالْأَنْسِ فِي كَنْفِ الْبَرِّ
[ط 88] لَعَلَّ امْرَأَ فَاتِهِ رَاحَةَ قَلْبِهِ إِذَا نَالَهَا أَحْبَابَهُ سِرَّ بِالْأَمْرِ

(1) سبقت الترجمة له في الرسالة الثانية لابن العريف الموجهة إلى جماعة قرطبة ، وقد روى عنه ابن
العريف .

ابن بشكوال : الصلة ، رقم 176 ص 83 .

ابن الأبار : المعجم رقم 14 ص 18 .

وإنما أسأل الله أن يحوطك بكل الجهات في المحيا والممات ، وأن يعلي شأنك في الصالحين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله وسلامه على محمد خاتم النبيين ، والسلام عليك أخي وسيدي ، وعلى كل من يجالسك أو يحبك ورحمة الله وبركاته .

وسرني كل ما ضمته كتابك ، نفع الله الجميع بعونه وقدرته . عرفت إن شاء الله فالزم ، ولكن لا بد من رؤية عالم وصحبته ، دل عليه الكتاب والسنة والقدرة ، وأوجه البرهان والحكمة . وإنما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله وسنة رسوله في الصدور لا في الصحف ، حتى كان العلماء يسمون صاحب علم الصحف صحفياً يعيونه به .

نفعت الله بالجد ، وكتبك في أهله ، وجعل القلوب التي عمها رضوانه تحرص عليك وتشتاق إليك بمنه .

وكتب إلى الفقيه

أبي بكر عياش⁽¹⁾ رحمه الله ورضي عنه

الله ولي أبي بكر وحافظه :

من وليك في الله تعالى أحمد من محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم [و 89] وعلى آله وسلم .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقفت على كتابك - نور الله قلبك - وكشف بسلطان الفهم عنه كربك وإن الله سبحانه لا يسأل عما يفعل ، جعل العبد في هذه الدار في موضع الاضطرار ، في محل الاختيار ، وبلاه بالخير والشر فتنه ، ولقيام حجة الاختيار ، وقد انتهى إليك من ذكرى ما جملة ستر الله عز وجل ورداء عافيته ، ولو كشف وعرف لمحق وأتلف ، فله الحمد على نعمه المسبلة وعوافيه المكملة ، وعليه التكلان في إجابة الضعفاء المضطرين ، ورحمة الله للفقراء المغترين ، فإنه ولي من لا ولي له ، بعزیز سلطانه ، وواسع إحسانه لا رب غيره ولا خير إلا خيره .

ويا أخي - بأخوة قديم الاسلام وجديد الزمام - كان عندنا رجل من الجند جديد العزة ، شديد الغيرة ، إذا أخذ أهله بأداب الإسلام ، أطال الشوط ووضع السيف

(1) هو عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي سكن قرطبة وأصله من يابرة يكنى أبا بكر كان معتنياً بالقرآن الكريم وتجويد حروفه حسن الصوت به ، متقناً أدائه ، ضابطاً له ، أكتبه بقرطبة زماناً طويلاً وأقرأه أيضاً بجامعة الأعظم ، فتخرج على يده جمهور نبهائها ، وكان يؤم بمسجد أم هشام ويدرس به النحو واللغة ، ويجلس يوماً في كل جمعة يعظ فيه الناس ، وكان صالحاً زاهداً متصوناً توفي 540 هـ .

ابن الزبير : م . س . رقم 309 ص 157 ، ابن عبد الملك : م . س . سفر 5 قسم 2 رقم 883 ص 486 .

والسوط، وغفل عن قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا)⁽¹⁾ فأوجب ذلك نفاراً وعن الحق إدباراً، وصير المناكرة قراراً، ولا بد في كل شيء خالف السنة من ذلك، فاتفق له مرض ألزمه الفراش وأحوجه إلى أهله [ط 89] حاجة الضرورة، فظهر له من شفقتها ورفقها ما حركه إلى التوبة فيما ضيع من حقها. وقيل له: أين العزة والغيرة؟ فقال: يلبس لكل حالة لبوسها، فنفعه الله بعقله، وبما ظهر من رفقته، وجعل شغله في نفسه دونها، وكان له عمل صالح من صلاة ودعاء، فزال تنكد المرأة به، وتفرغت للنظر إلى أعماله، فنفعه الله بذلك، فكنه فإنه دواء لا بد منه.

والسلام على ولي ورحمة الله وبركاته.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ج 1 ص 1163 العلم، وفي ج 10 ص 524 الأدب، وأخرجه مسلم في صحيحه ج 3 ص 1359 في الجهاد.

وكتب إلى الفقيه

أبي محمد عبد الغفور⁽¹⁾ رحمهم الله

الله ولي الصديق أبي محمد عبد الغفور وحافظه .

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وأزواجه وذريته وسلم تسليماً .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبته عن حال عافية في النفس والأهل — والحمد لله رب العالمين — ومستطلعاً من حالك في ذلك وجميع من لديك من العيال والذرية والأخوة — أقر الله عينك بهم برحمته .

يا قرّة عيني والله ، ومسرة قلبي ، وإن كنت لا أعرف أو أعرف ، ولا أحسن أن أقوم بواجب ذلك كما ينبغي — نفعنا الله بالإسلام ، وكتبنا في أهل الكمال من جملته [و 90] والتمام بعزته ، يعجبني في خاصتي وفيمن أحبه أن يبكي العبد خالياً حيث لا يطلع عليه إلا الله وحده لما يرى في نفسه من التقصير ويعرف عندها من العيب الكبير ، فيشتغل بحاله عن سواه ، ويولي الإنكار على كافة الخلق من تقلده من الحكام وغيره وتولاه ، وله — إن شاء الله — في سعة العلم أن يعمل بذلك ويراه ، ويقال أن إنكار الإنسان بحاله دون مقاله لكبار كبار الصديقين ، وبحاله ومقاله جميعاً لمن دونه من

(1) هو عبد الغفور بن إسماعيل بن خلف السكوني من أهل لبلة يكنى أبا محمد ، روى عن أبي الحكم ابن برجان وأبي العباس بن العريف ورحل إليهما مراراً ولأزمهما ، وكان من أهل الكرامات وإجابة الدعاء . وكان ذا يسار ينفق في سبيل الله على أهله وسائر الفقراء والضعفاء وتوفي ببلاد المشرق بعد أداء الفريضة ، وكانت رحلته إلى المشرق في حدود 540 عند ابتداء فتنة المريدين والفقهاء بالأندلس إذ خرج فاراً منها .

ابن الزبير : م . س ، رقم 52 ص 37 ، 38 انظر كتابنا الأنندلس في نهاية المرابطين عن ثورة المريدين والفقهاء .

المتقين، وبالمقال الصادق الذي اجتمعت فيه الأركان الأربعة: العلم الكافي، والرفق الوافي، والعدل الصافي والورع الشافي بفقهاء الصالحين، وإن لم يكن فريضة عين علينا، أن نكون هؤلاء فمن الفضيلة لنا أن لا ننكر حتى نشبه بأعمالهم، ونقارب، ولو بعض المقاربة في أحوالهم، والكمال في الجملة مندوب في الشرع إليه، محروس في كرم الهمم عليه.

فأما الإنكار في العلانية على الحكام فإنه من فساد سر المنكر وإعلام ركوبه للحرام أو الكراهية، والمختار عند العلماء باتفاق منهم الإمساك عما في إنكاره إياه منكر آخر مساوياً أو أشد، وهذا كله يكلمك به أخوك تكليم المذكر لا تكليم [ط 90] المبصر. فليكن من بالك على بركة الله سبحانه.

وإخوانك ما أجل بهم أن يعرفوا لك حقاً: بالسن والعلم والإسلام السابق، وما أجل بك إن قصرُوا أن تودهم بالرفق بهم، والاحسان إليهم تألفاً وتأليفاً، ودفعاً بالتي هي أحسن طلباً للأفضل عند الله سبحانه، وتيسيراً لسلوك الطريق إليه على الضعفاء، وذلك بنص الكتاب كما علمت أفضل من اتفاق ملء الأرض ذهباً في سبيل الله عز وجل.

أغلب ظني أن الذي ورد في كتاب أبي الحسن خليل⁽¹⁾ الإشارة إلى معرفة الفقهاء من غيرهم، وقد كتبت في ذلك - نفعك الله، ونفع أبا الحسن خليلاً وأقامكما في العلم بأنفعه مقاماً جليلاً، وجعلكما حجة من حججه في أرضه ودليلاً بكرمه.

والسلام عليكما وعلى من يحبكما ورحمة الله وبركاته.

(1) هو خليل بن إسماعيل بن خلف بن عبد الله السكوني أخو صاحب الرسالة ويكنى أبا محمد وأبا الحسن، أخذ القراءات ببلده لبلة عن أبي الحسن بن أيوب السليحي، وبإشيلية عن أبي العباس بن مسلم الدقاق، وأخذ العربية والأدب عن أبي عبد الله بن أبي العافية ورحل إلى قرطبة فأخذ عن أبي القاسم بن النخاس وسمع من أبي محمد بن عتاب وابن مغيث - كان فقيهاً مشاوراً في الأحكام، وولي الصلاة والخطبة ببلده. ابن الأبار: التكملة، ج 1 رقم 840 ص 310.

وكتب إلى الفقيه

أبي الحسن عامر بن الحسن⁽¹⁾ رضي الله عنهما

بعد البسملة وما في معناها :

أما سؤالك عما تقرؤه، فإنه ينبغي أن تعرف أن طريق الحق في الديانة لا يسلكها الواحد إلا وهو شيطان، وطريقه طريق باطل، ولم أجد في شيء أن العبد يتوجه [و 91] إلى الطريق وحده، فيسلكها وحده، فيبلغ الغاية وحده، والعلم يخالف هذا أيضاً، ويستبعده. فلا بد من مسموع منه مسؤول عن موضع القدوة في مسائل الظاهر، ومسائل الحقائق جميعاً، والمسموع منه إما عالم! ولست أعرفه فأدلك عليه، وإما صاحب! وهذا يوجد وإن قل، ولك إخوان لا شك عندي في شفقتهم، ورحمتهم، وإرادتهم الخير لأنفسهم وإخوانهم.

فاجعل من اتفق منهم وحضر مرآتك فانظر فيه وجهك، ووجه عملك، فربما فتح الله سبحانه لك من حيث لا تحتسب، واعلم أنه لا أعوان لك من إرادتك على إرادتك، أن تلقى الله سبحانه خاملاً غير مذكور، راعياً في صلاح نفسك وصلاح كافة المسلمين، مقبلاً على خاصتك، واقفاً من العلم عند المشهور والمنصور، معرضاً عن الشذوذ والرأي المبهور، وعليك من العلم بما يوجب عملاً صالحاً، ويصير خلقاً حميداً، ويحقق التقوى في أول أحواله، ونهاياتها. فإذا كتبت وقرأت كتاب يمن بن رزق⁽²⁾ أو ما في معناه، وعكفت عليه وتفهمته فيه مع إخوانك واستعنت بالله على كل حال رجوت

(1) هو عامر بن محمد الأنصاري من أهل طليطلة ومسكنه قرطبة ويكنى أبا الحسن، كان من أهل العلم والعمل توفي بقرطبة 540 هـ.

ابن الزبير: م. س، رقم 302 ص 153، ابن الأثير: التكملة رقم 2429 (كوديرا).

(2) كتاب الزهد: ويمن بن رزق يكنى أبا بكر من أهل تطيلة وأصله من قرية قريبها وهو من زهاد الأندلس القرن الثالث. ابن القرضي: تاريخ علماء الأندلس رقم 1613 ص 198.

لك من عون الله سبحانه ما يبلغك ويوجب لك .
ولا حول ولا قوة [ط 91] إلا بالله العلي العظيم .

وكتب إليه أيضاً

(2)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً .

اللهم ! نعصيك بالحقائق لما عندنا من غلبة الدنيا علينا ، وملكة الأهواء لنا ، وزهدنا في رياضة النفوس على أسباب التوبة ، ثم على اختلافنا ورسوخنا في الراحة التي فيها كل شيء ، منا جند لنا وعصبة معنا ، وعندنا من الطاعة رسوم لا ندري لها ثبات إذا جاءها الموت ، وفاجأها الفوت ، أم يزعرزعها من الحق ما نفرت عنه ، ومن ضعفها ما قنعت به وسيئته ، فينقصم الأمل وتنادى يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل . الذنوب عندنا وطنات ، والندم خطرات ، ولم يمنعنا ذلك من قيام حجتك علينا في مقدار ما عندنا من عقل نظري ، وفهم أولي ، فكن قيام حجتك على العبد ممتزج بما له من الحقيقة والجد ، فإنه بنفسه على نفسه بصيرة ، وبذاته حامل شهود على ذاته ، وحجج منيرة وليس في ظلمة المعاصي ما ينطفئ به نور حجتك انقضاء يقوم به العذر وينجو بحصوله المغتر . وما أعجب شأن الحق في كل شيء عامة ، وفي نور بيانه خاصة ، فإن نور [و 92] البيان إذا وصل إلى العبد كان حجة عليه ، وإذا اتصل به كان حجة له والعقل موضع وصوله ، والقلب محل اتصاله .

اللهم ! إن كان كرمك يسعني وليس عندي إلا عقل يصف ، ولسان يعترف ، ومن ورائها نفس عاتية ، وقلب من القلوب القاسية ، فإنك للوجود الأعلى أهل وإن أبى عدلك إلا مطالبة كلاً بكُل ، والمناقشة فيما دق وجل ، فقد انقطع دابر من ظلم نفسه ، وماكر يقينه وخصه ، وكان الحمد بكماله وتماه لله رب العالمين وبدء الأمر ومآله ، نعوذ بك اللهم من سوء المقام ، ونسألك العصمة التامة من موجبات الغضب والانتقام .

اللهم ! اجعلنا في هذه الدار أتباعاً لحجتك وجنداً لسلطان بيناتك ، ومهلكك في دم نفوسنا بما فيها من حملان الذموم ورحمة القلوب بما لها من التعطيل من ذكرك ،

وسلمنا من الشك في حكمك ، والخيرة في تناهي حلمك ، فوعزتك إن مس النار لهين
عن الإعراض عنك والرضى عن الجهل بالحظ الزهيد منك ، وهو الحرث العاجل
المستغني به عما لديك .

اللهم ! كن حجتنا في وجوب العصمة من مخالفة ما يرضيك ، وكن [ط 92]
وسيلتنا إليك في توفيقنا لما تحبه منا ، وتحبه لنا ، ونق أسرارنا وما بعدها من كليتنا
وجزئياتنا بالماء والبرد ، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ولا تجعل لنا ما دمنا حظاً في
مخالفتك ، ثم ضعنا حيث شئت من ملكك ، فإنك لطيف كريم والخلاف عليك مني
عظيم ، الله يعلم أنك عامر أمنيته يا عامر ، وإذا سكت فإني لك بالمودعة ذاكر .

وكتب إليه أيضاً

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلوات الله وسلامه على محمد رسوله الأمين في الأولين
والآخرين ، وعلى كافة النبيين والمرسلين ، وعلى آل محمد الطيبين الأطهرين ، وعلى كل
عبد صالح في السموات والأرضين من الماضين والغابرين والكائنين إلى يوم الدين .

الحمد لله بجميع محامده التي يرضى بها لنفسه ، شكراً وثناءً ويرضى بها عن عبده
فضلاً وعطاءً ، وتنتشر لها بركاته أرضاً وسماً ، ولا تدع في القلوب ولا عليها ظلمة وغطاءً
على جميع نعمه ظاهرة وباطنة ، مما عرف الخلق أو استأثر بعلمه الحق ، أصابتنا أو
أخطأتنا تصرفاً باللسان تنقاد به الجوارح انقياد [و 93] المسالم الموافق ولو قدرت لا نقذت
معه انقياد العالم العارف ، ولعمر الله أن الحق لثقل ، ومن حقه ألا يتصف بحمله إلا
جوهر صقيل ، ولكن خف من يحمل الأمانات على اللهوات ما ثقل على أهل الأرض
والسموات بفرار اللب وإظلام القلب ، فإن الناطق بشهواته وجهالاته نطق بما لا وزن له
في الكتاب الموزون ، ولا موازنة بينه وبين أنوار الخاصة في السر المخزون ، وإنما رجح
ميزان من صلح بسكينة الإخلاص وحقيقة الاختصاص لسانه ، فإن من الله سبحانه
بالتجاوز في دار القرار على أهل الغفلة الشنيعة والاعتزاز منها سببه اتساع أحكام
الاستهانة والاحتقار ، كما وقع هنا للملوك الموسومين برسم الكبار في عيون ذوي الأخطار

من الجانين والأقدار، فلنا من الرجاء حظ ووراءنا من الرحمة لحظ، وإن سبق العدل فينا الفضل.

فيا ويلنا على ما فرطنا في جنب الله، ونعوذ بالله من التوجه إلى خفي مكره، والتخلف عن جلي أمره، وإياه نسأل أن يجعلنا في أكثف منزله، وأن يجعل انقطاع وسائلنا منه [ط 93] بانقطاع الجد منا، والاجتهاد في حقه وسيلة إليه يوم الوقوف عليه بما في ذلك الانقطاع من ضرورة الإبداع وفقر الإدقاع، وأن لا يجرمنا في فوت الحق لنا ومنا، وهو أعظم المصائب وأكبر النوائب، أجر المصائب والنجاة من سوء العقاب.

وكيف يتوجه إلى الرب سبحانه بالغربة والرهبة من ليس فيه منه راغب ولا راهب؟ ومن هو بحقيقة إقباله على الصدق عنه ذاهب؟ بل كيف لا يتوجه إلى الله سبحانه من عرف أنه ليس له منه بد، ولا ما دون مواهبه وعطاياه حجاب ولا سد، ولا كالجهد في انتظار الفرج من عند الله جهد بركة كل شيء لها عون وجند. ما أشبه علم المتخير بجهل المتحير، وأقرب حال الصادق بصدق لا يتحقق شواهد، في كليات حقائقه وإعلامه من حال الكاذب الذي يد التهلكة حكمه وزمامه.

اللهم! تب علينا توبتك التي فيها سبوغ ثوب الإيمان، وبلوغ صوب الأمان، واغفر لنا مغفرتك التي معها وبعدها على الأبد، صبر مذاق العيش ومحو أخلاق الطيش، وهب لنا من سعة كرمك أكرم استئناف وأحقه يوم [و 94] قيام الخلق بكل خير واف، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وكريمهما.

أما بعد. يا أخي ومن أكرمه الله بطاعته إكرام أبدي، لا إكرام أمد، وعصمه من مخالفته، عصمة كمال لاعصمة زوال، ولا أخلاقي وجميع المسلمين من بركة أحواله وأعماله، فإني وقفت على خطاباتك جميعاً وقوف مشغول بديناه، ولا حظ له منها، يقوم ويقع، ويريد فيمنع فإن كان فيها حضر كفاية فلله الحمد من قبل ومن بعد، اختيار الحق وإن كان تقصيراً فبحق، فإن من خلط فارق المستولي فأفطر وعلى اختيار الحق يجري المقدور ﴿وَالِلّٰهِ تَرْجُعُ الْأُمُورُ﴾⁽¹⁾، بلغك الله مبالغ الخاصة من أوليائه،

(1) سورة البقرة، آية 210، آل عمران، آية 109، الأنفال، آية 44، الحج، آية 76، وسورة فاطر، آية 4، الحديد، آية 5.

وجعلك معرفة خالصة في أهل سمائه ولا أعدمك مزيداً بعد الكمال بفضلته وآلائه
برحمته الزكية وفضل نعمائه .

وكتب إليه أيضاً

(4)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقفت أكرمك الله بمزيد الإيمان وفيض العصمة عليك في حالتي المخافة والأمان
على الورقة التي فيها [ط 94] رؤياك للشيخ وما فيها، ولا والله يا أخي ما كذبك الملك
وإن حسن ظنك بالتأويل، ولقد رآه على مثل حالك من إخوانك وإخوانه جماعة
بمرائي عدة تأويلها كلها أن صاحبكم في رذائله ملتف، ولكأس أهوائه مستف، ساقط
الهمة في التراب، متعلق الذمة بآيات الخراب، إلا مع البطالين في إقامة الدنيا، ولا مع
المجدين في التوجه إلى الأخرى، إلا أنه زيادة في شؤمه ولؤمه، موصول المعرفة منه لقدره
بهمومه، وذلك هو الدمع الذي رأيت، مرت في السراب، وضاعت في التراب كما
رأيت .

ولكن أتم لأجرك أن تحسن الظن بمن لا حسنة له، إذا قام ظنك بجماله فيمن له
الحسنات، ولقد قلت لإخواني وإخوانك أمس، الخلق كلهم على سالم وأنا الشقي
بنفسي وحدي، أما من ذمني وجفاني فسالم بصدقه، وإني من الشوق فوق ما قل، وأما
من يسرني ومدحني فسالم بحسن نيته، وأما خاصتي فيما بيني وبين الحق، فأسأل الله أن
يصلحها بكرمه ابتداءً وتطويلاً إن لم يصلحها بمقدار ضراعتي عقوبة ومذلة .

وذلك الرجل المشار إليه، بيني وبينه حرمة الجوار، وكان بين سلفي وسلفه [و 95]
ما هو أوكد من ذلك، ولا أدري ما علمه بذلك وبخبره، فقد كانا يلتقيان، وأنا شاهد
فلا يفترقان حتى يبيكان، تألفاً وتودداً، أو تذكراً لأمر سلفت هما كانا أولى برعايتهما
والوفاء لهما عن بعدهما رحمهما الله، وأما ما ذكر أني اليوم شيء غير مذكور فصدق، وهذا

حد حقيقتي ، وأما الظاهر فكما قيل : «إذا حضر هابوه ، وإذا غاب عابوه» ولو كنت في الظاهر والباطن كما زعم لم يكن على ظهرها أنعم مني ، والله بغيبه أعلم .

والسلام عليك أضعاف ما هو بوهمك في السلام علي مضاعفة وأسنى فائدة وملاطفة ، ومعاده عليك وعلى كافة من نطق بالحق على حال من الصدق ورحمة الله وبركاته .

(5)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقفت على كتابك الكريم وبرك - نفعلك الله ، ولا ناقش فيه من كتبته إليه بعفوه وفضله - قبل كتابي هذا لسواد ليلة أو نحوها ، صلى معي صلاة العصر إنسان ، فأخبرني وصدقته ، ظناً أنه كان قديماً يدعو في بعض [ط 95] هذه الليالي الخالية ، وأخذ من نفسه وأحيل بينه وبين سلطان حرسه فإذا هو بين رجال هم أهل سكينه وجمال ، قال : فوجدت كأن الجبال الشاخنة وضعت على منكبي رزانة ، فوهمت وسكت .

فقل لي : عليك بالرفق والتؤدة ، ولا يحملنك حبك على الخير أكثر مما تطيقه أعضاؤك وتحمله قدرتك ، فإن ذلك أولى بك وأتم في إرادتك ، وأقوى للخير عندك ، وما عسى أن يصنع بدعائك فيما تعجز عنه طاقتك .

قال : ثم استيقظت ووقع الرفق في سري .

قلت : وكان بعض إخواني يقول لي لا تعجز ولا تيأس ، وعليك بالدوام على أقل القليل ، فإن الأشياء تترادف على القلوب ، وشر السير الحقة التي هي تناهي العمل والدؤب ، ولا بد من الفترة ليستفاد علمها وأدبها ، ويرى حنين الممتحن إلى من فارق بها .

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته .

صدر من رسالة كتب بها إليه رحمه الله ورضي عنه

(6)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله عدد خلقه وزنة [و 96] عرشه ورضي نفسه، ومداد كلماته، وسبحان الله كذلك، والله أكبر كذلك، ولا إله إلا الله كذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله كذلك، وصلوات الله وسلامه كذلك على لباب ألباء وسيد الأحياء من الكون لتام الصفاء محمد خاتم الأنبياء وكعبة الأرض والسماء، وعلى سائر النبيين والمرسلين الخيرة الرفقاء، وعلى كافة عصاة الحق والذكاء، وعلينا بفضل ما عنده من الكرم والجود والعطاء، وسلم تسليماً، وزادهم تشریفاً وتكريماً.

فصل من رسالة كتب بها إليه

(7)

من فارق خلقاً لا يرضاه العلم، وخليقة لم يسكنها الحلم، تمهد له من طريقه ما يقربه إلى موضع راحته وتحقيقه، ولا راحة للمريد إلا فقد الراحة بدوام رقيب من الذكر يرفعه إذا زل، ويفزعه إذا أدل، وأكثر الخلق يرى أنه لو حصل ولياً لله حصل ملكاً مطاعاً، وأميراً في السموات والأرض مراعاً. وهيئات! إنما يحرص على الولاية من لم يعرف أنها أثقال لا تحملها الجبال، وأن الذنب فيها ذنبان، ويقال في مقداره ما قيل لسيد الأولياء من عمار الأرض والسماء ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً ط [96] قَلِيلاً *﴾ إذا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً⁽¹⁾ وإنما تقام الأساسات بقليل التراب وصغير الأحجار، لا بالأحمال والجبال الكبار، ومن عزم على خير فيئس فقد تعس. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(1) سورة الاسراء، آية 74، 75.

كتب إلى الإمام أبي القاسم بن قسي⁽¹⁾

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله .

من ولي أبي القاسم بن قسي وحافظه من المكاره .

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

اللهم إنا نسألك من بركات العلم والعمل ما يوصل إلى الجانب الأكمل ، ونعوذ بك من التفريق بعد البداية والنهاية في مدارج التحقيق . ونتوجه إليك بالدعوى في كنف البلوى إذا [سقطت] رسوم الحق ونعوت الصدق ، ونتوسل إليك بالفقر إن لم تكن منك عناية والمكر .

اللهم ! إن الأولى بكرمك أن نتوسل إليك بما ليس بوسيلة ، ونطالب قربك بمعاصيك براءة من كل حيلة ، فلا تخيب رجاءنا ولا تكذب عناءنا ، واستر علينا ما لا يستره إلا كرمك ، واكشف من كربنا ما لا يكشفه إلا ألطافك ونعمك .

اللهم ! لا تقابل ما [و 97] عندنا من مقتك بالزيادة ولا تعر إسلامنا وتسليمنا من

(1) هو أحمد بن الحسين بن قسي من المولدين من أصل مسيحي من بني قسي المعروفين في الثغر الأعلى والذين انتقل فرع منهم إلى غرب الأندلس وقد شغل منصب مشرف في الأعمال المخزنية في مدينة شلب ، إلا أنه ما لبث أن تصدق بهالة وإبتنى رابطة بقرية جلة من قرى شلب يجتمع فيها بمريديه ، ثم ادعى الولاية وتسمى بالمهدي وقام بالثورة على المرابطين 539 هـ وانتهى أمره 546 هـ بمقتله - له كتاب خلع النعلين .

ابن الأبار: الحلة السراء، ج 2 ص 197 ، ابن الخطيب أعمال الأعلام ، ص 248 (بروفنسال) وانظر كتابنا الأندلس في نهاية المرابطين ثورة المريدين .

كريم الإفادة، واجعلنا لك وحدك عاملين، وبك عالمين، يا أرحم الراحمين.

ذكر لي أبو محمد⁽¹⁾ متحملة - أكرمه الله - أنك تعرفني باسمي، فشغلني فراغي عن معنك، وأن أتعرف منه كيف وصل مثلي إلى هناك. ورأيتة خاص الشناء بأبي الوليد بن المنذر، عام الشناء بعد ذلك على الجملة - صان الله جميعهم - ورغب في ثلاثة كتب: أحدها إلى أبي الوليد⁽²⁾، والثاني لرجل سباه لي بمحمد بن سالم⁽³⁾، فأجبتة على ما كرهته أو أحببته، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والسلام عليك وعلى من لديدك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه أيضاً

(2)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته عن صلاح ظاهر وعافية شاملة لي ولأهلي ولإخواني والحمد لله رب العالمين.

ووقفت من قبل قريبي أحمد - سلمه الله - عند منصرفه من تلك الجهة على عدة كراريس في فنون من العلم كتب فيها بعض كلامك [ط 97] وأجوبتك فسرني تمام فهمك، ونفوذ عزمك وإشرافك من علم الحقيقة على إنهاء كتاب متشابه، يصدق بعضه لبعض.

فالحمد لله الذي أبلغني عن أهل وقتي ما كنت أؤمله. وإني منذ ستة وعشرين سنة سألت رجلاً من أهل القرآن والحفظ للموطأ والسياسة: كيف بأهل الانقطاع في العلم؟

قال: غلب عليهم الاجتهاد والعمل وقل عندهم العلم والبحث.

(1) أبو محمد المواق.

(2) أبو الوليد بن المنذر.

(3) محمد بن سالم الشلبي.

فقلت : واحسرتي ! ثم ها أنا بلغني عن أناس بالشرق والمغرب في وقتنا من مكث في حقائق العلم ما يسرني ، من كان العلم همه وغمه . ومن أشد ما يمسنني بعد معرفتي بحالك وحال إخوانك لما في رؤية أحوالكم ومعرفتي بها من يقظة قلبي وحياة لبي فاعلمه .

والسلام عليك وعلى كل واحد ممن تحبه ويحبك مردداً ، ورحمة الله وبركاته .

وكتب إلى

أبي الوليد بن المنذر⁽¹⁾ رحمه الله ورضي عنه

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله وسلم تسليماً .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المسألة - أعزك الله - وداد ، والأرواح أجناد . وسببه أن أبا محمد⁽²⁾ متحمله [و 98] -
أكرمه الله - قصدي قصداً ظاهره البر ، والله أعلم بما ينطوي عليه السر ، فوجب له حق ،
وحصل بينه وبين من سواه فرق ، فسألته عن بلده فذكره ، وعد من أمر تلك الخاصة إلى
أمرك فنشره ، وأعطاك من لسانه أفضل العطيات ، والله ولي الخفيات .

وذكر [لي] أن برك بها اتسع ، تخطى البلاد وجمع ، وزعم أني عندك معروف وبلسان
المعرفة والستر موصوف ، فنفعك الله يا أخي بصلاح نيتك ووضع البركة بتماها في
طوبيتك ، ولم يخبرك عني مثلي ، فلا تشتغل بي ، فأنا لو عاينت ظاهري لمقتته ، ولو
كاشفت باطني لكنت له أمقت .

أنا منذ أربعين سنة أطالب نفسي بالاستواء والاستقامة ، فما زادها طلبي إلا
الاستبداد ، ولا أفادها إلا غلواً وفساداً ، ولم نؤت من شيء كما أوتيت ممن إذا مدح مدح
نفاقاً ، وإذا قدح قدح شفاقاً . لا زلت في كنف العافية مع الحجة الصافية بحول الله

(1) هو أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر ، أحد أعيان شلب من بيت قديم من المولدين ، أخذ العلم
في إشبيلية وتولى عدة مناصب قضائية كان منها خطة الشورى ، وتميز بالمعارف الأدبية والفقهية ،
ثم تزهد وتصدق بهاله ورابط على ساحل البحر من رباط ربحانة بشلب .
ابن الأبار: الحلة السراء ، ج 2 ص 202 وانظر كتابنا الأندلس في نهاية المرابطين ، الجزء
الخاص بثورة المريردين .

(2) أبو محمد المواق .

تعالى ، وأعظم حاجتي رغبتك إلى الله تعالى وضراعتك لي في خول تموت به النفس ،
وتجهل في مثله الشمس مأجوراً والسلام .

أخبرني أبو محمد المواق⁽¹⁾ متحملة - أكرمه الله - أنك أشرت على أقوام بالأعواض
فوهبوا [ط 98] لك ، فأقبلوا على ما ينفعهم إقبالاً حسناً ، فوقع ذلك مني موقع الماء من
غلة الظمأ ، وذلك ظني بحالي منك حين سمعت الخبر ، والله أعلم بما أحصاه من
أمري .

فإن شرك يا أخي أن ينتفع بك حبك الناس ، فلا يكن شيء أحب إليك من تعلم
المسألة ، فإن الصادق ينتفع الناس بصدقه ، والكاذب لا يتعده كذبه ، والمناكره أعلام
وليس معها تمسك ولا اعتلاق ، وهي تقطع الأقوياء وتمحق الضعفاء .

عصمنا الله من المكر ، خفية وجلية بعزته .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه أيضاً

(2)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله وسلم .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبته ، وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو على نعمة الإسلام وأسأله لي ولك
حياة يرتضيها ونجاة لا كدر فيها ، وإخواننا المسلمين . والحمد لله رب العالمين .

وردني لك - أعزك الله بطاعته - كتاب لبيب حبيب ينطق بسيادته نطق الراغب في
الفضل وزيادته ، وكمعرفتي بجملتي وما تنطوي عليه أعمال غفلتي ، عجبت من
شأنك وكيف [و 99] سترني الله بجميل ستك وجليل سنائك .

اللهم ! أسبل علينا كثيف سترك وأدخلنا في مكنون غيبك ، واحجبنا عن شرار

(1) لم أهدأ إلى ترجمته .

خلقك، وحل بيننا وبين البلى والرزاياء كلها يا أرحم الراحمين.

بلغني أن عبداً صالحاً دعاه فحجبه الله عن شر قوم كانوا في طريقه وذكر أنه لا يدعو بها أحد، يعني على اليقين، إلا حجبه الله عز وجل. ذكر لي أن لك أملاً في الحج وأنك سألت عن مراكب السفر، وعندنا مراكب، ولكن بلغني ما أنت عليه في موضعك من بر الأعيان والأشراف وإقامات حاجات الضعاف، وعمل منه واحد أفضل من كثير من الحج والغزو. حملك الله على الأقصد الأرشد برحمته.

من الناس - أكرمك الله - ضعيف الحلم، قليل العلم، لا يعرف أصول الدين ولا يميز حقائق اليقين، ولا يفهم مجاري أحكام الله سبحانه في خليقته لإعجابه بحاله وطريقته. يهجم بالسمع على أهل الفضل والورع، ويسالم أهل الأهواء والبدع وربما سلم منه جاره الذمي، وابتلي به جاره المسلم التقي في ملته، يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم! إني أعوذ بك من [ط 99] جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول)⁽¹⁾، ولا بد من صبر المؤمن على أمثاله فإن الإدانة سنة الله في خلقه، ونصر المؤمنين حق على الله⁽²⁾ في كتابه وفي كل زمان يعرض الناس بأهل الديانة للمحن وأهل الفتن، فعصم الله من عصم وأثم من أثم.

ولقد كتب في عامر بن عبد قيس⁽³⁾، وهو من أعبد أهل البصرة حتى استجلبه عثمان رضي الله عنه إلى المدينة. وكتب إليه قبل ذلك في أبي ذر، وهو أصدق من أقلت الغبراء وأظلت الخضراء لهجة فاستجلبه عثمان رضي الله عنهما إلى المدينة وأنزله الربرة ومات بها غريباً رحمه الله.

(1) أخرجه البخاري في كتابه الأدب المفرد رقم 117، والنسائي في سننه باب الاستعاذة من جار السوء، وأخرجه ابن حبان في صحيحه موارد الظآن رقم 2056، وأخرجه الحاكم في المستدرک ج 1 ص 532 وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(2) الآية ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ سورة الروم، آية 47.

(3) هو عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبري، تابعي من بني عنبر، أول من عرف بالنسك من عباد التابعين بالبصرة، هاجر إليها، تلقن القرآن من أبي موسى الأشعري حين قدم إلى البصرة وعلم أهلها القرآن، فتخرج عليه في النسك والتعب. مات ببيت المقدس في خلافة معاوية. يوسف النبهاني: جامع كرامات الأولياء، ج 2 ص 51. أبو نعيم الأصفهاني: م.س. ج 2، ص 87.

والقدح في الدول وانتظار مهدي يصلح به ، لا يعتقدده حصيف ، ولا يظن مثله بمسلم إلا ضعيف . بكى الناس في ملك بني أمية ، وتكلموا فيه حتى تكلموا في المهدي وخروجه ، فانقضى ملك بني أمية ، وظهر المهدي فإذا هو ملك بني العباس وحين ظهر توقع الناس في الندم وبكوا على بني أمية بالدمع والدم ، ورأوا من سفك الدماء وانتهاك الحرم خلاف ما ظنوا ، ولا يقدر قدره إلا الله تعالى .

وعج أهل أفريقيا من أمراء بني العباس وتكلموا فيه ، حتى ذكروا المهدي : فإذا هو شيعي رافضي كافر ، فالزمهم [و 100] الله أحكام الكفرة بتعديهم في إنكار جور الجورة .

فكن كما أنت في إكرام الكبراء وإنعاش الفقراء ، ولا تبالي بمن عاداك ظالماً لك ، فإن الله مدليك منه ، وعداً منه مفعولاً .

تقرى بفضلك سلامي معاداً عليك وعلى أبي الوليد بن عمر⁽¹⁾ ورحمة الله وبركاته .
يا أخي نفع الله بإخائك لقاء مكتوبك خليفة لقائك وقد قال الأول :

إِذَا الْإِخْوَانُ فَاتَهُمُ التَّلَاقِي فَلَا صَلَةَ بِأَفْضَلٍ مِنْ كِتَابٍ

فإذا شاهدت أو نقل إليك مستوراً عن مستور ، شيئاً من أعلام القدرة ، وبركاتها وبراهين الحنيفية السمحة وآياتها ، فقيده بالكتاب ترسخ بذلك قواعد يقينك ، وتتنور لك مصابيح إيمانك ، وتكثر منه ما استطعت ، فإنك ستري بركة ذلك يوماً ما ، ولا تعتبر بقول من يقول : ليس هؤلاء من أهل الكرامات ، فإنه لا يطلع على الأسرار إلا الله وحده تعالى . ولأعلام القدرة أوقات وإن كانت في شرف الإسلام ، فلاستكثار منها فريضة أو فضيلة ، ويكفي فيها الظن الغالب ، والقاطع من العلم أتم إذا أمكن وقل ما سلك أحد [ط 100] في ذلك طريق الظن إلا فتح الله له طريق اليقين والعلم القاطع فإن بقي صاحبها على ستره وسلامته حتى مات أو برز في العبادة فهي له كرامة ، وإن بدل أو غير لم تنتقل عن كونها علامة قدرة وبركة إسلام ، ولن تلقى من الله إذا جمعها وحرصت عليها إلا خيراً .
والسلام .

(1) أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر .

وكتب أيضاً إليه رحمه الله

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله.

أطال الله بقاء عمادي الأعصم، وعتادي الأعظم في رفعة لا يعوزها أمل زيادة ولا يعجزها عمل سعادة.

ورد كتابك الكريم وحاجتي إليه وإلى الوقوف عليه حاجة الصادي إلى الولي، والقافية إلى الروي، فوقفت منه على الرياض العبة، والحياض الغدقة فعندي من آثاره المطربة وأخباره المغربة أشغال لا تنقطع بطولها الصلاة وبطيها الفلاة، والله دره من كلام حر كأنه قلادة در، أفاد لساني بعد القصر فصاحة وبناني بعد الحصر فساحة، فقلت وقد أفلت من شرك الإفحام، وأمنت من درك الاقتحام:

[و 101] كلام أبي الوليد الذُّجَرِي
يَزِيدُ عَلَى بَلَى الْأَيَّامِ حُسْنًا
قَرِيبُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَلَكِنْ
عَلَى الْأَسْنَاعِ مِنْ مُلْكِ الْوَلِيدِ
وَيَرْفُلُ مِنْهُ فِي كَرَمٍ جَدِيدِ
يُحَرِّزُ كُلَّ مَطْلُوبٍ بَعِيدِ

وقال أيضاً:

قُرَّةُ عَيْنِي أَنْ تَرَى مَنْ رَأَى
أَمْرُكَ أَنْسَانِي أَمْرِي فَمَا
طُوبَى آمِينَ مُلِّيتُ مِنْ سَنَاكَ
اِنْتَظِرْ الْخَيْرَ هُنَا بَلْ هُنَاكَ

وكتب إلى

أبي بكر بن مؤمن رحمهما الله ورضي عنهما

الأخ الودود السيد أبو بكر⁽¹⁾ عتيق بن مؤمن ، الله وليه . المسرور به وليه في الله أحمد ابن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اللهم ! اشرح بأنوار القرآن العظيم صدورنا ، ويسر على آثار الأبرار أمورنا وكثر بك دون الأشياء كلها في الدنيا والآخرة سرورنا يا حلیم يا كريم .

وردت هدية الله سبحانه وعطيته عندي بما كان معد من الفوائد لورود أختينا في الله أبو بكر [ط 101] ابن البناء⁽²⁾ - أكرمه الله كرامة أوليائه وأحبابه - فكان اليوم الذي ورد فيه من أطيب أيامي عندي ، لا سيما وكتاب أبي الحسن⁽³⁾ - أطال الله لنا حياته ، وصان من كل المكاره أعماله وذاته - لا حياة إلا بعيش وعقل وعلم ، فالعيش إحراز الكفاف بأصل من التوكل ، وأصل من التكسب والعقد توصيل كل حق وأمانة إلى أهلها . والعلم وضع الأعمال حيث وضعها الله سبحانه من بيان الكتاب والسنة ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ ويرزقه مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ⁽⁴⁾ ، جعل الله من أمري وأمرك وأمور

(1) سبقت الترجمة له في رسالة ابن العريف (رقم 2) الموجهة إلى جماعة قرطبة .

(2) هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العبيدي ، أبو بكر ، إشبيلي ، تلا القرآن على أبي الحسن بن عزيمة وروى عن أبي بكر بن طلحة وأبي الحكم بن برجان وأبي علي بن الشلوين وغيرهم ، إلا أنه ذكر وفاته 640 هـ وهذا أمر يدعو للشك ، فربما حدث تحريف في سنة الوفاة أو أن يكون المترجم له غير الشخصية التي ذكرها ابن العريف .

ابن عبد الملك : م . س . سفر 5 ، قسم 2 ، رقم 1283 ، ص 681 .

(3) أبو الحسن بن غالب .

(4) سورة الطلاق ، آية 2 ، 3 .

إخواننا خاصة والمسلمين عامة فرجاً ومخرجاً، ونهج لنا ولهم إلى الهداية المبلغة إليه تبليغ الدوام الموصول بلقائه منهجاً بعزته .

وقد كانت كتبك وصلت قبل ذلك فجاءت على كل شيء ، وكتبت إلى عبد الواحد⁽¹⁾ - أكرمه الله - كتابين ، وكتبت إليك مجاباً عن فصول كتابك إلا أن الذي لم أراجعك عليه هو الذي كتب إليه فيه أبو زيد القطان⁽²⁾ أخونا في الله تعالى ، لأني لم أجد للنقلة شاهداً قوياً أعول عليه ، والأمر حتى الآن في ضميري فاكتب إلى أبي زيد [102] على لساني بقراءة ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾⁽³⁾ عند نومه ، وعند قيامه من النوم في كل يوم وليلة ، عزيمة منه لا يحول بينها وبينه إلا الموت وقد فتح الله له . وإن أخذت أنت بذلك نفسك ، شرح الله صدرك فيما ترادف عليك من شغل الدنيا إن شاء الله .

وأما سروري بخبر الكرامات ، فلا يزنه شيء من الدنيا عندي ، فإنه الفرض الذي كنت آمله وأومي إليه ، فتح الله بذلك الجزء في أكثره ، ورأيت مؤلفه رجلاً محققاً نفعه الله ونفع به .

وكل واحد من إخوانك سادتي في الدنيا والآخرة ، خصه عني بالسلام ، وخص نفسك بذلك قدر شوقي ومحبتني . ورحمة الله عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد .

وكتب إليه أيضاً
رحمهما الله ورضي عنا وعنهما

(2)

إلى الحبيب القريب أبي بكر عتيق . الله وليه وحافظه من كل بأس وبؤس من أخيه الضعيف أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد رسوله الكريم وعلى آله وسلم ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(1) عبد الواحد بن محفوظ .

(2) لم أهتم إلى ترجمته .

(3) سورة الشرح ، آية 1 .

[ط 102] فتق الله يا أخي لسانك ، وفتح جناحك بمواهب العصمة ، وألبسك لباس الشاكرين للنعمة بالنعمة ، وجعلك ممن عرف مقدار الهمة بالهمة ، ولا سلط عليك من الأوقات شاغلاً للذمة ، كنت في عامنا هذا عام تسعة وعشرين فقدت وارداً مؤانساً محدثاً عنه ، فإن أخاك سمع كله فأصابني لم وعرض صمم . ففي أول رمضان ورد أبو موسى متحمل كتابي هذا - نفع الله به - فحدث عن بشر الخزانن ، وفتح المداير في عالم لا تسعى قدم المنى إليه ، ولا ترعى سوام الأعداء حواليه ، فلله الحمد كله ، فحيث الكمال كله فيما قبض وبسط ، وعمن عاش أو سقط ، فإن حق الكبار لا يسقط بسقوط الأقدار .

عقد على لسان أخيك عقدة ، وجعل على بصره غشاوة ، وعلل سمعه بما يعلل به الصبي ، ونودي من وراء حجاب الغيب ، يا عيبة العيب ، لا أنت أنت إذا خضعت ، ولا أنت أنت إذا ارتفعت . أما الطهارة فلست لها بأهل ، وأما الحقارة فلست فيها بمعذور ولا متروك ، فهل عندكم - رحمكم الله - من دمع يسفح ؟ أو دم يسفك في الشفقة على تالف لا يعرف له نظير في خالف ولا سالف غايته أن يجتند فينشر ،

[و 103] إِنْ كَانَ قَدْ سَرُّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا يَجْرَحُ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ

خص أخانا الحبيب أبا خالد⁽¹⁾ بسلامي ، وكل واحد ممن يحبكم .

والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(3)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً .

تاب الله علينا توبة اختصاص ، ورزقنا السلامة من الهوى والخلاص ، وجعلنا في ذاته إخواناً ، وعلى مرضاته أعواناً .

كتابي كتاب متشوق إلى إخوانه ، فاتته في نفسه أعلام النجاة ، وأسباب الحياة ، فهو

(1) أبو خالد يزيد بن عبد الجبار القرشي .

يودها لهم وداًداً، ويجتهد في الرغبة لهم لباسه من نفسه اجتهداً، والله عز وجل يعلم حيرتي لضعفي عن السفر إليكم بين لقاءكم ومغيبيكم . فإن في المغيب وحشة ، وفي اللقاء مشقة سفركم وأكره ما يشق عليكم إلا أنه إذا بلغني من سكون الجانب عنكم وهدوء الجأش ما وراء حسن حالكم الظاهرة حمدت الله تعالى وشكرته – لا فرق الله شملنا – إذا جمع شمل النبيين وأقامنا في ظل عرشه مقام المتحابين ولا أسمع أخاً منكم في أخيه [ط 103] إلا ما يوده بحقيقة إيمانه ويشتهي بعزته .

وذكر ختنك - أكرمه الله - ميعاد أبي الحسن⁽¹⁾ أعزه الله بالوصول فنفسى بذلك متعلقة وإلى دنوه متشوقة ، وعلى ضعفه مشفقة ، وقد كان لي في أبي بكر مسعود بن رزين⁽²⁾ - نضر الله وجهه - أخ يتأنس له بعضي ويستقر له عند رؤيته أرضي ، فظنوا بي إذا غبتم عني كل شيء من الاستيحاش والولة ، ومن القلق إلى أخباركم ما لا يخفى عن غاية البله والدنيا تعاليل .
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكتب إليه أيضاً رحمه الله

(4)

إلى أخيه في الله وسيدي أبي بكر عتيق بن مؤمن الله وليه وهو يتولى الصالحين .
من أخيه أحمد بن محمد عفى الله عنه .
بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلوات الله وسلامه على محمد رسوله الأمين وعلى جملة الطاهرين .
سلام على أخي ورحمة الله وبركاته ، شرح الله صدرك بأنوار هديته ورفع قدرك في خيار أهل عنايته ، وإيانا وإخواننا خاصة والمسلمين عامة .
في كل عام من سنة أربع وعشرين [وخمسائة] كان يرديني بسبب ركوب البحر من

(1) أبو الحسن بن غالب .

(2) هو أبو الحسن خليل الليل سبقت ترجمته .

ترجى بركته ويرغب في لقاء مثله من مريد يريد التوحش من الناس أو [و 104] منتسب إليهم إلا عامنا هذا، فما ورد (أحد)⁽¹⁾، وما أضخ الله سبحانه بكرمه وجوده أملاً إلا ما أمر المنى⁽²⁾ أن تعمل في تمامه وحصوله عملاً ففي ذلك تأنيس لمن غمه على نفسه جليس. ضاقت نفسي في هذه المدة ضيقاً كثيراً، وتوهمت أن ذلك بسبب شغلي بالصبيان، وكثرة رؤيتي لمن عرفني قديماً وعرفته، فعزمت على إزالة الصبيان والسفر إليكم لأروح نفسي شهرين أو ثلاثة، ثم عجزت عن ذلك لأسباب قد علمها الرب جل جلاله، وقلت لعل ذلك يمكن في إثر عيد الفطر. أما أني لو وجدت خليفة في المسجد والصبيان حتى انصرف ما كنت والله بغيبه أعلم إلا قد ركبت ظهر الطريق إليكم، وسأحت نفسي في الذي تطالبني به منذ مدة من دخولي قرطبة - حماها الله - وتجديد العهد بها وبمن بقي من الإخوان فيها، وتعليق أحاديث من أحاديث الشيوخ فيها، وما ذلك على الله بعزيز.

رؤيتي لكتابك نحو من دخولي ذلك القطر في دور مسرقي به عليّ، ووصول الأنس به إليّ مع ما يشتمل عليه من الدعاء الذي لا أشك فيه ولا أمترى. فليكن من بالك بعون الله ومنه.

والسلام على كل واحد من الإخوان باسمه - ألف الله [ط 104] قلوبهم على التقوى وجمع لهم خير الآخرة والدنيا.

اللهم! إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً شافعاً برحمتك.

اللهم! اشرح صدورنا، ويسر أمورنا يا عالماً بالجملة غنياً عن التفصيل إنك على كل شيء قدير ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت.

وفي كتاب كتبه إليه

(5)

وما منعني من تعجيل المراجعة إلا فكرة غلبتني فيما أنا بسبيله من مخالطة من لا

(1) في الأصل أحمد.

(2) في الأصل المنا.

ينفعني ولا أنفعه، ولا يدعني وإن كنت أدعه، وأمور آخر لا يشتغل بمثلها إلا ضعيف، ولا يكتفي بها من حياته إلا محروم، وما ذكرته من ضجر أخينا أبي عبد الله⁽¹⁾ وضيق صدره بمفارقة إخوانه ومرافقة غير إخوانه وشغلك بالضرائر القاطعة عن أن تكون من أعوانه فلعل الحزن على ما فات من وجوده، فليس بغريب في كرم المولى وجوده، فقل لأبي عبد الله - أعانه الله، وأمره بمواد أنسه، وفوائد قدسه - إذا تأنسوا بالخلوة أضجرهم بالملأ وأوحشهم منه وهم لا يشعرون، وإذا تأنسوا به حجب عنهم كل شيء، فلا يضجرهم من شيء وأوحشتهم به منه [و 105] وهم لا يشعرون. فإن حقيقة الإنسان لا تصح إلا بحمل أعباء الوحشة به منه، فاحتمل ضجرك من الخلق فإنك به مأجور، واحتفظ من الزهد في ضجر أنت به موصول مهجور والحرص عليه. وما أذاك من غير مسألة فخذ، فإنه رزق رزقك الله إياه، وإن كنت ممن إذا سُئل أعطى، وإذا تباعد أدنى، فلست بمأمور ولا مزجور.

لطف الله لك وبك يا أبا عبد الله وأكملك حتى تكون الأحوال كلها بك سواء، وكلها تدعو بعزته، ولإخواننا عامة وخاصة إنه ولي ذلك وربّه لا إله إلا هو.

فصل من رسالة كتب بها إليه رضي الله عنهما (6)

وقال بعضهم وكانوا يقولون لا بد من أربع: عقل يعرف به الإنسان نفسه وأهل زمانه.

وعيش تسكن به حاله حتى يتفرغ لما أمره الله به.

وعلم في سنة وإيمان يعمل عليه وينتهي إليه.

وعبودية يتمكن بها الإنسان من مراوضة خلقه ومساماة الحق وطرقه وإلا فلا نفعنا الله وإياك بالإيمان والإسلام وجعلنا من أهل خاصته بعزته.

والسلام [ط 105] على الجميع ورحمته تعالى وبركاته.

(1) أبو عبد الله بن يوسف.

وكتب إليه أيضاً

(7)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد رسوله الكريم وعلى آله البررة في الأولين والآخرين .

سلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته . سلام وداد لا سلام تودد ، وتحية إسلام لا تحية تردد ، تحية من عند الله مباركة طيبة ، ورحمة الله عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد .

اللهم ! إنا نسألك لإخواننا في ذاتك حياة بك لك ، ورياً من ماء الذكر بكأس الخصوص ، ونسألك لأنفسنا مراعاة أسباب أوليائك والخدمة في لطائف الأدب في وظائف النذب لخدمهم وحفظ أوقاتهم بك عليهم وأيامهم ، فإن أقدارنا صغرت عن رؤيتهم وخدمتهم ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا بأس من روح الله تقدر ذكره .

غمني بما أنا عليه من شغل البال ما لا يجدي عظمة فإننا لله وإنا إليه راجعون على ذهاب العمر ، وزيادة الحساب ، وترادف الحجة والحمد لله على نعمة الإسلام والكون من أمة محمد عليه السلام .

وصل كتابك بسفر أخينا أبي الحسن⁽¹⁾ - يسر الله له أمره ، وشرح بمشاهدة الحقيقة العليا صدره [و 106] وخار له في كل أحواله الخيرة التي لا يكون للعباد عليها سلطان في حال فراق الإخوان - فأكثر من مخاطبة أبي الحسن - أحسن الله ذكره - ما أمكنك ، وما تجدد عندك من قبله فخاطبني به - نفع الله بعضنا ببعض .

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته .

سَلَامٌ عَلَى الْإِخْوَانِ مَا مَنَعَ الضَّحَى وَمَا تَجَمَّعَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ الْحَمَائِمُ

(1) أبو الحسن بن غالب .

الولي المحب الودود أبو بكر عتيق أعزه الله بطاعته .

وليه في الله تعالى أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم . السلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته .

وصل يا أخي كتابك أكرم بكما مع الإجازات والفهارس وسائر ما تضمنه كتابك على أكمل وجوه المرغوب ، وأفضل جهات المحبوب . جعله الله نوراً يسعى بين يديك وعملاً صالحاً يتوجه بكل أمانيك يوم القيامة إليك سررت وبررت - نفعلك الله ونفع بك - ووقفت على ذلك القول المعجم ، واللسان المحكم فأعجبني ، فاستكثر منه ، فإن جله أو كله دواء [ط 106] وشفاء ، وما كان من ذلك تفسيراً لآية ، أو لسنة ، أو لكلام مشهور ، من كلام الأئمة يعرض عليه بالنواجذ ، ولا يفتك منه شيء .

وفاتح المشار إليه في هذه الأشياء مفاتحة ذكر لا مفاتحة (مسألة⁽¹⁾) ، لتستجلب بذلك من ينابيع الحكمة ما يتصل بمزيد إيمانك ، فترفع محلك إلى منزلة زيادة الفهم عنه ، وأعلم أن النظر بعيون القلوب المفتحة بكمال حقائق أهل البقاء من أحوال خصوص أهل الإرادة . ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغْنِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽²⁾ .

وخاطبني أبدأ بما يتجدد من صداقة أخ في الله عز وجل لم يكن أو صدق في حال من كان ، ولا تستحقر شيئاً من هذه الأغراض تعلمني به ولو لم تكن إلا كلمة واحدة فقط ، واجعلني من همك إن أمكنك ذلك بمشيئة الله سبحانه وقوته وعونه في أن لا يطيب لأحد قلبك أو به إلا سألته الدعاء لي تيسير ما أرجوه من لقاء عالم ، وصحبته إلى فراق الدنيا على الحقيقة . ولقد فكرت في إثـر ورود كتابك في زيارتكم في محلكم فكرة

(1) في الأصل مسألة .

(2) سورة الروم ، آية 50 .

دامت أوقاتاً كثيرة . فلو وجدت خليفة في الصبيان والمسجد لفعلت إن أمضاه الله وقدره .

ففي هذه الأيام ورد كتاب العبد الصالح أبي يحيى ⁽¹⁾ نزيل منى ⁽²⁾ [و 107] من العدو وفي الدعاء له ولإخوانه من البركة ما ليس بدون . وكان من بعض دعائه في الكتاب : اللهم ! وفقنا جميعاً وسددنا ، وبروح منك فأيدنا ، وعن ما لا يرضيك فقيدنا . وأما ما ذكره أخونا أبو الحسن ⁽³⁾ من النقلة فقد خاطبني به في كتاب وراجعت عليه ، والإقدام بالسنة إذا لم يكن يقيناً سنة ، ووكد على أبي زيد عبد الرحمن يخاطبك أبداً بحاله وبما يتجدد له . وخاطبني بذلك وبما رأيته .

واعلم أنه ورد كتاب الشيخ - نور الله بقلوب أحبائه الأرض ، وزين بهم العرض - ومضمونه بطريق التعريض سفري إليه . وعرضت الأمر على حالي ، فوجدت الذنوب قيدتني ، وحسبي الله وكفى .

وإني كنت انتظر من قبل أبي خالد ⁽⁴⁾ - أكرمه الله - وتعريفي بما هو عليه . ينتظر الأخ فلم أر له عندي وفي كتبي خبر ، وخفت أن يكون بعض حالي أو قولي أوحشه فطبيوا له قلبه عني فإن كلامي لمثله في الظاهر جاف وفي الحقيقة إن شاء الله صاف .

وحتى الآن أجدد لكم الرغبة في أن لا تكثروا التردد ولا المخالفة على معارض مناقض بالحال أو بالمقال ولا على مكذب أو كاذب بالحال أو المقال ولا على منفر [ط 107] أو نافر بالحال أو بالمقال . عولوا على الخلوة فإنها عمود الإخلاص وعلامة الاختصاص . إن الاجتماع ففي غير البردين الصبح والعشاء وفي غير أوقات الغفلة وليكن الاجتماع في وقت الغداء إلى الظهر وفي نحو ذلك . وكما قلت لك لا تؤخر مخاطبتي بما حضرك ولو بكلمة واحدة تعلمني بما أمكنك من حالك وحال الإخوان ، جمع الله قلوبنا على التقوى ويسر لنا خير الآخرة والأولى بعونه .

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته .

(1) لم أجد له ترجمة .

(2) منى : وادي من أحواز طنجة .

ابن أبي زرع ص 106 ، 143 .

(3) أبو الحسن بن غالب .

(4) أبو خالد يزيد .

وكتب إليه أيضاً

الأخ الودود أبو بكر بن مؤمن - أعزه الله بتقواه .

من أخيه في الله تعالى أحمد بن محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد رسوله وعلى آله وسلم تسليماً . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبته يوم الفطر من سنة تسع وعشرين وخمسمائة باسمائنا من ورود النعم وقلة المبالاة بشكرها . نسأل الله العافية . وكنت في هذا العام فقدت من لقاء الإخوان الواردين علينا بنية التوجه إلى المشرق ما كان المولى سبحانه عودنيه فاستوحشت كثيراً ثم وردت [و 108] على الكتب التي بعثت أنت بها والكتب الواصلة منك ، فانكسر بعض وحشتي فلما كان أول رمضان عفا الله عنا فيما كان منا فيه .

ورد أخونا أبو موسى - نفعه الله ونفع به - وأخبرني بعض إخواننا أنه ظهر في جهاتنا على نحو من ألمرية شاب له وجوه إلى الشقرة ، عنده جد واجتهاد ومعرفة بالصالحين وأثارهم بالغة . ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾ ، ووصل الرجل المشار إليه والأمر كما فهمت والبركات أقسام وأرزاق . رزقنا الله من الفهم عنه رزقاً حسناً بعزته والله .

عند أبي موسى أعزه الله من المحبة لك والسرور بك وبأبي عبد الله الأبار أحيانا أمده الله بمعونته إمداداً موصولاً بشكر النعمة ، محفوظاً من رؤية النفس معقوداً بالمزيد الذي لا نهاية له إنه ولي ذلك لا رب غيره .

وأقرأ عليك وعلى كل واحد من الإخوان السلام أخصه باسمه سلاماً عميماً طيباً كريماً . والسلام على الجميع ورحمة الله تعالى وبركاته .

(1) سورة البقرة، آية 251 .

الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
- فهرس الأعلام
- فهرس القبائل والفرق
- فهرس الأماكن
- فهرس البلدان
- فهرس المذاهب التي وردت في النص
- فهرس المصطلحات الصوفية

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطة

- ابن العربي: القاضي أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي ت 542 هـ/ 1147 م.
- سراج المريدين رقم 20348 / دار الكتب المصرية.
ابن العريف: أبو العباس أحمد بن محمد بن العريف الصنهاجي ت 536 هـ/ 1141 م.
- مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة. رقم 1562 الخزانة الحسنية (الملكية) الرباط.
- مفتاح السعادة لأهل الإرادة رقم 1687 دار الكتب الناصرية تمجروت. المملكة المغربية.

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة

- ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلسني ت 658 هـ/ 1159 م.
- التكملة لكتاب الصلة طبعة مجريط 1886.
- التكملة لكتاب نشر عزت العطار. القاهرة 1956.
- الحلة السيرة تحقيق د. حسين مؤنس. القاهرة 1963.
- معجم الصدق في نشر كوديرا، مجريط 1885.
- إخوان الصفا: الرسائل، بيروت 1957.
الألباني. محمد ناصر الدين.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي 1399 هـ.
الإسنوي: عماد الدين محمد بن الحسن بن علي القرشي ت 764 هـ/ 1362 م.
- حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب بحاشية كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي القاهرة 1310.
البخاري: الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي اسماعيل البخاري ت 236 هـ/ 850 م.
- صحيح البخاري (البخاري - الجامع الصحيح) بولاق - مصر 1313 هـ.
ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت 587 هـ/ 1191 م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم، الدار المصرية للنشر 1966.
- كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهات والحاجات، تحقيق د. مانويلا مارين معهد التعاون العربي - مدريد 1992.
البلقي: أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم - القرن الثامن الهجري.

- المقتضب من كتاب تحفة القادم تحقيق إبراهيم الأبياري 1957 .
- الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت 279 هـ / 892 م .
- الجامع الصحيح ، الهند 1393 هـ .
- سنن الترمذي .
- ابن تيمية : أحمد بن عبد الحلیم ، ت 728 هـ /
- مجموع الفتاوى ، جمع عبد الرحمن بن محمد النجدي الحنبلي / الرياض 1391 هـ .
- التنبكي : أبو العباس أحمد بابا ، ت 1036 هـ .
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج مصر 1351 هـ .
- الحاكم النيسابوري : أبو عبدالله محمد بن عبد الله ت 405 هـ / 1014 م .
- المستدرک علي الصحيحین - بيروت .
- ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان البستي .
- صحيح ابن حبان تحقيق شعيب الأرنؤوط .
- ابن حجر : الحافظ أحمد بن علي ت 852 هـ / 1448 م .
- لسان الميزان ، حيدر آباد 1331 هـ ، بيروت 1971 .
- الحميدي : أبو عبدالله محمد بن فتوح ت 488 هـ / 1095 م .
- جذوة المقتبس تحقيق محمد بن تاووت الطنجي ، القاهرة 1952 .
- الحميري : أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت 866 هـ / 1461 م .
- الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق د . إحسان عباس 1975 .
- ابن حنبل : الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت 241 هـ / 855 م .
- المسند ، مصر 1313 هـ ، بيروت 1969 .
- ابن الخطيب : ابو عبد الله محمد بن سعيد السلماني (لسان الدين) ت 776 هـ .
- روضة التعريف بالحب الشريف تحقيق محمد الكتاني ، الدار البيضاء .
- الاحاطة في اخبار غرناطة تحقيق محمد عبد الله عناني ، القاهرة 1974 : 1977 .
- اعمال الإعلام (اسبانيا الإسلامية) تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت 1956 .
- ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ، ت 808 هـ / 1405 م .
- شفاء السائل لتهديب المسائل تحقيق محمد بن تاووت الطنجي ، اسطنبول 1957 .
- المقدمة تحقيق د . علي عبد الواحد وافي ، القاهرة 1968 .
- ابن خلکان : أبو العباس أحمد بن محمد ، شمس الدين ت 681 هـ / 1282 م .
- وفيات الأعيان تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت 1968 / 1972 .
- ابن خير الاشبيلي : أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الفاسي الاشبيلي ت 575 هـ / 1179 م .

- الفهرسة، بيروت - بغداد (المتن) 1963 .
- أبو داود: سليمان بن الأشعث بن سليمان الأزدي السجستاني ت 275 هـ / 888 م .
- سنن أبي داود القاهرة 1952 .
- الدارقطني: الامام علي بن عمر الدارقطني .
- السنن عني بتصحيحه عبد الله هاشم يافى المدني القاهرة 1969 .
- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين ت 748 هـ / 1347 م .
- سير أعلام النبلاء، ج 20 تحقيق محمد ... ط 3- 1985 .
- ميزان الاعتدال، القاهرة 1325 هـ .
- ابن رشد: قاضي الجماعة أبو الوليد بن رشد الجد، ت 520 هـ / 1126 م .
- الفتاوى تحقيق د. مختار التليلي، بيروت .
- ابن الزبير: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ت 708 / 1308 م .
- صلة الصلة تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط 1957 .
- ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبد الله ت 626 هـ / 1325 م .
- الأنيس المطرب بروض القرطاس، فاس 1973 .
- زروق: الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد ت 899 هـ / 1493 م .
- قواعد التصوف، القاهرة 1318 هـ .
- ابن الزيات التادلي: أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ت 617 هـ / 1220 م .
- التشوف الى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط 1984 .
- ابن سبعين: أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسى الأندلسي ت 669 هـ / 1270 م .
- رسائل ابن سبعين تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، القاهرة 1956 م .
- السراج الطوسي: أبو نصر عبد الله بن علي ت 378 هـ / 988 م .
- اللمع في التصوف، تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه سرور، القاهرة 1960 .
- السلمي: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ت 412 هـ / 1021 م .
- طبقات الصوفية، القاهرة 1953 .
- السهورودي: أبو حفص عمر بن محمد شهاب الدين السهورودي ت 632 هـ / 1234 م .
- عوارف العوارف مطبوع على هامش الإحياء للغزالي ج 5 طبعة الاستقامة بالقاهرة د. ت .
- ابن سعيد المغربي: علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد اليحصبي ت 685 هـ / 1286 م .
- المغرب في حلي المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، ط 3 - القاهرة 1978 .
- ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله ت 428 هـ / 1036 م .
- الاشارات والتنبيهات تحقيق سليمان دنيا القاهرة 1947 / الشفا القاهرة 1960 .
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن ت 911 هـ / 1505 م .

- الاتقان في علوم القرآن، مصر 1951 .
- بغية الوعاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1964 .
- الشافعي: الامام أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ت 206 هـ/ 819 م .
- السنن، مصر 1315 هـ .
- الشعراني: عبد الوهاب الشعراني ت 973 هـ/ 1565 م .
- الطبقات الكبرى، المسماة لواقع الأنوار في طبقات الأخبار القاهرة د. ت .
- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ت 548 هـ/ .
- الملل والنحل تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة 1968 .
- الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ت 599 هـ/ 1202 م .
- بغية الملتبس مجريط 1884 .
- أبو طالب المكي: أحمد بن أبي الحسن علي بن عباس المكي ت 366 هـ/ 996 م .
- قوت القلوب في معاملة المحبوب - القاهرة 1310 هـ .
- ابن عباد الرندي: أبو عبد الله محمد بن عباد التنفي الرندي ت 792 هـ/ 1389 م .
- الرسائل الصغرى تحقيق بولس نوبا، بيروت 1973 .
- شرح الحكم العطائية، مصر 1317 هـ .
- العباس بن إبراهيم ت 1959 .
- الإعلام بمن حل بمراكش جـ 2 . تحقيق عبد الوهاب 1975 .
- ابن عبد الملك المراكشي: أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي ت 703 هـ/ 1303 م
- الذيل والتكملة السفر الأول والثاني تحقيق د. محمد بنشريف، بيروت .
- الذيل والتكملة السفر الخامس تحقيق د. إحسان عباس بيروت 1965 .
- الذيل والتكملة السفر السادس تحقيق د. إحسان عباس بيروت 1973 .
- الذيل والتكملة السفر الثامن تحقيق د. محمد بنشريف الرباط 1984 .
- عبد الواحد المراكشي: محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التجيبي ت 669 هـ/ 1270 م .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان القاهرة 1949 .
- ابن عذارى المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى توفي النصف الأول من القرن السابع الهجري .
- البيان المغرب جـ 4، تحقيق د. إحسان عباس .
- ابن العريف: أبو العباس أحمد بن محمد بن العريف الصنهاجي ت 536 هـ/ 1141 م .
- محاسن المجالس تحقيق آسين بلاثيوس، باريس 1933 م .
- ابن العربي المعافري: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي ت 542 هـ/ 1147 م .
- أحكام القرآن تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة 1967 .

- عارضة الأحوذى (شرح صحيح الترمذي).
- العواصم من القواصم تحقيق د. عمار طالبي نشره بعنوان آراء أبي بكر بن العربي الكلامية - الجزائر 1974.
- قانون التأويل تحقيق محمد السليمانى، بيروت 1986.
- ابن عربي الحاتمي المرسى: محي الدين محمد بن علي الحاتمي المرسى الأندلسي ت 638 هـ / 1210 م.
- الفتوحات المكية، ط. بولاق.
- القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي ت 544 هـ / 1149 م.
- ترتيب المدارك - ط. وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية
- الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض تحقيق ماهر زهير جرار، بيروت 1982.
- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ت 505 هـ / 1111 م.
- إحياء علوم الدين، بيروت د. ت.
- ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ت 273 هـ / 886 م.
- السنن تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
- مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت 261 هـ.
- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث 1956.
- مالك: الإمام مالك بن أنس ت 179 هـ / 795 م.
- الموطأ، ط. وزارة الأوقاف، المملكة المغربية.
- المناوي: زين الدين محمد بن عبد الرؤوف ت 1031 هـ / 1621 م.
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية
- المقرئ: شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ت 1041 هـ / 1631 م.
- نفح الطيب تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1968.
- النباهي: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي ت 776 هـ / 1374 م.
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا نشر ليفي بروفنسال 1948.
- أبو نعيم الأصفهاني: أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ت 430 هـ / 1038 م.
- حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء 10 أجزاء دار الفكر بيروت، القاهرة 1357 هـ.
- ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ت 799 / 1396.
- الديباج المذهب، القاهرة 1939.
- القاشاني: كمال الدين عبد الرزاق بن أبي الفضائل ت 751 هـ / 1350 م.
- اصطلاحات الصوفية.
- القشيري: الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ت 465 هـ / 1072 م.
- الرسالة القشيرية تحقيق د. عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف القاهرة 1966.

- الكلاباذي : الإمام أبي بكر محمد بن إسحق ت 380 هـ / 990 م .
 - التعرف لمذهب أهل التصوف ، بعناية آربري . ARBRY. ARTHUR, JOHN القاهرة 1933 .
 - الوشريسي : أبو العباس أحمد بن يحيى ت 914 هـ .
 - المعيار المغرب والجامع المغرب .
 - ياقوت الحموي : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله شهاب الدين ت 626 هـ .
 - معجم البلدان ، بيروت .

ثالثاً : المراجع

الأب بولس نوياليسوعي

- رسائل ابن العريف إلى أصحاب ثورة المريدين ، مجلة الأبحاث - الجامعة الأميركية ، بيروت العدد 27 - 1978 ، 1979 .

د . عصمت عبد اللطيف دندش

- أضواء جديدة على المرابطين - دار الغرب الإسلامي بيروت 1991 .
 - الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، دار الغرب 1988 .

نيكلسون

- الصوفية في الإسلام تعريب د . نور الدين شريعة القاهرة 1951 .
 - في التصوف الإسلامي وتاريخه ترجمة د . أبو العلا عفيفي القاهرة 1956 .

ماسينون ل . كراوس

- أخبار الحجاج - مكتبة لاروس - بغداد 1936 .

رابعاً : المعاجم

- اصطلاحات الصوفية للقاشاني .
 - المصحف المفهرس وضعه محمد فؤاد عبد الباقي 1378 هـ .
 - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .
 - مفتاح كنوز السنة .

فهرس الآيات القرآنية

- أ -

- ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت 45 ص 78 .
- ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الاعراف 201 ص 80 .
- ﴿أَنْزَلْنِي مُتْرَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المؤمنون 29 ص 82 .
- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرْ قُلُوبُهُمْ﴾ المائدة 41 ص 83 .
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة 222 ص 83 .
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء 58 ص 85 .
- ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ آل عمران 35 ص 87 .
- ﴿أَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا﴾ العنكبوت 1 - 2 ص 87 .
- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ﴾ البقرة 214 ص 88 .
- ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ البقرة 214 ص 89 .
- ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ الانعام 70 ص 91 .
- ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾ التوبة 34 ص 99 .
- ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ﴾ الانعام 122 ص 103 .
- ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ النحل 21 ص 103 .
- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ الكهف 1 ص 113 .
- ﴿إِنْ تَحْرِضْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ﴾ النحل 37 ص 114 .
- ﴿أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ المدثر 56 ص 114 .
- ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ المائدة 91 ص 116 .
- ﴿الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ الفرقان 58 ص 125 .
- ﴿أَلَمْ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ الروم 1 - 2 ص 125 .
- ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ المجادلة 10 ص 138 .
- ﴿إِعْصَا فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ البقرة 266 ص 145 .
- ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ الاحزاب 70 - 71 ص 146 .

- ﴿أَغْنِيَ اللَّهُ أَنْعِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الانعام 164 ص 185 .
- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور 35 ص 186 .
- ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ العصر 3 ص 189 .
- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشرح 1 ص 216 .

- ب -

- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ سورة الأعلى آيتين : 16 و 17 ص 102 .

- ت -

- ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ السجدة 16 ص 101 .
- ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الشعراء 2 ص 113 .
- ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسَيَأْهُمْ﴾ البقرة 273 ص 190 .

- ذ -

- ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الانعام 88 ص 4 .
- ﴿الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ آل عمران 135 ص 80 .
- ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ الممتحنة 10 ص 95 ، 117 .

- ر -

- ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ الاسراء 80 ص 82 .

- ف -

- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ المائدة 13 ص 84 .
- ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الزمر 18 ص 85 .
- ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعراف 99 ص 89 .
- ﴿فَلَا تَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ الكهف 105 ص 102 .
- ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ الكهف 6 ص 113 .
- ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ الأنعام 89 ص 114 .

- ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبيراً كَثِيراً﴾ النساء 19 ص 138 .
- ﴿فَأَصَابَهَا إِغْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ البقرة 266 ص 145 .
- ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَخْوَى﴾ الأعلى 5 ص 155 .
- ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ الروم 50 ص 222 .

-س-

- ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الصافات 180 ، 181 ، 182 ، ص 138 .

-ع-

- ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ يوسف 83 ص 186 .

-ق-

- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ الاخلاص 1-4 ص 74 .
- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ الجاثية 14 ص 85 .
- ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ النمل 65 ص 96 .
- ﴿قُلْ خَلَقْتُ مِنْ قَبْلُكُمْ سُنَنَ﴾ آل عمران 137 ص 114 .
- ﴿قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ العنكبوت 46 ص 117 .
- ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً﴾ الإسراء 93 ص 124 .

-ك-

- ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ﴾ غافر 35 ص 80 .
- ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ الذاريات 17 ص 100 .
- ﴿كَتَبْتَ أَسَى عَلَى قَوْمٍ﴾ الاعراف 93 ص 114 .
- ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص 88 ص 114 .
- ﴿كَانَتْنِي نَفَقَتٌ غَرْماً مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ النحل 92 ، ص 145 .
- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرحمن 26 ص 154 ، 191 .

-ل-

- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى 11 ص 76 .

- ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ ياسين 70 ص 103 .
- ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا﴾ الحج 37 ص 123 .
- ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا* أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كِتَابٌ﴾ الفرقان 7-8 ص 124
- ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَافَةً﴾ الغاشية 11 ص 145 .
- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ الواقعة 25 ص 145 .
- ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء 22 ص 158 .
- ﴿لَقَدْ كِدَتِ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا﴾ الإسراء 74 ص 206 .

- ك -

- ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الكهف 39 ص 82 .
- ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ مريم 35 ص 86 .
- ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِئُوا شَجَرَهَا﴾ النمل 60 ص 86 .
- ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ البقرة 214 ص 88 .
- ﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ ص 86 ص 91 .
- ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ النحل 96 ص 102 .
- ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الكهف 46 ص 102 .
- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ الذاريات 49 ص 114 .
- ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ﴾ ص 69 ص 158 .

- و -

- ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الاعراف 156 ص 77 .
- ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص 83 ص 78 .
- ﴿لَا يَنَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ يوسف 87 ص 78 .
- ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ آل عمران 20 ص 79 .
- ﴿وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الأنعام 79 ص 81 .
- ﴿وَرَبِّيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾ المدثر 4- ص 83 .
- ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ طه 115 ص 84 .
- ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة 83 ص 85 .
- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ النساء 92 ص 86 .
- ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانُ﴾ الحجرات 7 ص 86 .

- ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبْ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ الحج 11 ص 88 .
- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ العنكبوت 3 ص 88 .
- ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ البقرة 214 ص 88 .
- ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الحجرات 7 ص 94 .
- ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ النحل 40 ص 102 .
- ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت 64 ص 102 .
- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ﴾ الانعام 32 ص 102 .
- ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ النحل 127 ص 114 .
- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ الكهف 23 ص 119 .
- ﴿وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ الصف 13 ص 119 .
- ﴿وَكَلَّا نَقْصُصَ عَلَيْكَ مِن أَنبَاءِ الرُّسُلِ﴾ هود 120 ص 120 .
- ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج 47 ص 124 .
- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ طه 133 ص 124 .
- ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ التوبة 34 ص 99 .
- ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تُفْعَرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتْبُعَا﴾ الاسراء 90 ص 124 .
- ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ الاسراء 94 ص 125 .
- ﴿وَمَهَّمْتُ كُلَّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ غافر 5 ص 130 .
- ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ آل عمران 173 ص 138 .
- ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق 3 ص 146 .
- ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الروم 27 ص 156 .
- ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ﴾ ص 21 ص 158 .
- ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ النساء 131 ص 185 .
- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ البقرة 140 ص 185 .
- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ لقمان 27 ص 186 .
- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ البقرة 255 ص 186 .
- ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ الشعراء 224 ص 189 .
- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ السجدة 24 ص 190 .
- ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم 47 ص 212 .

- ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ الطلاق 2 ص 215 .
- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة 251 ص 224 .

- ي -

- ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الزمر 18 ص 85 .
- ﴿يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ التوبة 34 ص 99 .
- ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران 19 ص 101 .
- ﴿يَمْنَحُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ الرعد 39 ص 118 ، 121 .
- ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ البقرة 27 ص 118 .
- ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ابراهيم 27 ص 119 .
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ الاعراف 187 ص 124 .
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ فاطر 15 ص 191 .

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

- 1 - استفت قلبك ولو أفتاك المفتون، ص 96 .
- 2 - أشد الناس بلاء في الدنيا الانبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، ص 88 ، 140 .
- 3 - حقت الجنة بالمكاره، ص 87 .
- 4 - خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ص 114 ، 148 .
- 5 - العلماء ورثة الانبياء، ص 134 .
- 6 - كونوا عباد الله إخواناً ص 170 .
- 7 - لا يؤمن أحدكم حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ص 145 .
- 8 - ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، ص 133 .
- 9 - اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، ص 210 .
- 10 - ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك عند الغضب، ص 120 .
- 11 - من أصابته مصيبة فقال كما أمره الله ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، ص 163 .
- 12 - من سأل عني وسره أن ينظر إلي فلينظر إلي أشعث شاحب مشمر، ص 174 .
- 13 - هذا أوان يختلس فيه العلم، ص 133 .
- 14 - وددت أني رأيت إخواننا فأشتاق إليهم قبل الوجود، ص 143 .
- 15 - يسروا ولا تعسروا، ص 195 .

فهرس الأعلام

- أ -

- أحمد (قريب ابن العريف) : 208 .
- أحمد بن عون الله (أبو عمر) : 46 .
- أحمد بن قسي (أبو القاسم) : 20-34-39-66-207-208 .
- أحمد بن محمد بن عيسى اليربسي (زروق) : 10 .
- إسحاق الموصلي : 24 .
- إسماعيل بن العريف : 20-147 .
- ابن أسود (القاضي) : 36-37-38 .
- ابن الأعرابي (أبو سعيد) : 46 .
- ابن الإقليشي : 31 .
- امرأة عمران : 87 .
- آسين بلاثيوس : 62 .
- الأندرشي (أبو العباس) : 31 ، 45 .
- أيوب السخيتاني : 142 .

- ب -

- ابن برجان (أبو الحكم) : 7-16-38-66-108-109-129-147 .
- البرجي (أبو الحسن) : 18 .
- ابن بُريال : 44-46 .
- البسطامي : 22 .
- ابن بشكوال (أبو القاسم) : 18-32 .
- ابن البناء (أبو بكر) : 142-213 .
- بولس نويّا : 7-10 .

- ت -

- التستري : 158 .
- ابن تومرت : 15-29-34-35 .

-ج-

- ابن جزري (محمد بن أحمد بن أحمد بن جزري) : 10 .
- أبو جعفر (والد عبدالرحيم) : 140 .
- الجويني (أبو المعالي) : 13 .

-ح-

- ابن الحاج (عبدالرحمن بن جعفر، أبو محمد) : 29-66-188 .
- ابن حزم : 51 .
- الحسن البصري : 46 .
- الحسن بن عبدالله الجرجاني : 46 .
- الخلاص : 22 .
- ابن حمدين : 29 .

-خ-

- الخزرجي (أبو جعفر) : 18 .
- خليل بن إسماعيل السكوني (أبو الحسن) : 199 .
- الخواص (إبراهيم بن أحمد ، أبو إسحاق) : 122-179 .
- أبو الخيار : 192 .
- ابن خير القاسي الإشبيلي : 18-32 .

-د-

- داود بن علي : 51-93 .
- الدجال : 124 .

-ذ-

- أبو ذر : 212 .
- ذو النون : 122 .

-ر-

- رسول الله (انظر المصطفى ﷺ) .
- ابن رشد (الجد) : 28-29 .

-ز-

- ابن الزبير (عبدالله) : 120 .
- زكريا (عليه السلام) : 87 .

- زكريا بن عمر بن عبد الرحمن الأنصاري (أبو الوليد) : 32 .
- أبو زيد القطان : 216 .

- س -

- سعيد بن معاوية بن عبد الجبار : 31 .
- أبو سلمة : 164 .
- أم سلمة (زوج النبي ﷺ) : 164 .
- السلمي : 59 .
- سليمان بن أبي كرمة : 176 .
- السهروردي : 43 - 59 .
- سهل التستري : 158 - 187 .
- سيد المالقي : 66 - 180 .

- ش -

- الشبلي : 22 .

- ص -

- الصدفي (أبو علي) : 18 - 44 - 119 .

- ط -

- الطلمنكي (أبو عمر) : 44 .

- ع -

- عامر بن الحسن (أبو الحسن) : 66 - 200 - 202 .
- عامر بن عبد قيس : 212 .
- عائشة (أم المؤمنين رضي الله عنها) : 176 .
- ابن عباد الرندي : 7 - 60 .
- العباس بن إبراهيم : 39 .
- عبد الرحيم (أبو محمد بن أخت بن العريف) : 129 - 140 .
- عبد السلام بن سودة : 7 .
- عبد الغفور (أبو محمد) : 66 - 137 - 198 .
- عبد الله بن بيه الحياحي : 39 .
- عبد الله بن عبد الواحد بن محفوظ : 147 - 177 - 216 .
- عتيق بن مؤمن : 32 - 66 - 67 - 176 - 177 - 215 - 216 - 218 - 222 - 224 .
- عثمان بن عفان : 212 .
- عثمان سعيد بن عثمان : 176 .

- ابن عربي : 44- 45 .
- ابن العربي (القاضي أبو بكر) : 47 - 48 - 49 .
- ابن العربي (أبو القاسم خلف بن محمد) : 18 .
- ابن العريف (أحمد بن محمد أبو العباس) : 7 _ 10 _ 11 _ 12 _ 14 _ 16 _ 17 _ 18 _ 19 _ 20 _ 21 _ 22 _ 29 _ 31 _ 33 _ 34 _ 35 _ 36 _ 37 _ 38 _ 39 _ 43 _ 44 _ 45 _ 46 _ 47 _ 48 _ 49 _ 51 _ 53 _ 54 _ 55 _ 58 _ 62 _ 65 _ 66 _ 67 _ 73 _ 112 _ 128 _ 129 _ 136 _ 137 _ 140 _ 141 _ 143 _ 151 _ 154 _ 176 _ 192 _ 196 _ 198 _ 207 _ 215 _ 216 _ 218 _ 222 _ 224 .
- العطار (الزاهد ، أبو العباس) : 39 .
- ابن علقمة (أبو محمد عبدالله بن محمد بن الخلف الصديقي) : 23 .
- علي صالح (أبو الحسين) : 10 _ 11 .
- علي بن يوسف بن تاشفين : 14 _ 28 _ 37 .
- علي بن يوسف القرشي : 10 .
- عمرو بن هشام : 176 .
- عياش (أبو بكر) : 66 _ 196 .
- عياض (القاضي) : 18 .
- عيسى (عليه السلام) : 87 .

- غ -

- ابن غالب (أبو الحسن) : 16 _ 19 _ 66 _ 111 _ 112 _ 118 _ 129 _ 136 _ 137 _ 140 _ 141 _ 143 _ 176 _ 177 _ 215 _ 218 _ 221 _ 223 .
- الغزالي : 10 _ 16 _ 43 _ 47 _ 59 _ 60 .

- ف -

- ابن الفراء (أبو عبدالله) : 44 .
- ابن الفصيح (أبو بكر عمر بن رزق) : 18 .
- الفضيل بن عياض : 46 .

- ق -

- القاشاني : 45 .
- القروي (ابن الحناط ، أبو محمد عبدالقادر) : 18 .
- ابن قرقول : 31 .
- ابن قسي : 20 _ 34 _ 35 _ 66 _ 207 .
- القشيري : 43 _ 59 .

- المحاسبي (الخارث) : 43-58-59 .
- محمد بن أحمد الخولاني : 671 .
- محمد الأستجي : 192 .
- محمد الإشيبي : 137 .
- محمد بن الحاج : 29-66-188 .
- محمد بن سالم الشلبي : 208 .
- محمد بن سحنون : 117 .
- محمد بن سفيان (أبو عبدالله) : 82-177 .
- محمد بن شريفة : 10 .
- محمد بن الكبش : 66-183 .
- محمد بن محمد بن إبراهيم العلالي التلمساني : 10 .
- محمد بن مسعود المترابي : 65 .
- محمد المنوني : 10 .
- محمد بن يوسف بن الأبار (أبو عبدالله) : 66-67-128-148-149-151-154-167-172-174-176-187-220-224 .
- ابن المدرة : 31 .
- ابن مسدي : 36-44 .
- ابن المنذر (أبو الوليد) : 29-35-208-210-213 .
- مريم (عليها السلام) : 87 .
- مسعود بن رزين : 218 .
- مسلم بن عبدالله الخراساني : 46 .
- المصطفى (رسول الله ﷺ) : 29-30-45-49-50-51-55-61-66-73-132-134-135-136-149 .
- معن بن صمادح : 17 .
- المكي (أبو طالب) : 43-58-60 .
- منصور المبتلي (أبو علي) : 66-192 .
- المهدي : 213 .
- المواق : 208-210-211 .
- أبو موسى (أحد المتصوفة) : 112-147-217-224 .
- الميورقي (أبو بكر) : 38 .

-ن-

- ابن النحاس (أبو القاسم) : 18 .

- ابن نهارة : 31 .

- نوح (عليه السلام) : 124 .

-ه-

- هشام بن عروة : 176 .

-و-

- ابن وضاح : 135 .

- ابن ولَمَّ : 31 .

-ي-

- ابن اليمناش : 44 .

- يحيى عليه السلام : 87 .

- أبو يحيى : 223 .

- يزيد بن عبد الجبار مولى المعتصم (أبو خالد) : 18-66-176-177-194-217-223 .

- يمن بن رزق : 43-200 .

فهرس القبائل والفرق

<p>-ع-</p> <p>- بنو العباس : 213_35 .</p> <p>- العلماء : 86 .</p> <p>-ف-</p> <p>- الفقهاء : 33_36_37_47_50_51 .</p> <p>- 59_54 .</p> <p>-ق-</p> <p>- قدرى : 190 .</p> <p>-ك-</p> <p>- الكافر : 88 .</p> <p>- الكفار : 85 .</p> <p>-م-</p> <p>- المتصوفة : 37_43_44_47 .</p> <p>- المتكلفون : 124 .</p> <p>- المرابطون : 33_35 .</p> <p>- المريدون : 33_34_54_55_61 .</p> <p>- مسلم : 85 .</p> <p>- المؤمن : 88 .</p> <p>-ن-</p> <p>- نصرانيه : 170 .</p> <p>- النصارى : 85_135 .</p> <p>-ي-</p> <p>- اليهود : 85_135_190 .</p> <p>- يهوديه : 170 .</p>	<p>-أ-</p> <p>- إخوان الصفاء : 16_34 .</p> <p>- بنو أمية : 213_35 .</p> <p>- الأنبياء : 88 .</p> <p>- أهل إفريقية : 213 .</p> <p>- أهل الحديث والتفسير : 59 .</p> <p>- أهل السنة والجماعة : 46 .</p> <p>-ب-</p> <p>- الباطنية : 34_54 .</p> <p>- بنو أمية : 213_35 .</p> <p>- بنو العباس : 213_35 .</p> <p>-ح-</p> <p>- الحكام : 34 .</p> <p>-خ-</p> <p>- الخوارج : 93 .</p> <p>-ذ-</p> <p>- ذمي : 85 .</p> <p>-ر-</p> <p>- الروم : 124 .</p> <p>-ص-</p> <p>- الصالحون : 88 .</p> <p>- الصحابة : 50_51_93 .</p> <p>-ظ-</p> <p>- الظاهرية : 51_54_124_160 .</p>
---	--

فهرس الأماكن

- | | |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| -ع- | -أ- |
| -العدوة : 223 . | -الأراضي المقدسة : 28-29 . |
| -غ- | -ث- |
| -غرب الأندلس : 34 . | -الشجر الأعلى : 17 . |
| -ق- | -خ- |
| -قبر الرسول عليه السلام : 29-30 . | -الخزانة الملكية الحسنية : 10 . |
| -قصبة المرية : 17 . | -د- |
| -م- | -دار الكتب الناصرية : 10 . |
| -المشرق : 29-45-209-224 . | -ر- |
| -منى : 223 . | -الربذة : 212 . |
| -موني : 177 . | -ش- |
| | -شرق الأندلس : 34 . |

فهرس البلدان

<p>-ص-</p> <p>- صقلية : 192 .</p> <p>-ط-</p> <p>- طرسوس : 193 .</p> <p>- طنجة : 17 .</p> <p>-غ-</p> <p>- الغرب : 192 .</p> <p>- غرناطة : 38 .</p> <p>-ق-</p> <p>- قرطبة : 16_17_19_21_32_66 -</p> <p>219 .</p> <p>- قونكة : 82 .</p> <p>-م-</p> <p>- المدينة : 135_212 .</p> <p>- مراكش : 37_147 .</p> <p>- مرسية : 17 .</p> <p>- المغرب : 14_34_209 .</p> <p>- مكة : 29 .</p>	<p>-أ-</p> <p>- إشبيلية : 16_21_38_176 .</p> <p>- ألمرية : 16_17_19_20_29_31 -</p> <p>224 .</p> <p>- الأندلس : 14_16_17_29_45 .</p> <p>-ب-</p> <p>- البصرة : 212 .</p> <p>- بغداد : 192 .</p> <p>- بلاد السودان : 14 .</p> <p>- بلاد المغرب : 147 .</p> <p>- بلنسية : 19_31 -</p> <p>-ت-</p> <p>- تمجروت : 10 .</p> <p>-س-</p> <p>- سبتة : 38 .</p> <p>- سرقسطة : 17_31 .</p> <p>-ش-</p> <p>- شاطبة : 82 .</p>
--	--

فهرس المذاهب

- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| - مذهب العيث : 91-51 . | - مذهب رواة الحديث : 91-51 . |
| - مذهب العقلاء : 91-51 . | - مذهب التقليد المذموم : 91-50 . |
| - مذهب الفلسفة : 91-51 . | - مذهب التكلف : 91-50 . |
| - مذهب القياس المذموم : 91-51 . | - مذهب الظاهرية : 159-91-51 . |

فهرس المصطلحات الصوفية

أ-

- | | |
|---|--|
| <p>الإشارة : 161 ، 162 ، 199 .</p> <p>الأشباح : 159 ، 181 .</p> <p>الإشفاق : 168 .</p> <p>أصحاب الأصول : 155 .</p> <p>الأصفياء : 89 ، 141 ، 152 .</p> <p>الإعجاب : 83 ، 84 ، 85 .</p> <p>الإعلام : 99 .</p> <p>الأعمال : 86 ، 150 ، 169 ، 215 .</p> <p>الألباب : 156 ، 161 ، 175 .</p> <p>الإلحاد : 162 .</p> <p>الأسنة : 152 .</p> <p>الألفة : 83 .</p> <p>الأمان : 56 .</p> <p>الأمراض : 142 .</p> <p>الأمل : 201 .</p> <p>الأنس : 55 ، 112 ، 119 ، 132 ، 144 ، 186 ، 219 .</p> <p>الانصاف : 90 ، 168 .</p> <p>الأنفاس : 144 .</p> <p>الانفتاح : 106 ، 175 .</p> <p>الانكار : 84 ، 170 ، 175 ، 177 ، 199 .</p> <p>انتظام الذوات : 159 .</p> <p>الأفعال : 99 .</p> <p>الإفهام : 186 .</p> <p>الأقذار : 154 .</p> | <p>الأئمة : 50 ، 51 ، 52 ، 160 ، 161 .</p> <p>الاتحاد : 48 .</p> <p>الاجتهاد : 203 ، 208 ، 222 .</p> <p>الأجناد : 161 .</p> <p>الإحسان : 76 ، 77 ، 143 .</p> <p>الإحرام : 81 .</p> <p>الأحوال : 48 ، 49 ، 82 ، 94 ، 99 ، 107 ، 109 ، 115 ، 130 ، 142 ، 144 ، 169 ، 173 ، 220 .</p> <p>الآخرة : 82 ، 110 .</p> <p>الإخلاص : 52 ، 81 ، 83 ، 87 ، 95 ، 116 ، 147 ، 186 ، 202 .</p> <p>الأختيار : 145 .</p> <p>الأدب : 60 ، 61 ، 86 ، 221 .</p> <p>الأدلة : 74 ، 84 ، 85 ، 90 .</p> <p>الإرادة : 12 ، 48 ، 85 ، 86 ، 99 ، 122 ، 165 ، 173 ، 205 .</p> <p>الأرزاق : 141 .</p> <p>الأرواح : 159 ، 181 ، 210 .</p> <p>الأزل : 158 .</p> <p>الاستبداد : 210 .</p> <p>الاستدلال : 50 ، 92 .</p> <p>الأسرار (أسرار القلوب) : 48 ، 55 ، 140 .</p> <p>الاستقامة : 48 ، 210 .</p> |
|---|--|

الآيات : 99 ، 165 .
الإيمان : 86 ، 88 ، 99 ، 125 ، 130 ،
149 ، 161 ، 190 ، 203 ، 204 ،
220 .
الأيمن : 144 ، 154 ، 160 ، 165 .
- ب -
البأساء : 88 .
البداية : 139 ، 184 ، 207 .
البدعة : 93 .
البَر (بَرّاً) : 157 ، 168 ، 174 ، 178 ،
190 ، 192 .
البركة (البركات) : 45 ، 105 ، 149 ،
167 ، 178 ، 210 ، 223 ، 224 .
البكاء : 52 ، 55 ، 79 ، 105 ، 145 ،
150 .
البصائر : 12 ، 105 ، 159 ، 174 ،
201 .
الباطن : 48 ، 52 ، 78 ، 128 ، 167 ،
205 .
الباطني : 54 ، 169 .
الباطنية : 160 ، 179 ، 202 .
الباطل : 78 ، 128 .
بشر (بشرى) : 217 .
باعث الذوات : 159 .
الباقية : 167 ، 185 .
الباري : 178 .
البلاد : 175 .
البلايا (البلى) : 77 ، 82 ، 87 ، 88 ،
89 ، 142 ، 186 ، 192 ، 193 ،
207 ، 212 .

الأكوان : 154 .
أهل الإرادة : 222 .
أهل الأهواء والبدع : 212 .
أهل الإيمان : 88 .
أهل البدايات : 144 .
أهل البقاء : 222 .
أهل التمكين : 61 .
أهل التقوى : 82 .
أهل الحديث والتفسير : 59 .
أهل الحسنات : 82 .
أهل الدنيا : 98 ، 99 ، 111 ، 131 .
أهل المخالفة : 142 .
أهل الرغائب : 118 .
أهل العجز : 100 .
أهل العلم : 125 .
أهل الغفلة : 202 .
أهل الفتن : 212 .
أهل الفضل والورع : 212 .
أهل الأمان : 101 .
أهل الكرامات : 213 .
أهل النجاة : 87 .
أهل النهايات : 144 .
أهل الوصول : 154 .
أهل الوفاء : 131 .
الأوراد : 105 .
الأولياء : 73 ، 74 ، 77 ، 79 ، 80 ، 89 ،
94 ، 105 ، 112 ، 136 ، 141 ،
144 ، 176 ، 177 ، 184 ، 187 ،
193 ، 203 ، 221 .
الايحاد : 158 .

التواضع : 52 ، 83 ، 97 ، 98 ، 149 ،
168 ، 169 .

التوكل : 146 .

تيار التقية : 152 .

-ث-

الثابت : 158 ، 159 .

الثبات : 159 .

الثواب : 162 ، 181 .

ثوب الإيمان : 203 .

-ج-

جند الله : 178 .

الجهاد : 89 ، 173 .

الجنة : 57 ، 185 .

الجوارح : 48 ، 202 .

الجهل : 152 ، 202 .

-ح-

الحرية : 139 ، 156 .

الحب (المحبة) : 47 .

الحضرة : 142 .

الحلول 48 .

حاكم (حكام) : 170 ، 174 ، 179 ،

198 ، 199 .

حلقات الذكر : 54 .

الحدوث : 158 .

حب الدنيا : 56 ، 102 ، 103 .

حكم المشيئة : 146 .

الحجـة : 77 ، 89 ، 134 ، 142 ،

156 ، 162 ، 168 ، 199 ، 201 ،

210 ، 221 .

الحرام : 130 .

-ت-

التأويل : 50 ، 53 ، 54 ، 106 ، 168 ،

169 ، 181 ، 182 .

التجربة : 152 .

التجلي : 48 .

التحصيل : 82 .

التحقيق : 84 ، 85 .

الترتيل : 55 ، 145 .

الترخص في الأقوال والأعمال : 169 .

الترهيب : 172 .

التسخير : 138 .

التصوف : 18 ، 33 ، 43 ، 44 ، 46 ،

58 ، 59 ، 60 ، 62 ، 66 .

التمالي : 48 .

تعذيب النفس : 18 .

التعليم (التعلم) 163 .

التلاعب : 50 .

التفويض : 162 .

التقرب : 12 .

التقليد : 90 ، 91 .

التقوى : 45 ، 48 ، 49 ، 185 ، 219 ،

223 .

التكسب : 146 .

التكلف : 50 ، 90 ، 92 ، 127 ، 136 .

التوبة : 51 ، 75 ، 78 ، 79 ، 80 ، 81 ،

94 ، 107 ، 109 ، 127 ، 139 ،

140 ، 159 ، 190 ، 197 ، 201 ،

203 .

التوحيد : 130 ، 159 ، 186 .

الحيرة : 126 ، 131 ، 140 ، 186 ، 202 .
 حيرة المعرفة : 131 .
 الحس : 125 .
 حجة الله : 53 ، 160 ، 170 .
 حجاب : 185
 الحوض : 57 ، 144 .
 الحريص : 141 .

-خ-

الخاتمة : 140 .
 الخاصة : 105 ، 167 ، 177 ، 202 ،
 220 .
 الخجل : 155 .
 الخرقه : 44 ، 45 .
 خرق العوائد : 155 ، 156 ، 167 .
 الخشوع : 99 .
 الخشية : 131 .
 الخصوص : 92 ، 94 ، 126 ، 129 ،
 141 ، 142 ، 164 ، 170 ، 221 .
 الخطايا : 77 ، 87 .
 الخطرات : 188 .
 الخلاص : 147 ، 217 .
 الخلاف : 90 .
 الخلق : 75 ، 159 ، 160 ، 168 ، 173 ،
 179 ، 206 ، 220 .
 الخلوة : 52 ، 96 ، 105 ، 116 ، 118 ،
 119 ، 121 ، 122 ، 173 ،
 189 ، 220 .
 الخواص : 47 .
 الخوف : 55 ، 79 ، 80 ، 89 ، 95 ، 141 ،

الحزن : 100 ، 105 ، 112 ، 145 ، 168 ،
 180 ، 186 ، 220 .
 حقوق : 169 .
 الحسد : 83 ، 84 ، 85 .
 حسرة : 132 .
 الحشر : 57 .
 الحثين : 142 .
 الحق : 77 ، 92 ، 96 ، 100 ، 112 ،
 131 ، 142 ، 145 ، 154 ، 156 ،
 159 ، 160 ، 163 ، 178 ، 181 ،
 183 ، 184 ، 200 ، 201 ، 202 ،
 203 ، 204 .
 الحقيقة (الحقائق) : 48 ، 82 ، 84 ، 90 ،
 92 ، 93 ، 94 ، 97 ، 101 ،
 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 109 ،
 111 ، 115 ، 123 ، 127 ، 139 ،
 155 ، 159 ، 160 ، 163 ، 174 ،
 179 ، 183 ، 188 ، 189 ، 200 ،
 201 ، 221 ، 222 ، 223 .
 حقيقة القدرة : 162 .
 حقيقة الحق : 160 .
 حقيقة الدنيا : 98 .
 حقيقة الوجود : 98 .
 حقيقة المعرفة : 109 .
 حقيقة الإيمان : 125 .
 حقيقة الخلق : 160 .
 الحكمة : 74 ، 122 ، 172 ، 186 .
 الحياء : 78 ، 109 ، 116 ، 126 ، 130 ،
 137 ، 143 ، 149 ، 152 ، 154 ،
 155 ، 174 .

192 ، 193 ، 203 .
 الرؤيا : 37 ، 105 ، 117 ، 118 ، 119 ،
 161 ، 177 .
 الرغبة : 99 ، 172 ، 184 ، 203 .
 الرهبة : 99 ، 185 ، 203 .
 الرضوان : 57 .
 الرياضة : 58 ، 83 ، 86 ، 97 ، 201 .
 الرزايا : 77 ، 82 ، 88 ، 89 ، 212 .
 الرياء : 83 ، 84 ، 85 ، 116 ، 152 ،
 154 .
 الرفق : 170 .
 الرق : 139 ، 156 ، 192 .
 الروح : 144 .
 رياض الجنة : 145 .
 الرمز : 160 .

-ز-

الزاهد (الزهاد) : 67 ، 116 ، 150 ، 167 ،
 175 ، 193 .
 الزهد : 33 ، 34 ، 91 ، 101 ، 177 ،
 220 .

-س-

السلف الصالح : 50 ، 66 ، 132 ، 150 ،
 172 .
 السر : 47 ، 53 ، 79 ، 94 ، 113 ، 141 ،
 157 ، 164 ، 168 ، 181 ، 185 .
 السبل : 155 .
 السعادة : 67 .
 الستر : 47 ، 53 ، 185 ، 210 ، 211 .
 السالك (السالكين) : 46 ، 51 ، 52 ، 58 .
 السلوك : 48 ، 97 ، 99 ، 130 ، 169 ،

142 ، 143 ، 145 ، 147 ، 156 ،
 165 ، 179 .

-د-

الدائرة : 154 ، 161 .
 دار الحياة : 143 .
 دار الفناء : 143 .
 الدعاء : 87 ، 151 ، 172 ، 177 ، 179 ،
 219 ، 222 ، 223 .
 الدعاية : 146 .
 الدعوى : 159 .
 الدلالة - الدلالات : 58 ، 98 ، 99 ، 174 .
 الدليل : 50 ، 164 .
 الدنس : 202 .
 الدنيا : 20 ، 52 ، 53 ، 79 ، 82 ، 92 ،
 95 ، 104 ، 110 ، 111 ، 112 ،
 131 ، 134 ، 139 ، 141 ، 143 ،
 165 ، 175 ، 189 ، 201 ، 204 ،
 216 ، 222 .

-ذ-

الذات : 162 .
 الذل : 81 ، 100 ، 190 .
 ذنب (الذنوب) : 76 ، 77 ، 79 ، 80 ،
 81 ، 126 ، 158 ، 174 ، 186 ،
 201 .
 الذكر : 103 ، 104 ، 106 ، 113 ، 133 ،
 141 ، 144 ، 159 ، 206 .

-ر-

الرجاء : 48 ، 109 ، 140 ، 143 ، 151 ،
 175 ، 181 ، 203 .
 الرحمة : 81 ، 141 ، 142 ، 164 ، 190 ،

الشفقة : 142 ، 179 ، 217 .
 الشفاعة : 143 ، 180 ، 186 .
 شطر الدائرة : 154 .
 الشرك : 161 .
 الشيطان : 161 ، 181 ، 190 .
 الشعراء : 162 .
 الشهداء (الشهادة) : 169 ، 173 ، 190 ،
 201 .

- ص -

الصحابية (أصحاب الرسول ﷺ) : 50 ،
 169 .
 الصادق (الصادقين) : 126 ، 185 ، 203 ،
 211 .
 الصالح (الصالحين) : 51 ، 67 ، 73 ، 88 ،
 125 ، 137 ، 141 ، 147 ، 150 ،
 168 ، 175 ، 186 ، 195 ، 199 ،
 224 .
 الصبر : 47 ، 78 ، 106 ، 172 ، 176 ،
 189 .
 الصدق : 94 ، 100 ، 112 ، 117 ،
 118 ، 125 ، 129 ، 138 ، 154 ،
 157 ، 179 ، 203 ، 205 ، 207 .
 الصراط : 57 .
 الصيانة : 53 ، 169 .
 الصديق (الصديقين) : 53 ، 95 ، 128 ،
 183 ، 184 ، 198 .
 صديق (الأصدقاء) : 170 .
 الصمت : 53 ، 81 ، 168 .
 الصبيان : 20 ، 21 ، 116 ، 117 ، 149 ،
 150 ، 170 ، 194 ، 219 ، 223 .
 الصوفي : 19 ، 67 .

179 .
 السكر : 110 ، 116 .
 سكرات الموت : 56 .
 سنة الله : 88 ، 181 .
 السجن (سجن الأرواح) : 180 ، 181 .
 السياحة : 122 ، 123 ، 177 ، 208 .
 السكوت : 126 ، 152 .
 السرور : 100 ، 142 ، 175 ، 186 ،
 224 .
 السلوة : 189 .
 السرائر : 12 .
 السكينة (سكينة الإيمان) : 132 ، 139 .
 السلامة : 139 .
 السمع : 175 .
 سلامة الخاتمة : 146 .
 السخاء : 149 .
 السراب : 181 ، 204 .

- ش -

شاهد اليقين : 139 .
 شرح الصدر : 56 ، 216 .
 الشفاء : 98 .
 الشوق : 47 ، 48 ، 132 ، 204 .
 الشيخ (الشيخوخ) : 12 ، 16 ، 44 ، 45 ،
 46 ، 58 ، 59 ، 60 ، 135 ، 150 ،
 204 ، 219 .
 الشك : 84 ، 127 ، 202 .
 الشدائد : 89 ، 141 ، 155 .
 الشر : 89 ، 150 .
 الشكوى : 112 .
 الشهوة (الشهوات) : 12 ، 202 .

الظن : 143 ، 170 ، 179 .
 ظلمة الهوى : 161 .
 -ع-
 العارف : 164 ، 178 ، 186 .
 العابد — العباد — العابدين : 73 ، 88 ،
 150 ، 185 ، 189 ، 193 ، 221 .
 العهد : 142 :
 العارية : 161 .
 العبد : 73 ، 75 ، 78 ، 81 ، 84 ، 88 ،
 91 ، 131 ، 137 ، 138 ، 139 ،
 143 ، 146 ، 161 ، 162 ، 185 ،
 188 ، 190 .
 علامة (علامات) : 184 .
 العدل : 199 .
 العاصي : 77 ، 89 ، 130 .
 العاقل (العقلاء) : 51 ، 129 ، 188 ،
 190 .
 العادة : 86 ، 87 ، 99 ، 165 .
 العافية : 193 .
 عصابة الحق : 206 .
 العبودية : 105 ، 121 ، 156 ، 170 .
 العجز : 154 ، 162 ، 163 .
 العشق : 47 .
 العناية : 178 .
 العقل : 93 ، 98 ، 105 ، 122 ، 123 ،
 125 ، 127 ، 129 ، 146 ، 150 ،
 152 ، 154 ، 155 ، 156 ، 161 ،
 163 ، 167 ، 177 ، 201 ، 213 .
 العلم : 48 ، 49 ، 50 ، 58 ، 84 ، 85 ،
 90 ، 92 ، 93 ، 94 ، 95 ، 97 ،
 99 ، 102 ، 103 ، 105 ، 114 ،

الصوفية : 45 ، 47 .
 الصلاة : 51 ، 55 ، 74 ، 78 ، 79 .
 صفاء الألواح : 159 .
 صاحب الأمانة : 160 .
 صمت اللسان : 168 .
 صمت القلوب : 168 .
 صمت الجوارح : 168 .
 الصواب : 181 .

-ض-

الضراعة : 79 ، 143 .
 الضجر : 138 .
 الضر : 142 .
 الضمير : 148 .
 ضعيف (الضعفاء) : 196 ، 199 ، 220 .
 الضرورة : 197 .

-ط-

الطاعة : 49 ، 78 ، 86 ، 94 ، 152 ،
 201 .
 الطريق : 18 ، 51 ، 89 ، 95 ، 126 ،
 200 .
 الطمع : 168 .
 طريق الظن : 213 .
 طريق اليقين : 213 .
 الطهارة : 217 .

-ظ-

الظاهر : 48 ، 50 ، 52 ، 53 ، 78 ،
 113 ، 118 ، 167 ، 197 ، 202 ،
 205 ، 210 .
 الظاهري : 54 .
 الظاهرية : 160 .
 الظفر : 138 .

192 .
الغم (الغوم) : 89 ، 114 ، 117 ، 140 ،
181 ، 173 ، 151 .
الغمز : 160 .
الغضب : 164 ، 169 ، 201 .
الغرية : 203 .
- ف -
الفاجر : 89 ، 138 ، 168 .
الفاني : 101 ، 102 ، 103 .
الفتنة (الفتن) : 33 ، 87 ، 126 ، 150 ،
179 ، 180 .
الفخر : 100 .
الفتور : 84 .
الفراق : 132 ، 140 .
الفقر : 81 ، 127 ، 140 ، 149 ، 207 .
الفقير (الفقراء) : 75 ، 100 ، 122 ،
162 ، 163 ، 167 ، 179 ، 191 .
196 ، 207 ، 213 .
الفقه (الفقهاء) : 16 ، 54 ، 59 ، 83 ،
91 ، 92 ، 97 ، 120 ، 155 ،
162 ، 169 .
الفانية : 172 .
الفناء : 47 ، 48 ، 104 ، 159 ، 164 .
الفتح : 13 ، 61 ، 144 ، 147 ، 172 ،
183 ، 184 ، 189 .
الفوز : 87 .
الفرائض : 150 .
الفهم : 127 .
الفطرة : 159 .
الفلسفة العقلية : 163 .
فلاسفة الدين : 163 .

115 ، 116 ، 117 ، 122 ، 125 ،
128 ، 134 ، 135 ، 143 ، 145 ،
146 ، 154 ، 155 ، 158 ، 159 ،
160 ، 170 ، 172 ، 175 ،
184 ، 190 ، 198 ، 200 ، 206 ،
208 ، 209 ، 213 ، 215 ، 220 .
العلماء (عالم) : 48 ، 50 ، 58 ، 60 ، 61 ،
85 ، 91 ، 98 ، 99 ، 118 ،
134 ، 135 ، 145 ، 150 ، 170 ،
175 ، 179 ، 183 ، 184 ، 185 ،
199 ، 222 .
العلة (العلل) : 164 ، 165 .
العمل : 48 ، 50 ، 55 ، 61 ، 75 ، 84 ،
90 ، 92 ، 93 ، 94 ، 97 ، 103 ،
119 ، 143 ، 150 ، 165 ، 167 ،
177 ، 205 ، 207 ، 208 .
عين البصيرة : 161 .
العيش : 105 ، 146 ، 147 ، 203 ، 215 .
العقاب : 162 ، 181 .
العاقبة : 130 .
العدم : 159 ، 160 ، 188 .
العصمة : 129 ، 201 ، 202 ، 204 ،
217 .
العزاء : 140 ، 141 .
عطاياه : 131 ، 142 ، 184 .
- غ -
الغافل : 128 ، 188 .
الغنى : 56 .
الغاية (الغايات) : 178 ، 190 .
الغيب : 98 ، 114 ، 217 .
الغفلة : 116 ، 132 ، 149 ، 185 ،

فلاسفة الفترات : 163 .

الفرج : 173 .

-ق-

القبر : 56 ، 57 .

القصد : 49 .

القبول : 22 ، 149 .

القدرة : 56 ، 98 ، 106 ، 161 ، 162 ،

181 ، 213 .

القدر (الأقدار) : 94 ، 108 ، 164 .

القدري : 190 .

القدوة : 50 ، 58 ، 60 ، 91 ، 92 ، 98 ،

175 ، 200 .

قول : 177 .

القطب : 43 .

القلب (القلوب) : 53 ، 75 ، 82 ، 84 ،

86 ، 105 ، 117 ، 119 ، 120 ،

136 ، 144 ، 145 ، 152 ، 168 ،

169 ، 174 ، 178 ، 185 ، 190 ،

201 ، 202 ، 205 ، 223 .

القلق : 79 ، 94 ، 101 ، 152 ، 218 .

القوم : 44 ، 86 ، 142 ، 177 ، 185 .

القيام : 52 ، 101 .

القهر : 89 ، 161 .

القسر : 161 .

القرين (القرناء) : 167 .

قلة الفهم : 175 .

قلة العقل : 175 .

قلة الفقه : 175 .

قلة الصبر : 175 .

-ك-

الكبر : 58 ، 92 ، 98 ، 100 ، 101 ،

116 ، 129 .

الكبراء : 162 .

الكرامة (الكرامات) : 93 ، 174 ، 177 ،

216 .

الكان : 158 .

الكشف : 61 ، 105 ، 143 ، 180 ،

183 .

الكل لصاحب الكل : 43 ، 186 .

الكرب : 112 .

الكفر (كافر) : 103 ، 138 ، 168 ، 170 .

الكفاف : 21 ، 148 .

الكآبة : 100 .

كوشف : 98 ، 170 .

الكيـف : 154 ، 160 ، 162 ، 165 ،

174 .

الكرم : 206 .

-ل-

لسان العلم : 104 ، 145 .

لسان جاهل : 145 .

لسان الحقيقة (الحق) : 104 ، 105 ، 160 .

لسان الحكم : 105 .

لسان المناجاة : 105 .

لسان الظاهرية : 124 .

اللذة (اللذات) : 80 ، 100 .

اللب (الألباب) : 161 ، 202 .

-م-

المتألم : 87 .

المتصوفة : 44 ، 47 ، 66 .

ميزان : 140 .

المتكلف (التكلفين) : 77 ، 91 ، 124 .

المكروه : 88 ، 89 ، 142 ، 148 .

.201
 المقام (المقامات) : 43 ، 44 ، 47 ، 48 ،
 74 ، 99 ، 105 ، 107 .
 المحيا : 195 .
 المقدس : 82 ، 164 .
 المودة : 132 ، 152 .
 المقت : 106 .
 المقلد : 91 .
 الموت : 98 ، 102 ، 103 ، 118 ، 120 ،
 126 ، 127 ، 129 ، 168 ، 191 ،
 201 ، 216 .
 الميثاق : 84 .
 مراتب النجاة : 144 .
 مجلس الذكر : 145 .
 المكر : 152 ، 171 ، 207 .
 المخلصين : 145 .
 المخادع : 165 .
 المكاشفة : 148 .
 الممات : 195 .
 المعلم : 149 ، 150 .
 مملوك : 156 .
 المعبود : 186 .
 المحجة : 156 ، 168 .
 موجود : 160 .
 المحدثات : 158 .
 ملك الاختيار : 161 .
 ملك الاضطراب : 161 .
 الملك : 162 .
 المصيبة : 164 .
 المفقود : 164 .
 المدام الباح : 165 .

المجاهدة : 52 ، 55 ، 89 ، 119 ، 145 ،
 149 .
 المحسوس : 125 .
 المحظور : 51 .
 المشاهدة : 47 ، 82 ، 177 ، 180 ، 221 .
 المحب : 48 ، 142 .
 المحبة : 47 ، 56 ، 152 ، 169 ، 172 ،
 178 ، 224 .
 المحبوب : 47 ، 48 ، 172 ، 190 .
 المتنعم : 87 .
 المرید : 22 ، 34 ، 35 ، 45 ، 46 ، 48 ،
 53 ، 54 ، 55 ، 58 ، 59 ، 66 ،
 67 ، 74 ، 85 ، 86 ، 105 ،
 165 ، 179 ، 190 ، 206 .
 مظلوم : 179 .
 مُسَخَّرٌ : 161 .
 المسكنة : 81 ، 190 .
 المساكين : 100 .
 المُسَبِّحُ : 164 .
 المشقة : 87 ، 218 .
 المستور : 190 ، 213 .
 المشيئة : 88 ، 119 ، 170 ، 171 .
 المعروف : 179 .
 المعاملة : 54 .
 المناجاة : 73 .
 معجزة (المعجزات) : 93 ، 174 ، 177 .
 المعطل : 13 .
 المعرفة : 43 ، 48 ، 59 ، 151 ، 158 .
 المغرور (المغتر) : 84 ، 99 ، 168 .
 المعصية (المعاصي) : 49 ، 77 ، 78 ، 84 ،
 94 ، 103 ، 104 ، 115 ، 152 ،

النصيحة : 168 ، 172 .

نور البصر : 178 .

نور العقل : 178 .

نور القلب : 178 .

نور الإرادة : 178 .

- ه -

الهم (الهموم) : 89 ، 111 ، 114 ، 117 ،

128 ، 140 ، 141 ، 151 .

هجمات النفوس : 129 .

الهوى : 140 ، 184 ، 217 .

الهيبة : 143 ، 152 ، 155 .

الهداية : 162 ، 178 ، 216 .

هالك (الهلاك) : 164 .

الهادم : 178 .

- و -

الوسائل : 75 .

الوحشة (الواحش) : 141 ، 220 .

الوجود : 123 ، 147 ، 160 .

الورع : 50 ، 54 ، 78 ، 79 ، 81 ، 97 ،

118 ، 199 ، 212 .

الوسواس : 114 ، 115 .

الوهم : 93 ، 127 .

الولاية (الولايات) : 34 ، 99 ، 120 ،

161 ، 162 ، 170 .

الولي : 116 ، 127 ، 136 ، 151 ، 171 ،

177 ، 214 .

الوفاء : 143 .

الوحدانية : 89 ، 160 .

الوزن : 168 ، 181 .

الوقر : 175 .

المنكر : 174 .

المتقين : 194 ، 199 .

المسرة : 175 .

المتحايين : 218 .

المسألة : 177 .

المشكاة : 178 .

مقهور : 179 .

مغلوب : 179 .

المتحن : 179 ، 190 ، 205 .

مولاه : 184 ، 190 .

- ن -

الندم (الندامة) : 79 ، 127 ، 188 .

النفس (النفوس) : 19 ، 93 ، 97 ، 109 ،

119 ، 126 ، 128 ، 131 ، 138 ،

140 ، 142 ، 144 ، 152 ، 154 ،

155 ، 156 ، 157 ، 159 ، 161 ،

162 ، 163 ، 178 ، 180 ، 190 ،

201 ، 211 ، 224 .

النهاية : 139 ، 184 ، 207 .

النية : 169 ، 170 .

النعمة : 142 ، 165 ، 217 ، 224 .

نور الفطرة : 161 ، 178 .

نور البداية : 161 .

نور الإيمان : 161 .

نصف الدائرة : 161 .

نور الحق : 161 .

النهي : 161 .

النقمة : 165 .

النعيم : 162 .

النجاة : 140 ، 165 ، 217 .

فهرس الموضوعات

13 : 7	- مقدمة
17 : 14	- عصر ابن العريف
17	- مولده
18	- شيوخه
20 : 19	- المناصب التي شغلها
21 : 20	- عائلته
22	- صفاته
28 : 22	- شعره
30 : 28	- موقفه من تفضيل الجهاد على الحج
32 : 31	- بعض تلاميذه
35 : 33	- علاقة ابن العريف بالمرابطين
39 : 36	- نكبة ابن العريف
62 : 41	- تصوف ابن العريف ومنهجه
46	- سند ابن العريف في التصوف
57 : 47	- طريقته في تعليم المريـد والمتصوف
61 : 58	- أهمية الشيخ للمريـد والمتصوف
62	- مؤلفات ابن العريف
67 : 63	- وصف المخطوط
		النص
73	- من دعائه
82 : 76	- من مناجاته
83	- من كلامه

101:86 فصول
108:101 من كلامه
108 رسائله الى أبي الحكم بن برجان
148:111 رسائله الى أبي الحسن بن غالب
153:149 رسائله الى الفقيه أبي عبدالله محمد بن يوسف الابار
154 كتب إليه الفقيه
179:167 رسائله إلى جملة من الإخوان
180 رسالة الى أبي الحسن سيد المالقي
183 رسالة الى محمد بن الكبش
224 - 188 رسالة الى جملة من الاخوان والفقهاء
	الفهارس
227 - فهرس المصادر والمراجع
233 - فهرس الآيات القرآنية
239 - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
240 - فهرس الأعلام
246 - فهرس القبائل والفرق
247 - فهرس الأماكن
248 - فهرس البلدان
249 - فهرس المذاهب
250 - فهرس المصطلحات الصوفية

للمؤلف

- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدّين عصر الطوائف الثاني
(510 - 546هـ/1116 - 1151م)
- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا
- أعضاء جديدة على المرابطين



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

إصاحبها الحبيب المصطفى

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود

تلفون البناية : 340131/2 تلفون مباشر : 350331 ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم : 238 - 5 - 1993

التنفيذ : سامو برس - بيروت

الطباعة : دار صادر - بيروت